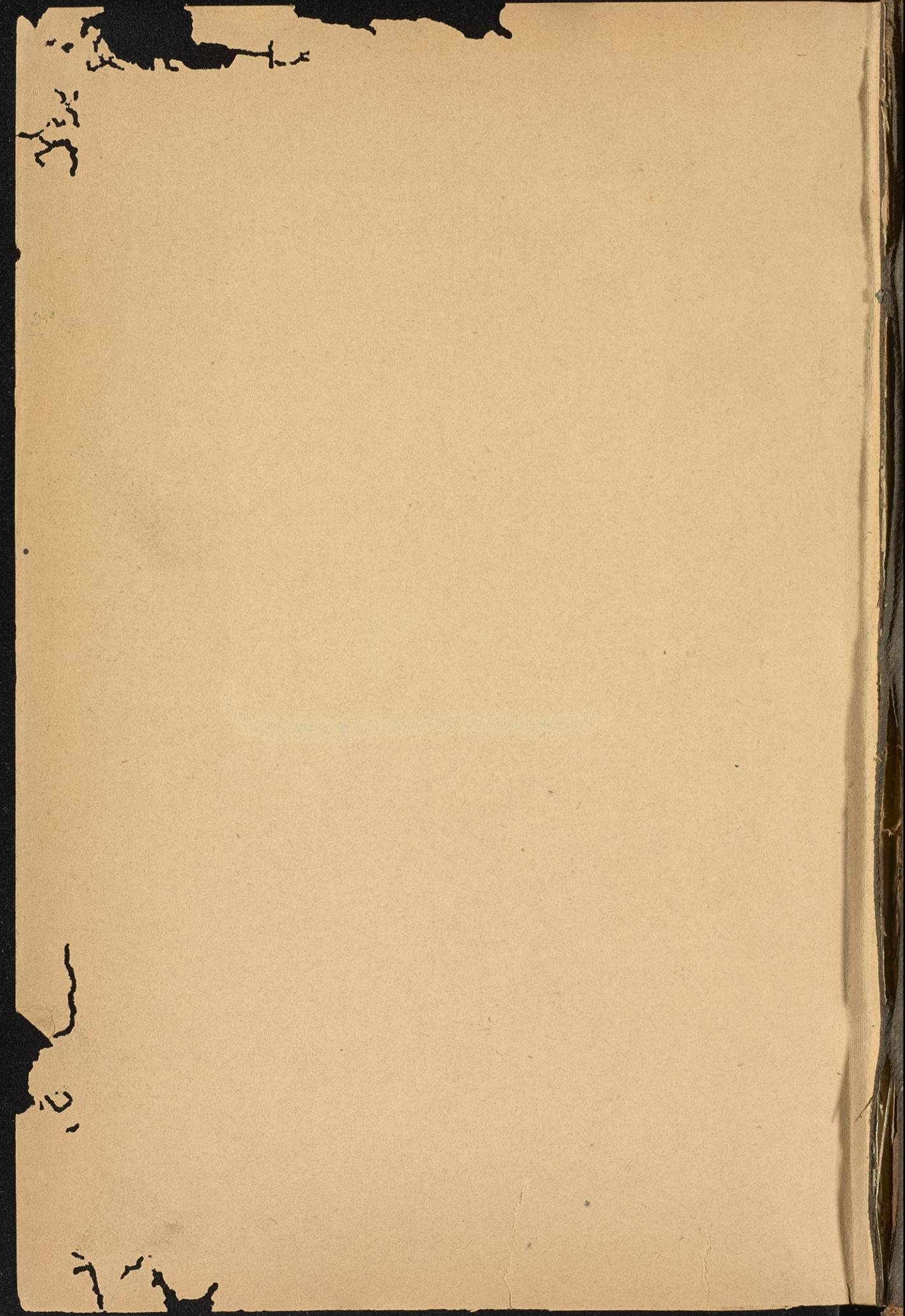


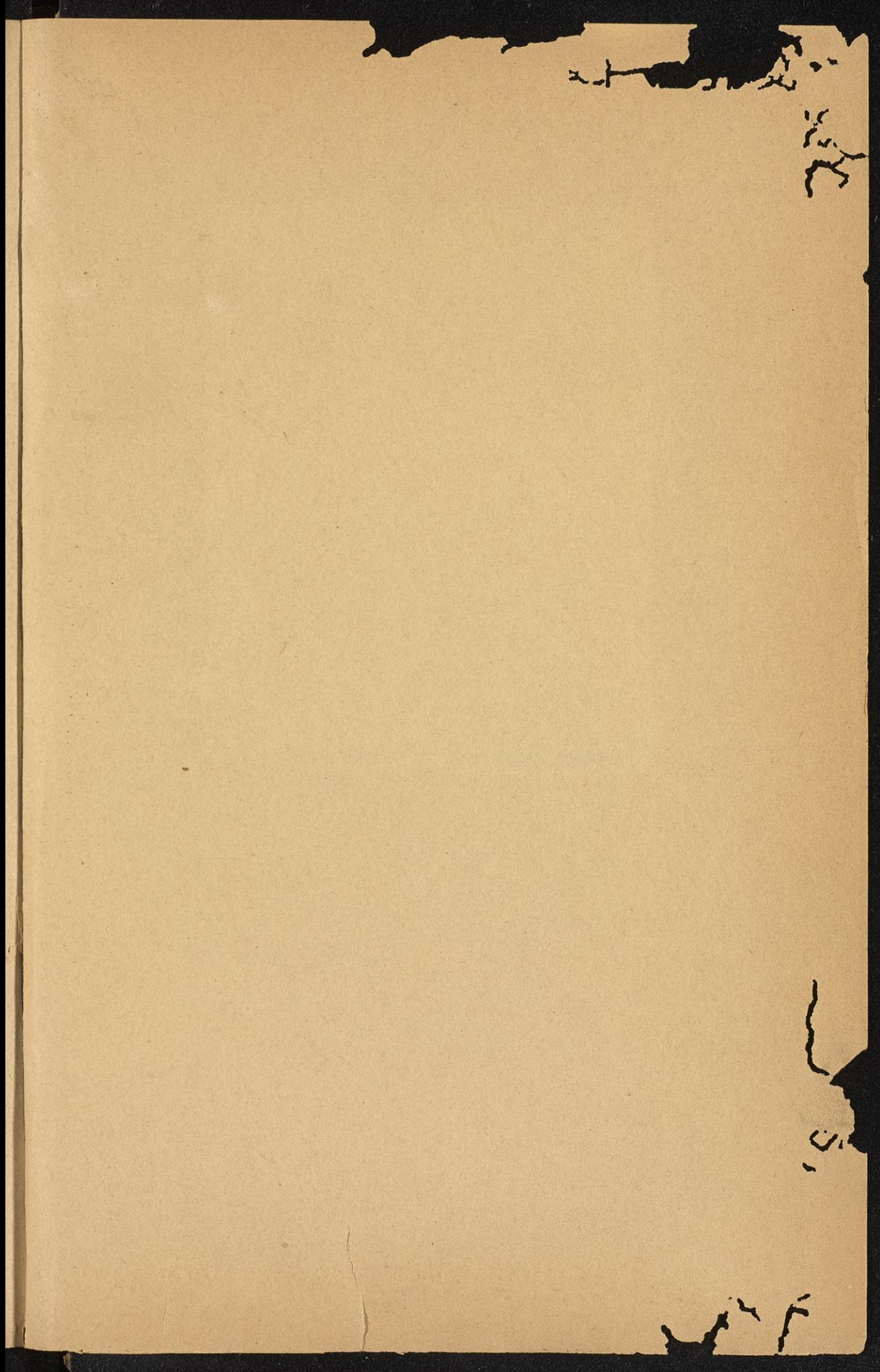
75
A

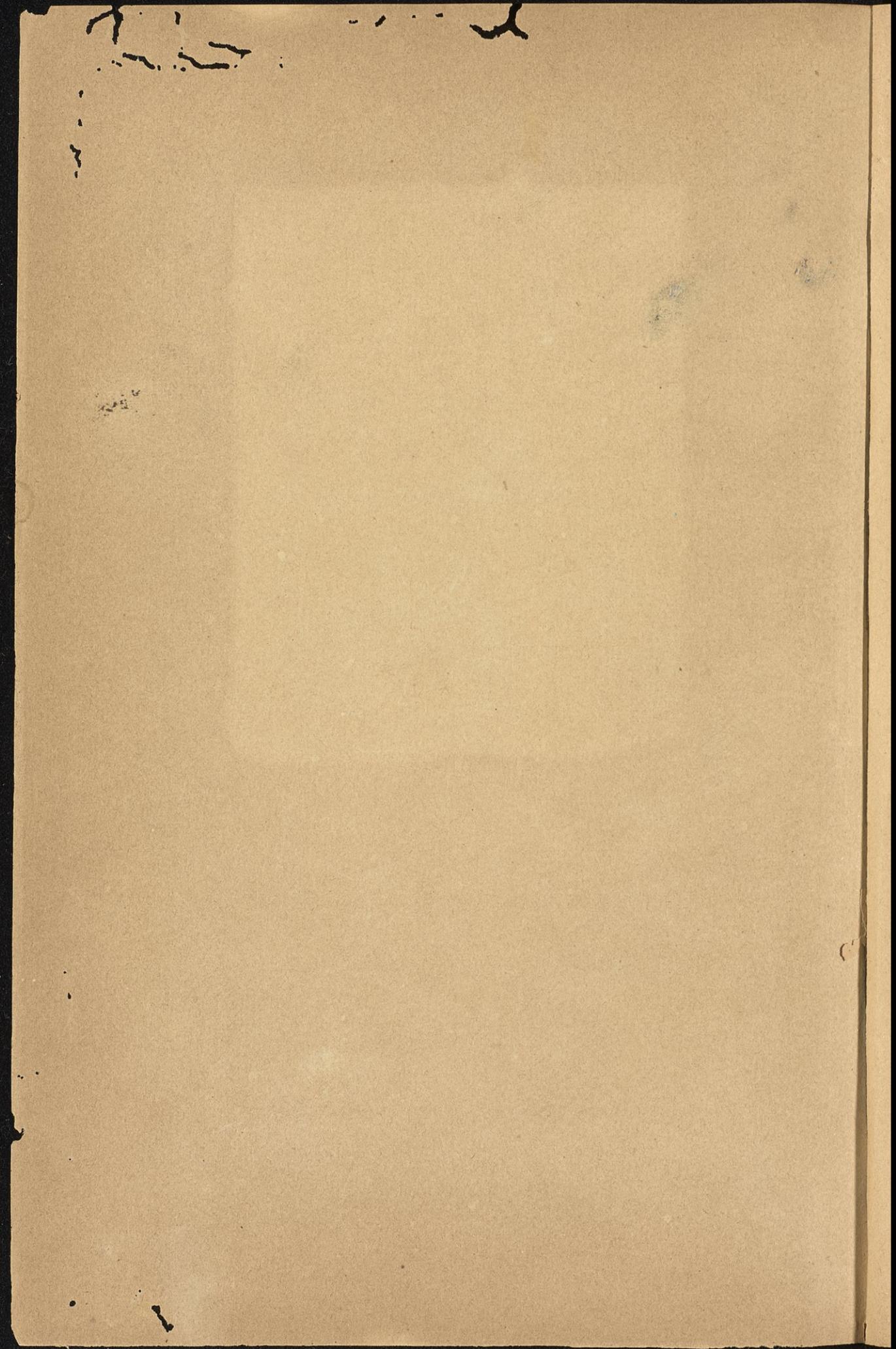
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

SEP 18 1973







الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر

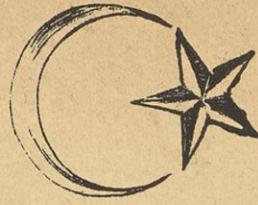
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٧١

٢٠٠١



علیم الدین

حضرۃ العالم الفاضل صاحب السعادة

علی باشا مبارک

ناظر الاشغال العمومية المصرية سابقاً

—

الجزء الثالث

—

طبع في مطبعة جربدة المخروسة بالاسكندرية

١٣٩٩

سنة

١٨٨٣

PJ
7814
.L5
AH5

v.3

علم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المساءرة الثامنة والستون

عود الى حكاية يعقوب

قال يعقوب بعد ان دفع ذلك السائح ما دفعه وحصل
التراضي بين سيدتي وبينه بتنا تلك الليلة في البلد وبات يودعني
من كنت اعرفه خصوصاً من كنت عنده وجميع اهل بيته فلما اصبح
الصباح قينا للسفر فرّكينا قاصدين الساحل فلم نصله الاّ بعد عشرة
ايام شاهدنا فيها من حر الطريق ووعره مشقات عظيمة لان جميع
الطرق بهذه البلاد قد تخللتها الجبال والغابات والبرك والاجمادات
فكان نيت تارة في بعض القرى وتارة في محلات اخرى خالية عن
القرى وكان مع السائح اوامر واعلامات من لدن الحكومة

وِمَأْمُورُونَ مِنْ قَبْلِ الْمَلِكِ فَكَا إِذَا مَرَنَا بِقَرْيَةٍ أَوْ حَلَّةٍ حَصَلَ
 لَنَا مِنْ أَهْلِهَا الْأَكْرَامُ وَالاحْتِرَامُ وَلَكِنْ كَانَ يَحْنَفُ بِنَا أَهْلِهَا يَسْتَغْرِبُونَ
 صُورَتِهَا وَيَتَأْمِلُونَ فِي هِيَأَتِنَا فَكَانَ مِنْ مَعْنَاهُ مِنَ الْمَأْمُورِينَ بِتَوْصِيلِنَا
 يَخْوِنُهُمْ عَنَا وَإِذَا احْتَجَنَا إِلَى شَيْءٍ بَادَرُوا بِهِ وَدَفَعُ السَّائِحِ ثُمَّهُ مِنْ عَنْدِهِ
 وَغَيْرُ ذَلِكَ كَانَ يَعْطِي لِسَائِحِ الْبَلَادِ الَّتِي كَانَ نَزَلَ بِهَا بَعْضُ هَدَائِيَا
 مَا يُحِبُّ فِي تِلْكَ الْجَهَاتِ مُثْلِ قَطْعَةِ مِنْ قَاعِشِ وَشِيِّيْنِ مِنَ الْخَرْزِ
 وَاسَاوِرَ مِنْ زَجاجٍ وَكَانُوا يَهْدُونَ إِلَيْنَا بَعْضَ اشْرِبَةِ مِنَ الرُّومِ
 وَالنَّبِيذِ وَمَا زَلَنَا سَاعِرِينَ حَتَّى وَصَلَنَا مَدِينَةً (بُورِي) وَهِيَ مَحْلٌ
 اقْدَامَ الْمَلِكِ الْمُتَصْرِفِ فِي جَهَاتِ (سِيَادِ الْبُونَا) (أَعْنَى نَهْرِ جَهَالِ
 السَّبَاعِ) وَهِيَ عَلَى بَعْدِ ثَمَانِيَّةِ فَرَاسِخٍ مِنْ مَصْبَحِ النَّهْرِ الْمُذَكُورِ فِي
 الْبَحْرِ وَكَانَ خَبَرُنَا وَصَلَ إِلَيْهِ قَبْلَ قَدْوَمِنَا عَلَيْهِ فَارَسَلَ لِاِسْتِقبَالِ
 صَاحِبِيِ السَّائِحِ جَمَاعَةً مِنْ امْرَائِهِ وَقَوَادِ عَسَكِرِهِ فَاسْتَقْبَلُونَا بِالْبَشَرِ
 وَالظِّلَاقَةِ مَعَ التَّوْقِيرِ وَالاحْتِرَامِ وَمَزِيدًا الْأَكْرَامِ وَسَارَوْنَا بِنَا إِلَى أَنَّ
 وَصَلَنَا إِلَيْهِ فَوَجَدْنَاهُ جَالَسًا عَلَى حَصِيرٍ وَحَوْلَهُ امْرَأَةٌ وَحَشْمَهُ وَعَلَى
 الْبَعْدِ مِنْهُ بَعْضُ عَسَكِرِهِ وَاهْلِ بَلَادِهِ فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ لَنَا وَتَلَقَّانَا وَمَدَ
 يَدَهُ إِلَى السَّائِحِ فَصَافَحَهُ وَهَزَ يَدَهُ وَاجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِيْ فَأَخْبَرَهُ
 بِقَصْتِيِ وَشَرَحَ لَهُ قَضِيَّتيِ وَكَيْفَ خَلَصَنِي مِنْ كُتُبِ مَعْهُمْ حَتَّى
 صَرَتْ مَعَهُ فَهَنَّأَنِي الْمَلِكُ بِبَعْضِ كَلِمَاتِ انْكَلِيزِيَّةِ وَكَانَ يَعْرِفُ
 قَلِيلًا مِنْ لِغَةِ الانْكَلِيزِ بِسَبَبِ أَنَّهُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ مَحَلَّاتُ التِّجَارَةِ فِيهَا
 حَامِنِ انْكَلِيزِيٍّ كَانَ يَزُورُ الْمَلِكَ لِبَعْضِ حَاجَاتِهِ وَيَزُورُهُ الْمَلِكُ فِي

بعض الأحيان فتعلم بعض هذه اللغة بسبب المخالطة
 ثم أهدى إليه صاحبنا السائح زجاجات من نبيذ وبعض
 القشة فكافأه عليها بعشر أواق من ذهب واربعة اعبد ثم استأذنه
 وفينا فبتنا تلك الليلة ب محل قد اعد هناك للضيافة
 وفي اليوم الثاني توجهنا إلى محل حكومة الانكليز بهذه البلاد
 فوجدنا سفينه عنيد سفرها إلى بلاد الانكليز لا أنها في انتظار اثام
 جمولتها فاقتنا يومين إلى أن تم وسقها فركبناها وحمدت المولى على
 قرب مسافة الانتظار وتخلصي من اهل تلك الديار وكان ما عندى
 من شدة الفرح بالعود إلى الوطن والخروج من ارض الغربة
 والتخلص من هذه الكربة وشدة شوقي إلى بلدي قد جعل علي
 مدة اليومين اللذين مضيا في الانتظار طويلة إلى الغاية حتى كنت
 أتخيل أنها اطول من مدة اقمتني في هذه البلاد كلها وهي اربع سنين
 فلم أكن في هذين اليومين يهدا لي سر ولا يهدا لي عيش حتى
 انقضت ونزلنا في السفينه كما ذكرت وسارت بنا فداخلني من الفرج
 والسرور ما لا اقدر على وصفه وعزمت على اني متى وصلت بلدي
 اقمت بها ورجعت الى صنعتي ورضيت منها بكل ما تيسر واقتلت
 مع أخي الى ان يرزقها المولى من يتزوج بها ويغنىها عن الخدمة
 وتعبرها
 وكان ذلك الرجل السائح الذي كت بصحبته لحسن طاعتي

له وقيامي بخدمته احبني والغني وجعلني عنده بمنزلة ولده وهكذا
 كان دأبه معي برأ وبحراً سفراً وحضرأ حتى انه نفعني كثيراً بعد
 وصولي الى بلدي واقامتي بوطنى كما ذكره لحضرتكم وطالما افادني
 مدة صحبي له في السفر اخباراً كثيرة ما شاهده في سياحنه وعلمني
 اموراً كثت اجهلها ووصف لي كثيراً من خواص حيوانات
 الافريقة ونباتها واشكال طيرها وعجائب الخلائق البرية والبحرية
 بها ولا يخفى على حضرتكم ان ارض افريقة على العموم بها من جميع
 انواع الحيوانات المفترسة والوحش الضاربة كالاسد والنمر والفيل
 ما لا يوجد بغيرها وفي الجهات التي كت بها كثير من هذه
 الحيوانات مأواها الغابات والصحاري واشدتها واقساها السبع وهو
 في جهات (السني غال) و(غمبيا) عظيم الجثة مهول الخلقة كثير
 الحجم ذو قوة عظيمة وبأس شديد فهو اعظم ما يوجد من هذا
 النوع في سائر الجهات كجبل الأطلس مثلـ

ولما خرجنا من الجهة التي كت بها قاصدين جهة الساحل
 وجدنا في طريقنا بعد مسيرة ثلاثة ايام من قرية (تابو) غابة واسعة
 فيها اشجار عظيمة قد انطبقت اعلاها وتلاقت فروعها فكان نراها
 كالقبة فوق رؤسنا وقد حجيت عنا اشعة الشمس فلم نكن نراها الا
 قليلاً نادراً وهذا السبب كان داخل هذه الغابة ابرد من خارجها
 وكما في مدة سيرنا بها نسمع للسبعين جميع جهاتها اصواتاً مزعجة

حتى كنا نتخيل لشدة الخوف أن تحت كل شجرة سبعاً وكان من معنا من الحرمس والخفراء يسرعون ويجهزون على السرعة في السير خوفاً من إذاها ولكن الحمد لله لم نر شيئاً منها وما زلنا نجد في السير حتى خرجنا من هذه الغابة قريباً العصر وسرنا حتى امسينا على عين ماء هناك للمييت فنزلنا عندها ومن عادتهم في تلك الجهة انهم اذا باتوا في الخلاء او قدوا ناراً على بعد وتركوها لل صباح لتنفير السباع والوحوش عنهم وكذلك فعل من كان معنا من الخفراء وبتنا على الخوف والخشية من الوحوش والسباع وكانت المسامرة تلك الليلة كلها في ذكرها فكان كل من الحاضرين يذكر ما سمعه او رأه من امرها وشرها

المساورة التاسعة والستون

السباع

(من حكاية يعقوب)

فما جرى ذكره في تلك الليلة ما حدثنا به بعض المخراء وقد
 رأينا باحدى فخذيه اثراً غائراً في لحمه فسألناه عنه فقال هذا
 موضع أكل السبع وذلك اني خرجت مرة مع بعض اصحابي
 لنصطاد فيلاً من بعض الغابات فلما دخلنا النابة تفرقنا فبعدت
 عنهم فقصدني سبع فتجددت ورميته بحجرة كانت معي فاصابتني ولكنها
 لم تذهب بقوتها فهم عليّ بشدة وكان معي سكين ماضية فذبحته بها
 بعد ان انشب مخالبه في جهات من جسمي واقتطع من فخذلي هذا
 قطعة عظيمة من لحمي فوقعت على الارض ووقع بجانبي ميتاً ثم
 حضر اصحابي فوجدوني جريحاً طریحاً على الارض والأسد بجانبي
 غريق في دمه فاحتلواني معهم وبقيت مدة من الزمن مريضاً الى

ان شفيت وقال اخر بينما انا ساعر مرة في وادى اذا باسدا قد تعرض
 لي في الطريق و كنت وقتئذ لا سلاح معي فلما رأيته لصقت
 بالارض واشرت اليه اشارة المتذلل بين يديه فلما رأى مني ذلك
 اتى اليّ ودار مرة او مرتين حوالي ثم تركني وانصرف
 قال يعقوب وهكذا قضينا ليتنا في امثال هذه الاحاديث
 والاخبار الى ان طلع علينا النهار فرخلنا وسرنا في طريقنا الى ان
 وصلنا الى الساحل كذا ذكرنا وكان من جملة ما افادني ذلك
 السائح من خواص الحيوان ان لسان السبع غليظ خشن يعلو
 سطحه شوك دقيق كالسل الـ انه صلب مادته تشبه مادة القرن
 مائل الى جهة الخلف نحو المخلق وقد يبلغ طول الشوكة قدر
 اربعة خطوط فإذا لحس انساناً او حيواناً تجروح وسال دمه فتحرك
 منه نسمة الاكل فيفترسه

قال ومن ذلك ان احد الفنساوية كان اصطاد اسدًا صغيراً
 فرباه حتى كبر عنده وكان لذلك الفنساوي خادم يلاعب الاسد
 وينام معه وتارة يعطيه يده فيلحسها فنهاه سيده عن ذلك ونصحه فلم
 يرجع ولم يقبل نصحه فبينما هم نائمون ليلة وإذا بالشبل قد عمد الى
 الخادم وصار يلحس يده بمسانه على العادة فسأل الدم فلما رأاه لم
 يتذكر نفسه فهجم على ذلك الخادم وافتترسه فتبشه سيده فرأه
 كذلك ففر هارباً واستغاث بن حوله واجتمعوا عليه واطلقوا
 الرصاص على الاسد فقتلوه وللاسد في كل فك من فكيه اربعة

عشر سنًا اربعة اماميه واربعة من خلفها وستة اضراس في كل ناحية من شدقيه ثلاثة وعلى رقبة الذكر خاصة شعر ينشر اذا حاج وهو لبدته ويقال ان الانثى من هذا النوع اقوى من ذكره وفي ارجله قصر بالنسبة لتركيب اعضائه وفي كل من الرجلين المقدمتين خمسة اظافر وفي كل من المؤخرتين اربعة وذنبه طويل وشعره خشن متلبد قصير وقد ضرب المثل بحراًته لانه لا يبالي بمحوان ولا يخشى من انسان قل او كثر خصوصاً اذا اشتد به الجوع فاذا لم يرد الهجوم والاقتراس مضى في طريقه من غير اكتراس ولا مبالغة وليس من طبعه الفرار من عدوه منها كان فان الجيء الى ذلك تهقر قليلاً قليلاً مع البطء والتأني حتى يصل الى مكمن ينزو اليه فيه ويقال انه مصاب بجمى دائمة وان سبب ذلك التهاب دائم في دمه وزعم كثير من الناس انه لا يفترس المرأة وقال بعضهم ان ذلك لا اصل له ولكنه شوهد مراراً كثيرة يعف عن وقع تحت قبضته وخضع له من الادميين بل ربما شارك في طعامه من عف عنه ابقاء على حياته

ومن طبعه انه يحمل العطش ثلاثة ايام او اربعة فاذا وقع على الماء شرب كثيراً ومن طبعه ايضاً الخوف من الشعيان ويعلم ذلك منه العرب وسكن الصحراء فاذا وقع باحدهم جعل عمامته على صورة الشعيان ومدتها على الارض فاذا رأى ذلك الاسد تركه

ومضى

ويقال ان خيل العرب مع ما لها من القوة وخفة الحركة
وسرعة الجري اذا رأت الاسد استولى عليها الرعب وعدمت الحركة
فتثبتت في مكانها ولا تقدر على السير فإذا رأى البدوي ذلك نظر
إلى جهة الاسد فان كان فریماً نزل عن فرسه ونام على بطنه
وترک فرسه للأسد فيفترسها الاسد وينجو هو بنفسه وإن كان بعيداً
او قد ناراً فإذا رأها الاسد مضى لسبيله وترکه

وتلد انى الاسود اربعة فاكثر وليس لها غير ثديين وقد
اعناد الاعراب اخذ اولادها وهي صغيرة ليبيعوها للافرنج فإذا رأتم
اللبوة هجمت عليهم فيرمون لها بواحد منها فتحمله إلى موضعها وترجع
اليم لتحققهم وتأخذ بقية اولادها وفي هذه المدة يكونون قد نجوا با
معهم ومن طبع الاسد حفظه للود ووفاءه بالعهد فإذا صنع احد
معه معروفاً لا ينساه ابداً

فمن ذلك ما اخبرني به بعض اصحابي . قال كان عند حاكم
(سيار البونا) اسد ظهر على جسده بعض قروح اضرت بصحنه
واضعفته جسمه وكان هناك حكيم فأخذته الرأفة عليه والشفقة
به فعالجها حتى برئ واندملت قروحه وتراجعت صحته وقوته فألفه
واحبه وصار يطيعه ويتقاد له ويتبعه كما يتبع الكلب المعلم صاحبه

المسامرة السابعون

ابن آوي

(من حكاية يعقوب)

قال ثم ان ذلك الحكيم مرض مرضًا مات فيه فظهر على الاسد الحزن حتى منعه من الطعام فمات ولم يعش بعده الا قليلا وفي جهات سواحل افريقيا غير ما ذكر كثير من الوحش والقردة والطيور العجيبة ذات الالوان اللطيفة والاشكال الظرفية وانواع الحيوانات الغريبة فلا يكاد يمر الانسان من جهة الى غيرها الا رأى من عجائب المخلوقات ما لم يكن رأه من قبل ومن جملة ما بها من الحيوانات ابن آوي وهو حيوان مفترس في جرم الثعلب وكأنما اصله من كلب وذئب لانه يشبهها خلقة وتركيبا ولونه اصفر ناصع ولها سماه (فيتاوس) الكلب المذهب وبعضهم يسميه بالكلب الوحشي وانيابه غليظة في طول اصبع قوي الاظفار ذو قسوة

شديدة يفترس كل ما قدر عليه من انسان وحيوان وكثيراً ما
 رأيته في البلاد التي كنت بها يقرب من مباني البلد ويدخل في
 بعض الدور وياخذ ما وقع به من الغنم والمخازير ودخل ذات
 ليلة بيت جارية فاختطف منه بنتاً لها وحملها على عاتقه وجرى بها
 وكان يسندها باحدى قوائمه ويسني على الثالث مع السرعة والخفة
 فصاحت البنت فتبعت الناس لصياغها فقاموا خلفه فرمادها لهم
 ولم يجدوا بها إلاّ اثراً صغيراً محل اظافره التي كان قابضاً بها
 عليها ويقال ان هذا الحيوان يهوي الصيد للأسد فيدور من جهة
 الى جهة ليبحث عن الصيد فتئي عثر به صاح باعلى صوته فيسمعه
 الاسد وينجذبه ويلحقه وقيل ان ذلك لم يصح وإنما الصحيح انه اذا
 جرى وراء طريده فادركه الاسد شاركه فيما اصاب
 وقد يتالب من هذا الحيوان في بعض الاحيان لربعون او
 خمسون فتبعدت للصيد وتأخذ في عواء شديد جهير وإذا انحدرت
 وهي على مثل هذه الحال كانت مكافحة للوحوش الضاربة في
 اجامها وتعرضت لاقواها ويساعد بعضها بعضاً في الصيد ونبش
 المقابر وهي تستكن نهاراً منفردة في احجارها وتجمع عند المساء سرباً
 وتغیر على القرى للقتل والاغتيال وبين ابن آوى والكلب من
 العداوة ما لا صالح معه فلا يلتقيان مرة إلاّ سطا احدهما على الآخر

المسامرة الحادية والسبعون

النمر

(من حكاية بعثوب)

ومنها النمر وهو حيوان في جرم الكلب السلوقي ومنه ما يكبر
 ويعظم جسمه حتى يصير كالجمل وشعره ناعم براق منقط بنقاط سود
 ورأسه كراس الهر اصفر العينين حاد الاسنان خشن اللسان طويل
 الارجل والذيل قصير الشعر حاد الاظافر الى الغاية عظيم الجرأة
 يقدم على الفيل ويحجم عليه وهو كالهر في غالب صفاته وافعاله
 وحركاته مع الشدة والشهمة كما انه يشبهه في شكل الجسم فان
 كان اكبر من القطة في الحجم وأكثره قوة وجرأة ما يوجد بافريقيا
 والنمر لبسالته وزيادة قوته لا يصاد حيَا أَلَّا نادِرًا لانه اذا وقع في
 حالة قل "ان يسلم منه صائداته ولذلك يخذلونه لصيده نبالا
 مسمومة الاسنان وهو يعود على الفيل فيزق خرطومه باظافره

وانيا به فيموت لأن خرطوم الفيل بالنسبة له كيده يتناول بها
 الغذاء وسلاحه الذي يدفع به عن نفسه الاعداء فإذا فقدت مات
 من عدم الغذاء وتسلط الاعداء ومع جرأة النروشدة قوته قد
 شوهد مرة من بعض الخنازير مقاومته بالكثرة فقد اتفق لبعض
 السائرين وكان يقتني الخنازير انه اصطاد نمراً صغيراً ورباه فعمد
 ذات يوم الى خنزير من تلك الخنازير ليفترسه ففر الخنزير منه الى
 مكان ضيق بحيث لم يبق للنمر سبيل عليه الا من جهة واحدة
 فتبعده النمر وصاقهه فلما لم ير الخنزير الى الخلاص منه سبيلاً صاح
 على اخوته باعلى صوته وكانت منتشرة في نواحي البيت فلما سمعت
 هرعت اليه واحتاطت بالنمر فلم ينج منها الا بالفرار فولى وتركها
 والنمر انواع متعددة تتميز بعضها عن بعض بالالوان والنشط وكبر
 الجثة وهو يستحب لحم ما عداه من الحيوان على لحم الادمي ثم لحم
 السودان على لحم البيض والاروبين لكنه اذا جاء لا يفرق بين
 ادمي وغيره والسودان يأكلون لحمه كما يأكلون لحوم الفيلة
 والاسود وغيرها وكثيراً ما يقتلون من يقصد الاتجار في جلده
 ويقال ان فيه قابلية للتعليم الى ان يصير كالكلب المعلم الا انه لا
 يوثق به لانه ربما يغلب عليه طبعه بعد حين ويقرب منه نوع
 يسمى القط الناري وهو كالنمر في طبعه ولو انه الا انه اقل منه جسماً
 ويكون في ارتفاع القط المعتمد الا انه اغاظ منه حجماً ويأكل
 الفار وابن عرس وغيرها ومنه نوع يعرف باليقياس يوصف

بصفات النمر الافريقي غير ان طوله قلما يجاوز ثلات اقدام ونصفاً
 الا ان شعره اطول وكذا ذنبه بالنسبة الى جنته ولو نه ما بين
 الصفرة والبياض ولكن بطنه اشد بياضاً من ظهره وتقطه كالنقط
 التي في النمر وضعاً وتوشك ان تصير على مؤخره خطوطاً وهو
 من الحيوانات المفترسة الا انه لا يتعرض للادمي الا ان تعرض
 له ولم يمكنه الفرار منه فعند ذلك يثب عليه وينشب مخالبه في
 وجهه ويكرر ذلك مراراً حتى يقتله وبين هذا الحيوان والكلب
 عداوة شديدة فتى رأه بادر الى الهجوم عليه ليفترسه ويأكل من
 لحمه ولو مع افخام المخاوف والتعرض للتلف وقد يدرب في بعض
 الجهات ويغرس بالصيد ولكنه ليس له قوة شم حادة كما للكلب
 ويقال ان بعضاً من هذا النوع ربى تربية حسنة حتى كان يؤخذ
 باليد ويخنقن

المسامرة الثانية والسبعون

الفرَّدة

(من حكاية يعقوب)

وهناك حيوانات غير ما ذكر متواحشة كالذئب والخنزير وغيرها وكلها تشبه في شكلها وتركيب صورتها ما يوجد منها في سائر البلاد إلا أن الموجود منها في إفريقيا أعظم جسماً وأشد توحشاً وأكثر عدداً ويوجد في غاباتها من الحيوانات المتواحشة الجاموس والبقر لأنها أقل وجوداً من غيرها وقد يكبر الجاموس عندهم حتى يصير كالغيلة وإن تعرض له أحد بالأساة هجوم عليه فان لحقه داسه بارجله وإتلفه ومن طبعه انه يحب الماء حباً زائداً ولحمه مستطاب لذيد وأما البقر فيهرب من الانسان ويسكن الغابات ويتناصل فيها فيكثُر عدده إلى الغاية فيأتي أهل تلك الجهة

وياخذون منه كثيراً ولو لا ذلك لضاقت عنهم الأرض وهناك من
 نوع الظباء كثير وأكثر وجوده بجهة (امندا) والساحل وهو انواع
 ومنه نوع يداء أقصر من رجليه ويشبه الجمل في ذيله ورأسه
 ووبره وحول اجنائه دائرة من الشعر سوداء كاعين الايل وصوته
 كصوت الماعز ويقبل التاليف والتربية وما يكثر وجوده في تلك
 الجهات الايل وله اوقات معلومة يخرج فيها للمرعى قطائع متجمعة
 تساور من شمال نهر (السينجال) الى جهة جنوبه في طلب المرعى
 وأهل تلك الجهة يعرفون اوقات رجوعها فيستعدون لاصطيادها
 بان يضرموا النار في الحشيش من جميع الجهات ما عدا جهة
 النهر ويقف جماعة منهم بشاطئ النهر فإذا رأت قطاع الايل النار
 قد احاطت بها من كل جانب فرت الى جهة النهر فيقوم عليها
 الذين كانوا لها هناك فيقتلون منها ما يقتلونه وياخذون بالحياة ما
 يأخذونه وما يدبحونه يجفون لحمه في الشمس ليأكلوه وجده
 ليبيوه للأوريين أو غيرهم وقد اخبرني ذلك السائح الانكليزي
 انه رأى هناك حيواناً صغير الحجم في قدر خنزير مصري عليه سنة
 من عمره شعره ابيض قصير دقيق صلب ورأسه كراس الدب
 وعينيه ضيقة ذات لمعان وله اظافر حادة يصعد بها الشجر ويأكل
 من ثمارها ويقيم بين اغصانها وهو بجري بري يعيش في الماء وفي
 الهواء فلهذا يرى دائماً فوق اغصان الاشجار بالقرب من شواطئ

الانهار والسودان يصطادونه ويأكلونه
 وليس هناك أكثر من القردة عدداً وأنواعاً ولا اعجب منها
 طباعاً وتسرح مجتمعة قطائع عظيمة قد يصل عدد القطيع الواحد
 منها ثلاثة آلاف فأكثر ولا يشي واحد منها إلا مع ابناء نوعه
 ويقال ان لكل قطيع منها رئيساً تطيعه وتقاد له وحرساً يرتب من
 اعظمها جثة وقوة وإنها اذا سارت يكون الرئيس امامها والحرس
 خلفها والانثى تحمل ولدها تحت ابطها فان كان لها أكثر من واحد
 حملت ما بقي على ظهرها وسارت بها

وفي هذا النوع من الحذق والخفة والقوة والجرأة ما يقضي منه
 العجب ولا يوجد في كثير من الحيوانات فقد رأيتها حين عودتنا
 مع السائح الانكليزي وهي فوق الشجر شب من غصن الى غصن
 ومن شجرة الى شجرة كأنها فوق الارض وهذا اصوات مختلفة منها
 الرفيع ومنها الغليظ وما بين ذلك ولكنها كانت تارة تصيح دفعه
 واحدة فيظن من لم يرها انه صوت واحد منها وقد يسمع لبعضها
 في جوف الليل صوت عال يعلو جميع اصواتها فتسكت جميعاً
 برهة من الزمن ثم ترجع الى ما كانت فيه وكانت رأيت هناك بيوتاً
 صغيرة كثيرة العدد مصنوعة من اغصان الشجر قليلة الارتفاع عن
 وجه الارض متباورة فسألت عنها بعض الحرمس الذين كانوا معنا
 فأخبرني انها بيوت للقردة تقى بها حر الشمس وضرر العوارض

وكل ما رأيته من القردة له ذيل ولكن اخبرني بعض السائرين
 ان منها ما لا ذيل له والقردة انواع فنها نوع صغير الجثة غير مؤذ
 وصوته يشبه بكاء الاطفال ونوع اكبر منه خلقة وضرره كثير
 وفيه بعض فطنة وله حركات واسارات تقرب ما للآدمي من
 ذلك فضلاً عن الايدي والارجل حتى ان السودان يعتقدون ان
 في امكانه النطق وإنما يمنعه من ذلك خوفه من ان يكلف الاعمال
 الشاقة كالآدمي وضرره على المزارع كثير ومن عادته انه اذا اراد
 الدخول في مزرعة من مزارع الارز او الذرة اجمع منه نحو
 الأربعين والخمسين وصعد كبيراً على شجرة لينظر الى كل جهة
 والبقية تدخل في الزرع وتجمع ما شاءت فإذا لم الذي على الشجرة
 صاحب الزرع او غيره مقبلًا الى جهتهم على بعد صالح صيحة مهولة
 فيأخذ كل واحد ما جمعه ويصعد به الى شجرة ولا يزال يسب من
 غصن الى اخر ومن شجرة الى غيرها واذا كان فيه اثنى ذات اولاد
 اخذتها وصعدت بها كذلك وفعلت فعل البقية حتى يخلص
 الجميع ولا يحصل صاحب الزرع الا على الاسف ولذلك كانت
 كراهة السودان لهذا النوع اشد منها لغيره
 ونقل بعضهم عن اهل تلك الجهة ان القردة كثيراً ما تختطف
 بنات صغيرة في نحو تسع سنين من العمر وترفعها الى اعلى الاشجار
 وتبيدها ويسقطها السودان من القردة في كل سنة عدداً

كثيراً وياكلون لحمة ومن طرقم في اصطيادها من فوق الشجر
 ان يخداشوا وجوهاها بعض او رماح طويلة فاذا فعلوا بها ذلك
 تركت الاغصان التي هي متعلقة بها ووضعت يديها على محل المحرج
 فتسقط على الارض فياخذونها وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذا
 الحيوان على مثلي متعر وتفصيل انواعه وافعاله وطبعه غير
 متيسر وما من احد الا رأى كثيراً من افراده ويعلم هيأتها واشكالها
 وبعض احوالها وإنما اقول لحضرتكم ان الذي رأيته من عادتها
 الالزمة لها ان افراد كل جنس منها تكون مع بعضها ولا تختلط
 بغيرها ومنها نوع يعيش في الغابات ولا يفارقها وهذا النوع اسود
 الوجه ما عدا الخد فانه ابيض وفي ذقنه شعرات قليلة كاللحية ولو ن
 جسده يضرب الى الزرقة او البياض او يكون منقطاً بنقط زرق
 او ابيض او حمر ومنه ما تكون هائل المنظر والسودان ياكلون
 لحمه فيجفونه ويدخلونه في طين الارض ويزعمون انه من احسن
 الاطعمة وانت خير بان مجرد منظره كافٍ في تغيير المعدة ومنه
 جنس يوجد في بعض اعضائه نوع شبه لاعضاء الادمي كالوجه
 وللاذان والذراع وقصبة الرجل والكعب وغير ذلك وكثيراً ما
 يرى ماشياً على رجليه الخلفيتين منتصب القامة حاملاً لاتصال
 عظيمة ويبلغ طول هذا النوع خمس اقدام وهو عبل الذراعين
 ضخم الجثة قوي البنية الا انه قليل الاذى لين الجانب ياخذه بعض

الناس صغيراً فيعوده على بعض الخدمة والعمل فيجمل آنية الماء
 على راسه متتصباً ويدير الرحي ويملاً الاواني من ماء الابار والعيون
 والانهار ويتسوي الملح الى غير ذلك من خدم يعود عليها ويعلمها
 فيعلم ويعد على ما يراد منه من صغره ولا يوحذ للتربيه الا في
 صغره وهو في حال توحشه صعب الانقياد شديد القوة يغالب
 الرجل فيغليه ويقلع عينيه ويفعل به افعالاً فبيحة تؤدي الى تلفه
 وكثيراً ما يقع بين القردة محاربات شديدة تؤدي الى قتل بعضها
 بعضاً

المسامرة الثالثة والسبعون

سنور الزباد

(من حكاية بعنوب)

وهناك من الحيوانات قط الزباد او سنور الزباد وقد يقال له قطة المسك ويوجد كثيراً بين جبل (الاطلس) و (السيجال) وفي ولاية (ناطيا) من ارض الحبش وولاية (كوجا) فوق (سيالبونا) وقد اختلف الطبيعيون في صفة هذا الحيوان فزعم بعضهم انه نوع من الضباع وقال انه في شكل الضبع وقال آخرون انه في حجم الكلب وله خرطوم رقيق الطرف وفي عينيه واذنيه ضيق وله شوارب كشوارب القط وله ذيل غليظ يشبه ذيل الثعلب وعلى ارجله شعر طويل اسود وله في كل رجل خمسة اظافر سود مستقيمة حادة وهو من الحيوانات المفترسة وجراحه مصر

فإذا أراد الصيادون صيده حفرو له حفرة في طريقه فيقع فيها
 فيأخذونه ويضعونه في أقفاص من خشب ونحوه ويطعمونه لحمًا نيءاً
 قطعوه له قطعًا صغيرة ومادة الزباد من هذا الحيوان تجتمع تحت
 ذيله في غشاء كالكيس نحو ثلات أصابع طولاً وأربعين ونصف
 عرضًا وداخله أغشية متعددة ومن داخلها تلك المادة ويوجد هذا
 الكيس في الذكر عند دبره وفي الأنثى عند فرجها وفي الغالب
 يصاد هذا الحيوان في صغره فيؤخذ ويربي وتؤخذ منه تلك المادة
 وكيفية اخذها منه انهم بعد ان يصطادوه يضعونه في شيء كالقفص
 ثم يأتون اليه كل يومين او ثلاثة فيزبحونه بعصي او نخوها حتى
 ينزوئ في ركن من اركان القفص فيقبضون على ذيله ويسبحونه
 من بين عيدان القفص بعنف وشدة فيمسك الحيوان برجليه
 والخلفيتين في القفص بكل قوته فعند ذلك يوضع تحت بطنه شيء
 يمنعه الحركة وحيثئذ يسهل اخذ المادة منه فيأتون بشيء كالملعقة
 فيدخلونها في ذلك الكيس ويأخذون ما تجتمع من تلك المادة
 بالاتقاء على غشاء الكيس وغاية ما يستخرج من تلك المادة كل
 مرة درهم ونصف او درهان وهذه المادة تكون في اول امرها بيضاء
 مشوبة ببعض زرقة ثم تستد بياضًا ورائحتها على بعد الطف
 منها على القرب لاثها اذا كانت قريبة كانت مصدعة لقوتها ولذلك
 كان تجار الاعطار يخلطون بهذه المادة غيرها فتعتدل رائحتها ومن
 هذا الحيوان في بلاد الفمنك كثير وهذا السبب كان اكثر ما

يجلب من الزباد الى بلاد الانكليز والفرنسيس وغيرهم وارداً من
 الفلمنك وغالب قوت هذا الحيوان عند من يصطاده البيض
 واللبن ويقولون انه اي هذا القوت يصفى بياض المادة المستخرجة
 منه ولذا كان المجلوب من بلاد الفلمنك اشد بياضاً من المجلوب
 من افريقا واسيا لان قوته في هاتين الجهتين اللحم خاصة ويوجد
 هذا الحيوان ايضاً بكثرة ببلاد الهند الا ان ما يؤخذ منه لا يساوي
 ما يؤخذ من حيوان جهات الفلمنك لان زباد هذا اعلى وثنه
 اغلى والمستغلون بتجارته يرسلونه الى البلاد البعيدة فيربحون فيه
 ارباحاً كثيرة ومن يقتني هذا الحيوان في تلك الجهات ينفق عليه
 نفقات كثيرة وذلك لأنهم لا يطعمونه الا لحم الدجاج والطير
 وأوان اصطياده الصيف حين تكون اشجار الغابات كثيرة الاوراق
 ويبلغ ثمن الواحد منه نحو اثنى عشر شلينا انكليزية وغذاؤه في حال
 صغره ثريد يعمل له من لحم طير او سمك مطبوخ مع ذرة ويستحب
 اقتناه الذكور من هذا الحيوان على الاناث لان زباد الذكور
 احسن واجود فانه في الاناث كثيراً ما يصل اليه بوها فيغيره

المسامرة الرابعة والسبعين

الوصول الى باريس

قال ناقد الحديث فلما وصل يعقوب الى هذا الموضع من كلامه
 كانوا قد قربوا من مدينة باريس فقال الانكليزي انه يوجد في ارض
 افريقيه وفي الجهات التي كان بها يعقوب غير ما ذكره حيوانات كثيرة
 هائلة الخلقة ومؤذية منها الافعى والتمساح وفرس البحر وانواع غيرها من
 الحيوان قد وصفها السائحون في كتبهم فنها ما يسكن في البر ومنها
 ما يسكن في البحر ومنها ما يعيش فيها جميعا وفيها من الاعشاب
 والنباتات ما ليس في غيرها وكنا نحسب ان نسمع منه بقية ما شاهده
 هناك ورآه وما سمعه من اجتمع عليهم من اهل تلك البلاد ولكن
 حيث اشرفتا على باريس فنكثتني منه الان بما سمعناه ونسنوفي الكلام
 في وقت اخر

قال الشيخ لقد قطعنا الطريق بهذه المحادثات اللطيفة بحيث
لم نشعر بطول المسافة واستفدنا في ضمها فوائد كثيرة من معرفة
احوال تلك البلاد وما فيها من انواع المخلوقات وغرائب احوالها
وبودي لو عرفت ما حصل لاخت يعقوب بعد غيابه عنها وكيف
كانت حالتها ومعيشتها بعد

قال يعقوب ان قصة اختي كقصتي بل اغرب وغضتها بعد
فراقني لها كقصتي واصعب وساشرح لكم ما قاسته بعدى من
المشقات وال المصائب وانواع المحن والشدائد حتى اضطرها الحال
الي قطع النظر عما يستدعيه سنهما من اللذات والشهوات الدنيوية
فاعرضت عن الدنيا وما فيها ودخلت ديرًا من ديوار الراهبات
وترهبت فيه الى ان ماتت ولم ارها وبينما هم في هذا الحديث واذا
بالوايور وصل الى موقف سكة الحديد بباريس فنزلوا به وذهب
يعقوب فاحضر لهم عربة فركبوا جميعا وساروا الى لوكاندة قد سماها
الانكليزي ليعقوب فاخبر بها العربي فأوصلهم اليها بعد نصف
ساعة فكان الشيخ مدة سير العربة ينظر الى ازدحام الناس في
الطرق وكثرة الدكاكين وحركة التجارة وهيئة المنازل واتظامها
ورونقها ونظافة الطرق وبهجهتها ويتعجب في نفسه من حسن ذلك
كله وكذلك ابنه كان لا يصرف نظره من شباك العربية حيث
رأى بشوارع باريس احسن مارأه سايقا بمدينة مرسيليا فلما وصلوا
إلى اللوكاندة نزل يعقوب من العربة وأخذ بيده الشيخ فنزل وكذلك

نزل الانكليزي وبرهان الدين ودخلوا فقابلم الخادم وذهب بهم
 الى حجرات لائقة بامثالهم فلما اطأنوا في مجالسهم امر الانكليزي
 باحضار الطعام فاكروا وشربوا القهوة وجلسوا برهة لطيفة في
 محادثات خفيفة وكان ذلك قبيل الظهر فقام كل الى محله المختص
 به ليزيل عنه اثر السفر وينخلع ما عليه من الثياب ويلبس ثيابا
 اخرى وبالمجملة قام الشيخ الى حجرته فاستراح ورقد برهة ثم قام
 فتوضاً وصلى وغیر ثياب السفر وكذلك فعل ابنه واخنار برهان
 الدين احسن ثيابه وقعد في انتظار يعقوب ليخرج للتفرج في المدينة
 فلما علم والده منه ذلك قال له يابني ان خرجت الان بهذه الهيئة
 حدق الناس اليك بابصارهم واحتاط بك كل من مررت به
 من رجالهم ونسائهم واطفالهم وربما كان ذلك لأدبك مانعا لك
 عن بلوغ اربك فالاولى ان تصر حتى نعرف رأي صاحبنا بهذه
 بلاده وهو ادرى باحوالها ونحن فيها اغراب فقال برهان الدين
 الرأي ما تراه وسكت ثم حضر عندها يعقوب وهنالها بالسلامة وقال
 لها ان الانكليزي امره ان ينظر الشيخ هل قام من النوم وهل ينشط
 مللاقاته فلما ذكر اليه ويسلم عليه ام يؤخر ذلك برهة فشكراه الشيخ
 واثنى على اخلاقه وذكر معروفة وقال له انه يجب ان يراه فليحضر
 على الرحب والسعنة ان احب فرجع يعقوب الى الانكليزي وخبره
 بما قال له الشيخ فقام الانكليزي وحضر الى الشيخ فتلقاء بالترحيب
 واخذنا يتجاذبان اطراف الحديث من بعيد ومن قريب فقال

الانكليزي ان هذه المدينة من احسن مدن الدنيا واعظمها لحسن
 نظامها وكثرة ما فيها من المباني اللطيفة والأشياء الظرفية فان
 استحسن الشيخ جعلنا لنا في كل يوم وقتا للترفج عليها والوقوف على
 كل شيء على حدته واريد ان احصل رخصة للدخول في المحلات
 الشهيرة التي لا يباح الدخول فيها الا بالاذن فقال الشيخ انت
 ادرى بيلاذك وانا على راييك ومرادك فما وافق ائيـه وما لم يوافق
 ابيـنه ولا ترى منـا الا طاعة الرفيق الموافق للخل الصادق وعندـنا
 من الشـوق الى معرفـة احوالـ هذهـ المـديـنةـ العـظـيمـةـ والـوقـوفـ عـلـىـ
 احوالـ اـهـلـهاـ وـتـعـرـفـ ماـ بـهـاـ مـنـ الآـثـارـ الـبـاهـرـةـ وـرـوـائـعـ الصـنـائـعـ
 الـزـاهـرـةـ ماـ تـشـتـدـ بـهـ حاجـنـاـ إـلـىـ اـسـطـلـاعـ ماـ عـنـدـكـ وـاتـبـاعـ رـايـكـ
 وـالـوـقـوفـ عـنـدـ اـشـارـتـكـ لـاـ سـيـماـ وـقـدـ رـأـيـناـ مـنـ مـعـرـوفـكـ وـمـحـاسـنـ
 اـخـلـاقـكـ وـاسـتـفـدـنـاـ مـنـ فـوـائدـكـ مـاـ تـقـدـرـ قـدـرـهـ وـلـاـ نـسـىـ اـثـرـهـ وـلـاـ
 نـهـلـ ذـكـرـهـ وـنـسـالـ اللـهـ اـنـ يـتـوـلـ هـدـاـيـتـنـاـ جـمـيـعـاـ إـلـىـ طـرـقـ الرـشـادـ
 وـيـكـافـيـكـ عـلـىـ حـسـنـ هـذـاـ الصـنـيـعـ فـهـوـ القـادـرـ عـلـىـ مـاـ اـرـادـ
 قال الانكليزي اني ارى من الواجب علي وجوب الفروض
 الالزمة ان ابذل اقصى جهدي وغاية ما عندي في استجلاب رضاكم
 وادخال السرور عليكم حيث كنت السبب في تغريبكم الى هذه
 البلاد ومفارقة اهل الوطن والآباء وتحمل متاعب السفر فلا
 هم لي سوى الاشتغال بما يخفف عليكم مشقة الغربة وصعوبة الفراق
 بالاطلاع على ما تحبون لا اطلاع عليه من احوال هذه البلاد

وتحصيل ما يتعلّق به أغراضكم ومقاصدكم وما يكون فيه سروركم
وتنسح به صدوركم فارجوك الا تتحاشى من طلب شيء تريده
فذلك غاية مرادي وبغية فوادي وحيث كانت هذه بلادنا وانت
فيها غريب فان رأيتم فيها شيئاً تحبون الوقوف على حقيقته فاسئلوا
عنه فان كان عندي فيه علم ابدیته لحضرتكم والا سأله عنه من
يعرفه واخبرتكم به ونحن نحتاج الى الاقامة في هذه الحاضرة مدة
من الزمان لقضاء بعض اغراض تلزمني فنصرف اوقات الفراغ من
هذه المدة في التفسح في ميادين المدينة ومنتزهاتها والتفرج على مبانيها
وعمارتها الشهيرة والمسامرة في احوالها وتواريختها وحوادثها القديمة
والحديثة

فقال الشيخ لا عدلت معروفك وغاية مرادي ان اقضي هذه
المدة في استفادة ما عساه يكون فيه منفعة اوطاناً وفي نيتى ان
اكتبه مجموعاً اضمنه كل ما اراه واستحسنه في هذه السياحة في
كتاب ليكون تذكرة لي اذا عدت الى سكني وظرفة مجلوبة الى
أهل وطني

فقال الانكليزي لا يخفى على حضرتكم ما حصل من اهل
مرسيليا حين كنا بها من تجمعهم عليكم واحاطتهم بكم حين رأوكم في
الميئه المصرية فان كتم تضررون من ذلك فلا بأس بالنزيف
يزوي هذه البلاد مدة الاقامة بها لتشهروا باهلها وتخالطوا بهم
فقال الشيخ لا ضرر علي من تجمعهم بل ربما كان فيهفائدة

زائدة وذلك لاني اتمكن حينئذ من رؤيتهم والتامل في ذاتهم
وهيأتهم والوقوف على احوالهم وعاداتهم على ان بقائي بهذه الهيئة ربما
كان سببا في الرعاية والتوفير اذ من العادة الجارية كثرة احترام
الغريب وتوفيقه والتجاوز عما عساه يحصل من تصريحه فالاوفق بنا
البقاء على ما نحن فيه لا سببا ونحن اذا غيرنا هذه الملابس التي
اعندنا عليها من صغرنا ولم نعرف غيرها في عمرنا احتجنا الى مدة
من الزمن للتعود على تلك الهيئة الجديدة وانقانها
قال الانكليزي ذلك اليك ونعم ما رأيت وما عرضت
عليك هذا الامر الا لاني خطر بيالي ان ذلك ربما يكون من
اغراضك فاسعى في تحصيله واذ لم ترد ذلك لنفسك فهل تأذن
فيه لبرهان الدين

قال الشيخ امر برهان الدين اليه فسألته عما يريد لنفسه وان
كان بقاؤه على هيئة الاصلية احب اليه فاني كلما رأيته تذكرت
الوطن واهله وصرت كاني لم افارق وطني
فقال برهان انا ايضا احب ان ابقى على هذه الهيئة ولا ضرورة
لتغييرها اذ لستنا على نية التوطن بهذه البلاد ودوم الاقامة بها
وانما نقيم فيها مدة يسيرة لاتحوج الى ذلك ولو غيرنا ملابس بلادنا
في هذه الحاضرة للتخلص من تزاحم الناس علينا لزمنا لهذا الغرض
ان نغيرها في كل جهة انتقلنا اليها فان الملابس والهياكل مختلفه
باختلاف الجهات

فقال الانكليزي الامر اليكم واحبركم اني قد اكتريت عربة
 وجعلتها تحت امركم وخاصة بكم فتى اردتم الخروج الى شوارع البلد
 او ظاهراها فروا يعقوب ان يحضرها لكم فان لم اكن معكم لبعض
 مواقع قد تعوقني عن الانتظام في سلك صحبتكم في بعض الاحيان
 فهو يلازمكم ويقوم بكل ما يلزم لكم ثم استأذن وانصرف الى حجرته
 وكذلك انصرف يعقوب الى محله وبقي الشيخ وابنه وكان الشيخ قد
 اعتراه بعض تعب من ارتجاج العربة وطول القعود بها فاحب
 ان يريح بدنه فقال لولده اذا جاء الانكليزي وسائل عنني فاخبره
 اني لا رغبة لي في الخروج في هذه الليلة ثم تحول الى فراشه لینام
 فقام ولده وغلق عليه الباب وذهب الى حجرته الخاصة به فلم يجد
 له صبراً على المكث بها وحده خصوصاً وقد كان مغرماً بسماع بقية
 حكاية يعقوب وبالتفرج على شوارع المدينة وما فيها فخرج من
 حجرته وذهب الى محل يعقوب وقال له ان الوالد كان وعد
 بالخروج في هذه الليلة ثم اثر الاستراحة بسبب ما وجد في نفسه من
 مشقة السفر فهل ترى ان نخرج وحدنا او نقيم الليلة فقال يعقوب
 لا ينبغي ان نخرج الاً باذن فالصواب ان نصبر الى اخر النهار ثم
 نستأذن بعد الطعام وتوجه اما الى التיאتر واما الى البالو
 فقال برهان الدين اما التיאتر فقد رأيته وعرفته حين كنا
 برسيليا واما البالو فلا اعرفه فا هو
 فقال يعقوب البالو محل يجتمع فيه كثير من الرجال والنساء

يلبسون فيه احسن ملابسهم ويرقصون مع بعضهم على نغم الآلات
 الموسيقية فقال برهان الدين لا بأس ببرؤية هذا المحل ولكن احب
 في هذه الليلة الاقتصار على المرور في البلد ورؤيه شوارعها ومبانيها
 وفيما بعد اذا وجدنا فرصة حملنا الخواجا على الذهاب اليه وتوجهنا
 معه فانفقا على ذلك وانتظرنا تحصيل الرخصة وانتهاز الفرصة ثمان
 برهان الدين قام من عند يعقوب ورجع الى مخدعه واخذ كراسة
 وصار يكتب ما علق بذهنه ما حكاه يعقوب في اثناء الطريق وضم
 الى ذلك ما حضره ما كان يشاهده بنفسه عند المرور ببعض
 الجهات واستمر على ذلك الى قبيل الغروب ثم قام وتوجه الى محل
 والده فوجده قائماً يصلى خلفه فلما تمت الصلاة وما يتبعها
 حتى له ما اتفق عليه مع يعقوب وطلب الاذن فأذن له واوصاه
 ان يعود عاجلاً ليرجع بدننه كذلك من تعب السفر وقال له الايام
 بينما وما لم نزره في هذه الليلة ستراء فيما بعدها فقابل قول والده
 بالسمع والطاعة وعزم على الرجوع سريعاً بقدر الاستطاعة وحضر
 الطعام فاكلو وبعد ذلك خرج مع يعقوب الى شوارع البلد
 ونواحيها

المسامرة الخامسة والسبعون

لحة

في باريس

فعجب من حسن نظمها وكثرة العالم بها وسعة شوارعها
 وتنظيمها وحركة التجارة بها ومن زخرفة محلات التجار ونظافتها
 وحسن بهجتها وكان يتقل من مكان الى مكان ومن دكان الى
 دكان ويقف عند بعض المحلات فيسريح فيها طرفه وينظر لما فيها
 من انواع البضائع النفيسة ويشرح له يعقوب كل ما سأله عنه من
 هذه البضائع ويدرك له اسمه ونوعه وجنسه والجهة التي يجلب منها
 وكانت كلما وقعا على دكان او خان احتاط بها كثير من الناس
 من نساء ورجال ينظرون لهيئة برهان الدين وملبسه وكان هو
 ايضاً ينظر اليهم والى هيئاتهم وملابسهم ويقارن ما رأه هناك بما

كان يراه وهو ببصر فلم يجد بينها نسبة وما زالا يتقلان من دكان
 الى دكان ومن خان الى خان الى ان مضى عليها من غروب
 الشمس نحو اربع ساعات ومع ذلك كان يرى العربات متواالية
 مع السرعة والكثرة بحيث كان اذا ارادا الانتقال من محل الى غيره
 مكثاً زماناً طويلاً يتضطران فرحة يرون منها ورأى ضوء المصايب
 الغازية المنتشرة في الطرق قائماً مقام نور التبر او ضوء الشمس
 بحيث يمكن فيه قراءة الخط الدقيق وقد الدرهم بغير عسر ولا
 صعوبة وكذلك رأى ضوء المصايب الغازية في الازقة والمحارات
 يزداد بها يصل اليها من ضوء المصايب الدكاكين وغيرها لانه ما من
 دكان او محل قهوة او خان الا كان امامه عدة من المصايب نحو
 الخمسة او الستة او اكثر فكانت اشعتها تبعث امامها وتزيد
 البصائر الموضوعة خلف الزجاج حسناً وروقاً وكذلك كانت
 اشعتها تعكس في المرايا المركزة في الطرق كما ان هذه المرايا كان
 ينعكس فيها ايضاً صور كل ما قابلها او مر امامها من الناس
 والعربات وغيرها فيرى فيها الرائي صوراً مختلفة واشكالاً متنوعة
 ففضى على برهان الدين الزمن من غير ان يشعر بذلك لاشتغال
 حواسه بما كان يراه من الاشكال المتنوعة والصور المتعددة واستغراب
 خاطره في التأمل والاستغراب والاستحسان لما يراه من حسن
 الرونق وانتظام المنظر بحيث يتخيّل الرائي ان المدينة في زينة مرتبة
 بالخصوص لامر عظيم او موسم حاضر وكان كلما قطع مسافة رأى

فيما بعدها شيئاً لم يكن رأه وكان يتامل في الدكاكين وحواصل
 التجارة ويعجب من حسن انتظامها وسعتها فيجد النسبة بينها وبين
 ما كان يراه في القاهرة منقطعة والمقارنة متتنعة لانه رأى الدكان
 في باريس عبارة عن محل عظيم يشتمل على عدة حال بعضها من
 داخل البعض منها ما هو مفروش بالرخام ومنها ما هو مفروش
 بالبسط النفيسة ومنها ما بعضه من هذا وبعضه من هذا وأبعاها
 محكمة التركيب مليحة الوضع مصنوعة من الخشب الثمين كخشب
 الجوز والبلوط والفرجاج ونحو ذلك مدهونة باللون تسر الناظرين
 وتحذب قلوب المارين مقسمة بالواح الزجاج او البلور حتى لا
 يجحب شيء مما بداخليها عن بصر كل من يراها والبضائع فيها مرتبة
 حسن ترتيب مصفوفة على الرفوف مع كمال الاتساق وحسن
 الوضع بحيث تستدعي لشرائها كل من يراها وفي كل دكان
 نساء حسان الوجوه متجملات باحسن الملابس والطف الهيئات
 مستعدات لعرض ما يلزم عرضه او بيع ما يلزم بيعه فترى الشاري
 لا يضطر للوقوف في الطريق امام الدكان واطالة الكلام بغیر
 طائل بل يدخل ويطلب ما اراد من البضاعة مع اللطف
 والادب وعدم رفع الصوت فإذا وقع الاتفاق على الثمن ادأه واخذ
 ما اشتراه في ورقة او ربطة لطيفة تلفه فيها احدى النساء اللاتي
 في الدكان فان بداله عدم اخذه معه واراد ارساله الى منزله فليس
 عليه الا ان يعرف البائع ثمرة الدار وثمرة محل الذي هو مقيم به

ثم يذهب الى سبile و يصل ما اشتراه الى محله وفي هذه الحالة
 لا مانع من دفع الثمن في الحال او ابقاءه الى ان يرسله صحبة من
 يذهب بالبضاعة لار ذلك امر جاري بينهم ومعتاد لهم وما زال
 برهان يسير مع يعقوب ويترجر وهو متبعها بيراه مشغول الخاطر
 بالتأمل فيه ويعقوب يشرح له ويوضح الى ان وصلا الى باب كبير
 فرأى امامه مصابيح كثيرة منورة بالغاز ومن داخل الباب زقاق
 مستطيل اسفله مفروش بالرخام واعلاه مستور بالزجاج وفي
 جانبيه دوليب مدهونة باحسن الالوان فيها نقوش لطيفة وصور
 ظريفة ورأى في كل جانب خلطاً كثيراً من رجال ونساء كلهم
 مشتغلون بترتيب بضائع متنوعة يضعونها في الصناديق وعلب كبيرة
 وكان المحل يضيء بتصاويف الغاز المنتشرة في جميع ارجائه فمالت نفس
 ابن الشيخ الى دخله فدخله هو ويعقوب فوجداه ابهج من جميع ما
 رأياه والطف وفي داخله طرق نافذة بعضها الى بعض فسلكا في
 في احداها فوجد كل منها صورته منطبعة امامه في مرآة مستوعبة
 الجميع عرض الحائط وارتفاعه حتى يظن السالك انها نافذة وأن
 هذه الصور اشخاص تسيرا الى جهته فرجعا واخذوا في مسلك اخر
 ومنه الى غيره وكان في كل جهة دخلاها من هذا المحل جملة من
 الناس يستغلون بتصنيف البضائع وتنظيمها ووضعها في الصناديق
 والعلب وكان كل من هؤلاء الناس ينظر اليها مع السكون
 والوقار من غير ان يفارق محله او ترك شغله ولم يريا هناك بعما

وَلَا شَرَاءٌ وَلَا اخْذًا وَلَا اعْطَاءٍ فَتَعْجِبُ مِنْ عَظَمِ هَذَا الْمَحْلِ وَسُعْتَهُ وَحْسَنَ
زَخْرُفَتَهُ وَارادَ الرَّجُوعَ مِنْ حِيثِ دَخْلًا فَأَخْطَأَ الْطَّرِيقَ وَصَارَ
يَتَرَدَّدُانِ مِنْ جَهَةِ إِلَى جَهَةٍ وَمِنْ طَرِيقٍ إِلَى طَرِيقٍ وَلَا يَعْرَضُهَا
إِلَى أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهَا إِنْهَا أَخْطَأَ الْطَّرِيقَ فَتَقْدِمُ إِلَيْهَا فَتَنِي قَصِيرَ
الْقَامَةِ فِيهَا بِالْحَسْنَ تَحْيَةً وَكَلْمَاهَا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسَأْلَهَا عَمَّا يَرِيدُانِ
فَقَالَ لَهُ يَعْقُوبُ لَيْسَ لَنَا غَرْضٌ سُوَى التَّفَرُّجِ وَقَدْ ضَلَّلَنَا الْطَّرِيقُ
وَلَا نَدْرِي كَيْفَ نَخْرُجُ وَقَدْ تَحْيَرْتُ افْكَارَنَا لَمَّا شَاهَدْنَا فِي هَذَا
الْمَكَانِ مِنْ كَثْرَةِ اصْنَافِ التَّجَارَةِ فَإِنَا مَا سَلَكْنَا فِي جَهَةِ مِنْ جَهَاتِهِ
إِلَّا وَجَدْنَا فِيهَا جَمَاعَةً يَشْتَغِلُونَ بِتَرتِيبِ أَشْيَاءِ مِنْ اصْنَافِ التَّجَارَةِ
غَيْرَ مَا كَانَ رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِ فَإِنِّي مُحَلٌّ تَجَارَةً هَذَا

فَقَالَ الرَّجُلُ هَذَا الْمَحْلُ قَدْ بَنَى فِي عَهْدِ قَرِيبٍ وَهُوَ خَاصٌ
بِاثْنَيْنِ أَخْوَيْنِ بْنَيْ مَالِهَا فَلَمَّا أَكْمَلَا بَنَاءَهُ سَمِيَّاهُ بِاسْمِ مَدِينَةِ بَارِيسِ
وَجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْبَضَائِعِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَالِهَا خَاصَّةٌ لَا يُشارِكُهَا فِيهِ
إِنَّمَا مِنَ النَّاسِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ اصْنَافِ التَّجَارَةِ جَلِيلَهَا وَحَقِيرَهَا فَلَا
يَكَادُ يَسْأَلُ الطَّالِبُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَجَدَهُ فِيهِ فَمِنْ ذَلِكَ الْكَشْمِيرِيِّ
الَّذِينَ مِنْ شَغْلِ الْهَنْدِ وَاقْشَةِ الْحَرَيرِ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الصِّينِ وَالْهَنْدِ
وَالْفَرْنَسِيَّسِ وَغَيْرِهِمْ وَاقْشَةِ الْكَتَانِ وَالْقَطْنِ عَلَى تَعْدَدِ أَشْكَالِهَا
وَأَنْوَاعِهَا وَالْبَسْطِ الْعَجَمِيَّةِ عَلَى تَسْوِعِ أَوْضَاعِهَا وَآنِيَةِ الْفَضَّةِ وَالْذَّهَبِ
وَحْلِي الْجَوَهِرِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنْهَا مَا يَبَاعُ عَلَى تَجَارَ
الْبَلَدِ لِلْبَيْعِ فِي دَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَمِنْهَا مَا يُرْسَلُ إِلَى بَلَادِ الْمَشْرُقِ وَبَلَادِ

المغرب والترك وأسيا الصغرى والكبرى وبلاد الغرب والأقطار
 المجازية وبلاد الانكليز وغيرها فما من جهة من هذه الجهات الا
 ويرد لها من هذه الأصناف وكذلك هذه الجهات ترسل كثيراً من
 مصنوعاتها وأصناف ثمارتها إلى هذا المحل وجميع من تراه هنا من
 رجال ونساء إنما هم خدم بمرتبات شهرية تصرف لهم من لدن
 هذين الأخرين وعددهم مائة وخمسة وعشرون شخصاً وإنما من
 جملتهم وقد رأينا أحد الأخرين فارسلني اليكما للازمكما وأكون في
 خدمتكما حتى تقضي غرضكما وها هو قريب منا فان اردتانا ان تجتمعنا
 عليه ذهبت بكما اليه فعجب برهان الدين من مقاله واثني عليه
 وعلى صاحبه الذي ارسله واظهر علائم الشكر والابتهاج بصنعيه ثم
 مشيا مع الفتى الى صاحب المحل فقام لها وأكرمنا واجلسها عنده
 فشكراه واثنيا عليه وامر بالقهوة فشربوا ثم قال لها لولا ضيق الوقت
 لقمت معكما وطفت بكما على جميع مخازن الخان واريتكما ما فيها وقد
 حضر وقت انصرافنا وأغلق المحل ولكن لا مانع الآن من ان
 نريكم ما فيه من صنف الكشميري على حسب الامكان وإذا
 حضرتا في غدراً يركما باقي مخازنه وما فيها فاعادا له الشكر والثناء
 قمام معهما وتوجه بها الى محل عالي البناء متظم الشكل مزخرف
 الاركان في سقفه صور متنوعة ورسوم مختلفة وفي مداره من اعلاه
 الى اسفله دواليب متقنة الصنعة كلها من خشب الجوز وارضه
 مفروشة بالبسط النفيسة وفي وسطه مائدة (طراييزه) كبيرة

مستديرة معلق فوقها نجفة من البلور الصافي النفيس موقدة بالشمع
 الأبيض النقي الطيب الرائحة ثم طاف بها الرجل على جميع أرجاء
 المحل وصار يفتح الأدراج ويريهما ما فيها من قماش الكشمير
 الخفيف الوزن الغالي الثمن فرأيا كل واحد منها موضوعاً على
 حدته في ظرف محكم لحفظه وكل نوع منها ذو اليب خاصة به على
 حسب قيمته وجهة وروده وقد رأيا منها ما ثمنه قدر مائتي كيس
 فأكثر فاستغرب بن الشيخ من هذا الثمن وقال في نفسه اذا كان
 ثمن الواحد من هذا النوع هكذا فما يكون ثمن الجميع ثم ماذا يكون
 ثمن البضائع الموجودة في هذا المكان وبعد ذلك فما يكون قيمة
 البضائع الموجودة في غيره من محلات هذه المدينة ثم ماذا يكون
 قدر اموال اهلها وما صرفوه في زخرفتها وبنائها ثم بعد ان اطلعها
 الرجل على جملة كثيرة من ذلك اعتذر لهم بضيق الوقت ووعدها
 بان يطلعها على سائر ما في المحل ان حضرا بعد ذلك في سعة
 من الوقت فاستأذناه للانصراف فشيئهما خطوات وضم اليهما من
 مشى معهما الى باب المحل حيث دخلان خرجا وركبا العربية ورجعا
 وكان قد مضى نصف الليل فوجد برهان الدين والده قد اغلق
 عليه باب مخدعه ونام فدخل هو كذلك حجرته ونام فيها الى
 الصباح فقام وادى ما وجب عليه ثم ذهب الى والده ليقبل يده
 فما استقر به المقام حتى اتى يعقوب وحضر الطعام فاكلو ما تيسر
 وجلسوا يتحدثون وحكي برهان الدين لا يبه ما رأاه في هذه المدينة

من فرط الاتظام والزينة وما يلوح عليها من علام الفخار ومزيد
الثروة واليسار وما حمله على العجب والاستغراب مما لم يكن له قبل
في حساب فسر الشيخ بمقالته ورغب في أن يعلم طرفاً من أخبار
هذه المدينة وكيف كانت حالاتها وتقلباتها في الأزمان الماضية وما
الأسباب التي أوصلتها إلى هذه الدرجة من العز والرفة والغنى
والثروة

فقال يعقوب إن معلوماني في هذا الأمر قاصرة والأولى أن
يؤخذ علم ذلك من الخواجا لاتساع دائرة معلوماته وكثرة اطلاعه
على كتب التواريخ والسير

فقال ابن الشيخ قد توجهت إلى محله لاسم عليه فوجده
مشغولاً بشخص عنده فلما أردت الانصراف من عنده قال لي بلغ
حضره الاستاذ الوالد بان عندي شغلاً ربما امتد إلى وقت الزوال
فأقرأ عليه السلام مني واعتذر له عنني

فقال الشيخ عذر مقبول فان كان قد بقي عند يعقوب شيء
من خبره وما حصل له بعد فراقه لاخره فليمحدثنا به لقطع الزمن
إلى أن يقضي صاحبنا شغله وينتهي عذر و يأتي فخرج جميعاً وتفرق
في شوارع المدينة

المسامرة السادسة والسبعون

الحيوان العجيب

(من حكاية يعقوب)

قال يعقوب قد أخبرت حضرتكم أني لشدة شوقي إلى اختي
 وما حصل لي من المشاق في البلاد التي وقعت بها كثت دائمًا
 اترقب فرصة الخروج من تلك الأرض وأخاف أن يطرأ حادث
 يعوقني عن رجوعي إلى وطني إلى أن نزلنا في السفينة وخرجنا وقد
 تألفت برجالها والقوني وكانت أسعادهم في اشغالهم بما عندي من
 المعرفة في صناعتهم فحصل لي منهم غاية الأكرام وكانت أخبرتهم
 بقصتي وما جرى لي أيام كنت صغيراً إلى أن صرت في يد هولاء
 القوم أسيراً فعطفت قلوبهم علىٰ وغروني باحسانهم فكنت بينهم
 كواحد منهم كذلك مالت إلىٰ قلوب ضباط السفينة لا سمعوا

بما جرى لي لاني كت تارة اقص ذلك على بعض الضباط و تارة
 على الاحد فلانت لي قلوب الجميع وساعدوني باموالهم من غير ان
 يلزموني بشيء من اعمالم حتى ان القبطان الكبير لما علم بقصتي كتب
 ورقة وصدرها باسمه ومن بعده جميع من كان بالسفينة من الضباط
 وغيرهم ثم وضع امام اسمه ثلاثة جنيهات وكذلك جميع الضباط
 والاحد كل على حسابه فاجتمع لي من ذلك خمسة وثلاثون جنيهاً
 انكليزياً وبعض ثياب فلما رأى ذلك السائح الذي كتب بصحبته
 هذه الورقة وما فيها اخذها و أكلها من عنده مائة وواعدي انه
 عند وصولنا يوصلني الى بلدي على نفقة وان يكتب الى احد
 روساء بلدي بالوصية علي لينظر لي طريقة اتعيش منها انا وآخني
 فشكرت الجميع على صنيعهم واقت مكرماً بينم لا اجبر على عمل
 ولا ازع من محل الى محل ولكن كت في بعض الاوقات اذا رأيتهم
 في ازدحام اقوم من نفسي واساعدهم ثم نجتمع فيحكي كل متاما عنده
 من غرائب الاخبار فبقينا كذلك ثلاثة ايام وكان الهواء فيها مساعداً
 لنا وكان سير المركب مع سرعتها في غاية الانتظام الى ظهر اليوم
 الرابع فا نشعر الا واحد الملاحين قد اتى الى القبطان وكان
 جالساً في مقرته وخبره ان احد روساء المركب رأى شيئاً على وجهه
 الماء من بعد فقام بسرعة واخذ نظارته لينظر بنفسه وينا نحن جميعاً
 ننظر الى ذلك الشيء فرأينا يلوح من بعد ولكننا اختلفنا في تعينه
 ف هنا من كان يقول انه زورق ومنا من كان يقول انه رمة حيوان

ومنا من كان يزعم انه حشيش جمعه الموج والقططان ناظر اليه
 بنظارته لا يتكلم بشيء وبعد ذلك التفت اليها وقال انه حيوان
 بحري له ارجل يحركها ولكن لم يتحقق ما هو وكان ذلك السائق
 الذي كتب بصيغته قد بلغه الخبر فحضر ونظر بنظارته مثل ما نظرنا
 ثم قال ان الشيء الذي ترونوه حيوان عجيب الشكل مهول الحلقه
 وقد بالغ في وصفه جميع الملائين والمورخين والسياحين ولغرايته
 وعجيب خلقته كان بعض اهل التاريخ الطبيعي ينكروه ويقول ان
 جميع ما قيل فيه اوهام لا اصل لها فلما سمع القبطان منه ذلك قال
 لعله ذو الثانية الارجل الذي تخافه الملائون فقال نعم هو ذاك
 وعند ذلك امر القبطان رجاله بتوجيه السفينة نحو وحضن على
 الاستعداد له بالسلاح والمزاريق والكلاليب والاوهاق (الخيّات)
 فاعد كل منهم ما عنده من هذه العدة فاستعدوا الا وقد خرج
 الريح واختلف وتموج البحر وعلا موجه ومع ذلك لم نزل نرى
 ذلك الحيوان يسبح على وجه الماء وكأنه يريد الفرار منا لأننا كلما
 قربنا منه نراه قد بعده عنا ولكن مع البطئ والتأني فلما تمكنوا منه
 ضربوه بالبارود فاصابه نحو عشرين رصاصة فلم يظهر فيه اثر ولم
 يتتحول من مكانه وكانتها لم تصبه ثم رموا عليه الكلاليب والاوهاق
 فتعلق ببعضها بجسمه فارادوا ان يزيدوا في عددها ليتمكنوا من
 ضبطه فتقلبت السفينة من شدة الموج فانفلت وغاص في جوف
 البحر ولم يظفروا منه الا بقطعة من ذنبه بقيت في ورق (خية)

من الاوهاق التي القوها عليه فعن الملاحون على القاء الزوارق في
 البحر ليحيطوا به ويصطادوه فنهاهم القبطان عن ذلك خوفاً عليهم
 وهذا الحيوان على حسب ما شاهدته يبلغ طول جسمه قريباً من
 ستة امتار وكذلك كل رجل من ارجله الثان ولونه احمر كلون
 الاجر وجيشه منتخبة من جهة وسطه وله عينان كالطبق مستويتان
 لا يظهر فيها تحدب ولا حركة ويظهر لها لمعان يرى من بعيد
 وكان في اثناء اشتغالهم بصيده يقذف من جوفه دماً ورغوة ومواد
 تشم منها رائحة مسكية وبعد ان انفلت منهم صار يغطس بجانب
 السفينة من جهة ويظهر من جهة غيرها فيحصل للسفينة توج اشبه
 بما يحصل من اشتداد الريح ولم ينقطع ذلك الاً بعد ان بعثت
 عنه السفينة بقدر ميل في البحر وقد وزنوا القطعة التي وصلت اليهم
 من ذنبه فكانت اربع عشرة اقة فاعنبروا بنسبتها جميع هذا الحيوان
 فقدروا ب نحو ستين قنطاراً وقد وصفه السائح الذي كتب بصحبته
 فقال انه حيوان كالقربة المملوء ويشكل في صور متعددة فتارة
 يكون في هيئة البيضة وتارة يكون كروي الشكل وتارة يكون
 مستطيلاً وله راس غليظ وعيناه متسعتان في استواء يرى في اعلى
 راسه شي صلب محجوف كالقرن هو فيه وله على سطح لسانه شبه
 الشوك وفكاه راسيان وله ارجل ثمان او عشر اصوافها منضمة الى
 بعضها حول فمه في هيئة التاج وفي ظاهر كل منها صfan من
 الصمامات متوازيان كل صمامه كالفنجان اسفلها يتحرك باختيار

الحيوان فاذا اراد ان يقبض على شيء الصق رجله او بعضها به فلا
 يخلص منه وذلك لان تلك الصمامات اذا باشرت شيئاً من
 حيوان او غيره كان الغشا الذي في اسفلها اولاً قريباً من الحرف
 الاعلى ثم يسقط الى اسفل فيتكون من ذلك فراغ خال من الهواء
 كما يحصل في قرن المجامدة فتعلق بذلك الشيء وتلتصق به وتنسقه
 اذا كان عدد الصمامات الماسة للشيء كثيرة كانت قوة الالتصاق
 والتعلق به وامساكه عظيمة بحيث لا يتأتى فصل ذلك الشيء عنها
 وبهذه الكيفية يحصل على غذائه من الحيوانات البحرية فيما يأخذها
 برجليه ويوصلها للقرن الذي في اعلى راسه وهو فيه كما ذكر فيقطعها
 به ثم يأكلها وکأن هذه الارجل لم تكن الا آلة للتغذية وللتقطيع
 بها واما كيفية تنفسه وحصوله على الهواء اللازم له فهو ان يدخل
 قدرًا من الماء في خياشيمه فتتقبض الخياشيم فيدخل الماء في محり
 موجود في رأس الحيوان بين العينين وبعد ذلك تعود الخياشيم
 الى ما كانت عليه فيخرج الماء ثم يأخذ قدرًا جديداً من الماء ويفعل
 به كذلك وهكذا وبهذه الكيفية يحصل له استنشاق الهواء وهذا
 الماء الخارج يسقط بقوة فيدفع الماء الرائد حوله فيندفع الحيوان الى
 جهة امامه وهي الجهة المقابلة لاتجاه الماء المقذوف فيسهل عليه بهذه
 الطريقة قطع المسافات البعيدة ولذلك لما رأى المتقدمون شكل
 هذا الحيوان وعلمو سبب اندفاعه الى جهة امام ارادوا محاكة
 ذلك في سير السفن فعملوا في بعض السفن مجاري محبوبة متعددة

يجري فيها الماء فهم لأنها سلطوا عليها طلبة تجذب هذا الماء وتفدفه
 إلى خلف فتندفع السفينة إلى الإمام لا انهم لما رأوا كثرة المصارييف
 في ذلك تركوا هذه الطريقة وهجروها وما يشاهد من هذا النوع
 بسواحل أوروبا وإن تعددت أشكاله ليس شيئاً بالنسبة لما يشاهد
 في البحور العميقة على ما نقله السائحون والملاحون وقد ذكر هذا
 الحيوان بعض الأقدمين (كارسطوبيلين) وغيرها وصفوه بصفات
 هائلة كان المتأخرون ينكرونها إلى أن عثر به الملائكون في زمننا
 هذا فاصطادوه وتقوله من جهة إلى جهة فصار أمراً مشهوراً
 معدوداً من أنواع المخلوقات بعد أن كان يعد الكلام فيه من
 الخرافات وحكي (تربيوس) في بعض كتبه أن حيواناً من هذا الجنس
 كان يخرج من البحر في جزيرة (كاريتافيا) جميع ما اصطاده الصيادون
 في يومهم فانهم كانوا يضعون كل ما اصطادوه في منابر جهة البحر
 فيخرج هذا الحيوان كل ليلة فياكله ويعود إلى البحر وهذا كان
 دأبه معهم كل ليلة حتى احرمهم ثرة تعبيهم فلما اشتد ضررهم منه
 نصبوا حول هذه المنابر خشباً احاطوها بها فلم تقدر شيئاً لأنه كان
 يصعد على شجرة قريبة من المنابر ثم ينزل بها فاقام ذلك الحيوان
 معهم على ذلك الامر مدة إلى أن اطلع عليه الكلاب ليلة فهجمت
 عليه ومنعته من العود إلى البحر وجاء الحرس فضربوه وصار هو
 يدافع عن نفسه ويضرب بازجله فازالوا به إلى أن مات ففاح منه
 رائحة كريهة فعجبوا من خلقته وغريب صفتة لأنهم كانوا لم يروه

قبل ذلك ثم انهم بعد قتله حزوا رأسه فكانت في حجم البرميل
 الكبير وفاسوا رجليه فوجدوا طول كل رجل ثلاثة قدماً
 وغلظها بقدر ما يلأ حضن الرجل وزنوا ما بقي من جثته فكان
 سبع مائة أقة وهذا النوع قد يعتريه في البحار الكثيرة الصخور
 والاحجار ما يعوقه عن الحركة ويسوقه الى التهلكة وذلك ان
 تدخل رجل من ارجله بين الصخور فتعلق بها ولا يمكنه ان
 يستخلصها وكلما حاول تخليص رجل علت غيرها فيقف عن
 السير ويقى على هذه الحالة الى ان يموت وينتن وعند ذلك تفوح
 له رائحة كريهة يشمها اهل تلك الجهة من عدة فراسخ فإذا شمها
 خافوا على انفسهم من الوباء لشدة نتن تلك الرائحة ولكنها لا تطول
 مدتها فان الامواج تقطع الحيوان وتقذف بقطعه الى جهات بعيدة حتى
 لا يبقى لرائحته اثر وهذا النوع وان كان يوجد في كثير من الجهات
 الا ان أكثر وجوده بالارض الجديدة وهناك يصطادون منه كل
 سنة شيئاً كثيراً يدخلونه في ماكلهم واهل الجهات الشمالية جميعاً
 يقولون ان الصيادين عندهم اذا خرجوا للصيد في أيام الحر وبعدوا
 عن شاطئ البحر بعض اميال يرون في بعض الاحيان تفاصان
 عمق الماء من تحت زوارقهم بغترة حتى ينزل الى نحو ثلاثة باعاً
 بعد ان كان ثانية فاكثر فيستدلون بذلك على وجود هذا الحيوان
 ويتتحققون انه بين الزورق وبين قاع البحر ويكون ذلك علامه
 عندهم على وجود كثير من السمك في ذلك المحل فعند ذلك

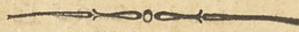
يلقون سنانيرهم وآلته صيدهم ويغتمنون منه مغناً عظيمًا فإذا أخذ الارتفاع في النقص علموا أن هذا الحيوان يريد أن يظهر على وجه الماء لاجل أن يستنشق الهواء فياخذون في الفرار منه بغاية السرعة فإذا بعدوا عنه ونظروا رأوه قد ظهر على سطح الماء وغضي مقداراً من البحر يقرب من ميل ونصف ميل ويرون كثيراً من السمك يتواكب على ظهر الماء وهو في هياج عظيم وأضطراب كثير ويرون ارجله قائمة مثل أعود الشراعات وهو في غاية الصلابة والقوه حتى انه يقدر ان يخوضن السفينة بين رجلين من ارجله ويقلبها في قاع البحر فإذا اراد ان ينزل كان للبحر عند نزوله دوامات وامواج عظيمة حتى انها لو صادفت سفينة لاغرقتها وقد ذكروا في هذا الحيوان كثيراً من الغرائب والعجائب وان كان أكثرها لا يخلو عن بعض الغلو حتى قال بعضهم ان الواحد منه قد يكبر حتى يكون كالجزيرة

قال القبطان قد حكى لي قبطان امريكي حكاية غريبة تتعلق بهذا الحيوان فقال كنت ذات يوم في بعض سياحي في جهات الهند قريباً من سواحل افريقيا عند جزيرة (سنت هيلينا) فسكن الهواء سكوناً تماماً فلم يكن المسير فاقتنا هناك ثلاثة أيام ننتظر هبوب الريح وكان قد مضى على المركب مدة ونحن في غفلة عن تنظيفها فلما طالت اقامتنا في ذلك المكان نصبنا السقايل على جوانبها ونزل العمال عليها لاجل تنظيفها وإذا بصياح من ناحية

من نواحي المركب فذهبت لاعلم الخبر فوجدت هذا الحيوان قد اخطف رجلين من فوق السقالة باحدى ارجله وانزلها الى قاع البحر و مد الاخرى ليأخذ بها ثالثاً كان قد صعد الى الشراعات فاصابته رجل الحيوان عند وصوله الى اول القماش ولكنها تكلبت في حبال الشراعات فلم يتأت للحيوان تخليصها وبقي الرجل معلقاً بها وهو يصبح ويستغيث من شدة الالم فقام من في السفينة الى السلاح والستانيروالفؤس والحبال والآلات الصيد وبارد بعضهم الى قطع رجل الحيوان المتعلقة بالرجل فسقطت ووقع الرجل مغشياً عليه فلم يكث الا قليلاً ومات ثم حمل باني الجماعة على الحيوان بالسلاح والحراب والستار فاصابه كثير منها وكانوا كلما رأوه ينزل الى قاع البحر يطاؤون له الحبال ثم يحذبونه الى اعلى واستمروا على ذلك مدة ثم هبط الحيوان دفعه واحدة فانفلت من ايديهم وانقطعت منه قطعة عظيمة بقيت في الحبال وقد قاسوا ما قطع من رجله فبلغ طوله خمساً وعشرين قدماً في غلظ نصف متراً ونسبة ما بقي من رجله الى ما قطع فقدرت على هذه النسبة رجله باربعين قدماً ثقريباً في غلظ متراً عند رأسها

قال يعقوب فاعتراضي ما شاهدته وسمعت به ما لا مزيد عليه من القلق وبقيت طول النهار في وجل فكنت كلما رأيت موجة على بعد ظنتها حيواناً من هذا النوع وانه يجري خلفنا ليدر كنا فاشتد خوفي وفزعي وكان الملاحون يضحكون مني ويسخرون لي

لكثره اعنيادهم على احوال البحر وعجائبها وقلة معرفتي بذلك فكنت
 اتخيل انه ليس في المخلوقات اعجب من هذا الحيوان وصورته
 وكانت صورته مرسومة داماً في مخيلتي لا تفارقني في ليل ولا نهار
 وربما كدت اراه في النوم فاقوم من نومي فزعاً مروعًا فلما رأى ذلك
 السائح ما في من الكآبة رثى لي واخذته الشفقة بحالى واخذنى
 بجانبه وصار يسليني ويدركلي نوادر وحكايات ليزيل بها ما في
 وهي الى ان قال لي الاتعلم ان عجائب البحر اعظم من عجائب البر
 واكثر وما نظرته او سمعت به ليس شيئاً بالنسبة لما لم تره ولم
 تسمع به



المسامرة السابعة والسبعون

حية البحر والهاشة

(من حكاية بعقوب)

ومن اعجب حيوان البحر وحياته (البال) المعروف بالهاشة
 واعجب منه حية البحر وكل ما في البر والبحر من حيوان ليس
 باعجب من نوع الانسان حيث كان بتدبره وقوته عقله لا يغلبه
 شيء من ذلك كله مع صغر جثته وضعف بنيته فتراه يجنال على
 اعظم حيوان حتى يقع في قبضته ويدخل تحت تصرفه فيفعل فيه
 ما شاء متى شاء فقلت له ما هذه الهاشة وما حية البحر فقال اما
 حية البحر فقد كثر كلام الناس فيها قديماً وحديثاً ولغرائبها وبشاعة
 صورتها كان منهم من يقول بوجودها ومنهم من ينكرها مع أنها
 مذكورة في كتب كثيرة قديمة وحديثة وقد ذكر لها حكايات غريبة

ونوادر كثيرة واقدم ذلك ما ذكر في التوراة من ان (ليفا طان)
 وهو الشبان البحري له اسنان مفزعه وعلى ظهره قشور كبيرة كالدراق
 بعضها فوق بعض وعيناه براقتان كأنهما يرميان بالشرر وإذا فتح
 فمه خرج منه لهب وكذلك انه اذا تنفس ظهر منه شرر لم تكن
 تؤثر فيه الاسلحة التي كانت مستعملة في الا زمان القديمة كالسيف
 والمقلاع والنشاب وعند ظهوره يحدث للماء دوامات وتوج عظيم
 ويرى الماء كأنه يتلهب وقد وصف هذا الحيوان بعض المؤلفين
 بأنه يقدر على ان يتلعل الفيل وأكثر وجوده في بحر الهند ويبلغ طوله
 عشرين ذراعاً ويعبر بحر الهند ساجحاً وإذا مر في بعض سياحنه على
 بعض الجزر فزع اهلها منه وخافوا خوفاً شديداً ولم تشتهر معرفته
 والعلم بوجوده الا في سنة ١٧٥٣ للميلاد الموافقة لسنة ١١٦٦ للهجرة
 بناء على ما نقله السائرون واللاحون عن اهل البلاد الشمالية
 كسكان (السكندينavia) وغيرهم وقد قالوا انه نوعان احدها لا
 يعيش الا في البحر والآخر يعيش في البر والبحر وهذا الاخير يبقى
 في البر الى ان يكبر ويعظم جسمه فتعسر عليه الحركة خارج الماء
 لشلل جسمه فإذا رأى من نفسه ذلك تحول الى البحر ليقيم فيه وعند
 ذلك يسمع لمشيه بين الاشجار والغابات صوت من مسافة بعيدة
 فيدرك كثيراً من الشجر والمباني التي يمر عليها في طريقه الى البحر
 وزعم بعض السائرين ان هذا الحيوان يخرج بالليل الى السواحل
 الصخرية ويأخذ ما يصادفه من السفن كل ما قدر عليه وحكي

بعض الملاحين انه رأى بقرب بعض الجزر اشر علينا من هذا الجنس
 يسبح فوق الماء كا يزحف الشعاب البري على الارض ويغير ثوبه
 مثله وان طوله خمسون قدما وجميع ما قيل في هذا الحيوان يدل
 على ان راسه كراس الفرس وانه يقذف من انفه ماء فيرتفع الى
 الجو ارتفاعا عظيما ولا يرى هذا الحيوان في الغالب الا اذا كان
 الهواء ساكنا والجو معتدلاً واهل (نرويج) يقولون ان هذا الحيوان
 قد يهجم على السفن فيغرقها بثقل جسمه ثم يلتقط رم الغرقى من
 الماء وبعضاهم يقول انه اذا قرب من السفينة يرفع راسه من الماء
 الى اعلى السفينة ويلتقم بفمه من اراد من يراه على ظهرها وانه يفر
 من رائحة المسك ولذلك يضعون فوق مراكبهم شيئا منه فلا يقتربها
 وفي شهر اغسطس سنة ١٨١٧ للميلاد وسنة ١٢٣٣ الهجرة وصل
 الخبر للمجلس العلمي بجهة (ايتا زوبى) من جهات امريكا بظهور
 حيوان بحري عظيم الخلقة بشع المنظر يشبه الشعاب في شكله
 وحركته ظهر عندهم على بعد ثلاثين ميلاً من ناحية (بوستون)
 فانتدب من الجمعية بعض اعضائها لمشاهدة ذلك الحيوان والوقوف
 على حقيقته وشرح ذلك في تقرير يعرض على المجلس فتوجعوا الى
 تلك الناحية وكتبوا تقريراً بما شاهدوه يتضمن انهم رأوا هذا الحيوان
 فوجدوا طوله مائة قدم وقطره عشر اقدام وحركته سريعة وانه
 تارة يسير على استقامة وتارة يسير بانعطاف ويكون راسه في
 الغالب مرتفعا عن الماء بقدر قدمين وانه يخاف من الآدمي ولم

يعهد منه اذى لاحد ولا يانى الى البر الا لخلع ثوبه فاذا خلعه عاد
 سريعاً الى لجة الماء وفي الجهات الحارة كثير من حيات الماء غير
 هذا الشعبان الهائل وكلها شكله مستدير وله اذياں مفترضة يستعملها
 في سباحته كالمجذاف واما (البال) المعروف بالهائشة فهو اكبر
 الحيوانات على الاطلاق بريها وبحريها وحشيهما وانسيهما وهو انواع
 منها ما جلد املس وما ليس كذلك ومنها ما له اجنحة وما ليس
 له ورأس الجميع كبير مستطيل وفيه كحل منسع مفتوح من الامام
 منطبق من جهة الخلف وفي ناحيتي الفم من اعلاه مكان الاسنان
 صفار من صفائح فوق بعضها قرنية المادة سوداء اللون تفصل عن
 بعضها وتتابع لاغراض مختلفة وطرفها الداخل متتصق ببادرة خيطية
 موجودة داخل الفم واما فكه الاسفل ف مجرد من الاسنان والصفائح
 وله شفة عريضة سريعة الحركة عرضها بقدر تلك الصفائح فاذا
 كان الفم منطبقاً غطت المسافة التي بين الصفين فاذا تدللت ظهر
 عند ذلك فتحة كبيرة فيدخل فيها جزء عظيم من الماء ومعه بعض
 حيوانات صغيرة ثم يخرج الماء من بين هذين الصفين وتبقى جميع
 الحيوانات التي كانت بالماء عند دخوله كالسمك الصغير والمحار
 فيكون منها غذاؤه واما الحيوانات الكبيرة فانها اذا رأت توج الماء
 الداخل في فمه هربت وبعدت عنه وانفه في اعلى راسه وفيه خروق
 فاذا اراد استنشاق الهواء دخل معه من تلك الخروق مقدار من
 الماء فيجتمع في محل مخصوص من جهة الخلف وحين يكون في

جوف الماء تضيق مجاري حلقه فلا يصل الماء الى رئته فاذا اراد
 اخراج الهواء الفاسد ضغط على مخزن الماء فيخرج ما فيه من الهواء
 ومعه بعض الجرثمة مائية ولهذا يرى دائمًا من جانب راسه خيطان
 من الماء مرتفعان الى الجو كالعامودين ولكن غذائه لا يكون الا من
 حيوانات صغيرة اقتضت الحكمة ان يكون حلقه ضيقا بخلاف فهـ فـ انه
 واسع جداً ومن هذا يعلم انه لاصحة لما قيل من ان هذا الحـيـوان قد
 يتـلـعـ الرـجـلـ ولكن لا يـخـفـيـ انـ عـادـةـ النـاسـ لاـتـمـيلـ الاـلـسـاعـ
 المستـغـرـبـاتـ فـكـثـيرـاـ ماـيـزـجـونـ المـبـالـغـةـ وـالـكـذـبـ بـالـحـقـيـقـةـ وـيـخـلـطـونـ
 بـعـضـهـاـ بـعـضـ وـيـصـفـونـ الشـيـءـ الغـرـيبـ باـغـربـ ماـهـوـ عـلـيـهـ وـانـ
 كانـ لاـاـصـلـ لـهـ وـتـارـةـ يـجـعـلـونـ لـهـ مـقـادـيرـ فـاحـشـةـ تـزـيدـهـ غـرـابـةـ عـلـىـ
 غـرـابـتـهـ وـتـنـحـهـ مـنـ الشـنـاعـةـ وـالـفـطـاعـةـ فـوـقـ مـاـيـسـتـحـقـهـ باـصـلـ خـلـقـتـهـ
 اـغـرـافـاـ فيـ الـوـصـفـ وـاـغـرـابـاـ فيـ القـوـلـ فـاـنـ كـانـ المـتـكـلـمـ مـنـ يـوـثـقـ بـهـ
 اـخـذـ النـاسـ قـوـلـهـ بـالـقـبـولـ مـنـ غـيرـمـنـاقـشـةـ وـلـاـ بـحـثـ فـيـجـرـيـ عـلـىـ
 الـاـلسـنـ حـتـىـ يـلـاـ اـلـارـضـ وـيـتـقـلـ مـنـ جـيـلـ اـلـيـ جـيـلـ فـنـ ذـلـكـ
 هـذـاـ (ـالـبـالـ)ـ فـاـنـهـ لـاـ كـانـ اـكـبـرـ الـحـيـوـانـاتـ جـعـلـ لـهـ اـغـرـبـ الصـورـ
 وـاـكـبـرـ الـمـقـادـيرـ فـتـارـةـ جـعـلـوـاـ طـوـلـهـ تـسـعـائـةـ قـدـمـ وـتـارـةـ جـعـلـوـهـ اـكـبـرـ مـنـ
 ذـلـكـ حـتـىـ قـالـ بـعـضـهـ اـنـ سـفـيـنـةـ قـدـ سـارـتـ بـجـنـبـهـ ثـلـاثـةـ اـيـامـ مـاـ بـيـنـ
 رـاسـهـ اـلـىـ ذـنـبـهـ وـقـالـ بـعـضـهـ اـنـ الدـنـيـاـ كـلـهاـ عـلـىـ ظـهـرـ هـائـشـةـ تـحـركـ
 بـحـرـكـتـهـ وـتـسـكـنـ بـسـكـونـهـ وـجـعـلـ ذـلـكـ سـبـبـاـ لـوـجـودـ الزـلـازـلـ التـيـ
 تـحـدـثـ فـيـهـ وـبـعـضـهـ يـزـعـ اـنـ الشـيـطـانـ كـانـ لـاـمـهـاـ عـلـىـ تـحـمـلـهـ هـذـاـ

الحمل الثقيل فهمت بالقاء الدنيا من فوق ظهرها فامرها المولى
 باستمرارها على ما هي عليه ومن مبالغة الصينيين في شأنها قولهم انها
 اذا تحركت في البحر ظهرت حركتها في اربعاء وثلاثة وثلاثين فرسخا
 بحريا وانها اذا انتهت في الكبر وتقدمت في العمر صارت كالجبال
 العظيمة الشاهقة وقال بعضهم انها تحب من انواع السمك الطوبار
 والبوري والبقر البحري فتتبعها في سيرها فتقع بين تلال الرمال
 عند نزول البحر فلا يمكنها التخلص فاذا تحركت فرقت الرمل وجعلته
 في جنبيها كالجبال فيشعر بها اهل تلك الجهة فيأتون اليها فيقطعنها
 وزعم بعضهم انها تقصد السفن فتهشمها بين فكيها وتأكل ما بها
 الى غير ذلك مما لا يغدو عليه ولا يصفع اليه وكذلك قول بعض
 انها قد تقف في جهة من البحر مدة فيترأكم فوق ظهرها كثير من
 الطين والرمل وزبد البحر حتى تكون كالجزيرة فتسو عليها المراكب
 ويقيم اهلها على ظهرها اياما وليالي وهم لا يشعرون بها والصحيح من
 ذلك كله ان طولها خمسة وثلاثون متراً وهي اجنحة فوق ظهرها اعوم
 بها وراسها عظيم جداً وعيتها بالنسبة لراسها صغيرتان جداً وادنها
 لا ترى الا قليلاً وفي فكرها الاعلى من خمسة وسبعين الى ستة
 وحدتها صلب املس ليس به قشر وتحنه دهن في سمك قدم فاكثر
 ويعمل من صفائح الفك الاعلى عمد الشمسيات والصدور التي
 تلبسها نساء الافرنج

قال الشيخ ما ذكرت من ان طولها يكون خمسة وثلاثين متراً

على الصحيح يقرب مما قاله الدميري في حياة الحيوان فقد قال إن طولها يصل إلى خمسين ذراعاً وقد فرأت في بعض الكتب المترجمة من اللغة الانكليزية أن طولها في البحر الشمالي يصل إلى نحو تسعين قدماً وهناك يعتادها الصيادون كل سنة ويصطادونها فاما في الحال التي تعيش مطمئنة تامة الجم فينيف على مائة وخمسين وإن رأسها عبارة عن ثلث طولها وعيناها في جرم عين الثور ولكنها في قفاهما فتتمكن لها رؤية الأشياء من الخلف والأمام وذنبها هلامي فاما لونها فليس على نسق واحد ففيه اختلاف عظيم ربما كان سببه السمن او غيره ومن طبع هذا الحيوان ان لا يطمح لغير زوجه ولا تمنعه مخالطته ومحاسنته مع الغير عن الاقتصار عليها ثم انه وإن يكن أكبر جميع الحيوانات إلا أنه أودعها واهداها جاشاً وبساطته أنها هي في الدفاع عن نفسه وعن ذويه وله اعداء كثيرة تتعرض له وتقصده فقد يتلخص به نوع من السمك صغير له جلد صدفي فيرتفع في شحمه وأخر يسمى السمك السائف وهو أيضاً أعظم داهية عليه بعد الإنسان وربما سلم من مكر خصائه المائة باعمال القوة او بالهرب فاما من ابن آدم المسلط على جميع المخلوقات فهو يهبات له ذلك فانه يتبعه بمحيلة وتصرف ناجح يستخلصه على ذلك طمع التجارة فيه او سد خلة المعيشة وقد علم بالتحقيق انه يتأهّب في كل سنة عدة سفن لصيد هذا الحيوان في شطوط (كريتلاند) وفي البحر الجنوبي فيتشبون فيه نحو كلاب مربوط فيه حبل فإذا احس بالجرح جرى

مسافة طويلة فيتركونه ريثما يتنفس ما شاء ثم يرمونه بكلاب اخر
الى ان يكل ويبلغ منه الالم ويسعى منه الدم فيؤخذ حينئذ ويقطع
منه دهنه ويوضع في براميل ثم يذاب ويجعل زيتاً يدخل في عمل
الشع واجزاء الدباغة وصناعة بعض الثياب والظاهaran له مدخلان
عظيمان في التجارة

فقال يعقوب كانت التجارة فيه واسعة فيما سبق لكثره وجوده
اذ ذاك ثم لم يزل يتناقص ويغلو ثمنه شيئاً فشيئاً الى الان وكان
المتحصل من هذا الزيت سنة ١٨٥٩ للميلاد وهي سنة ١٣٧٦ للهجرة
الفين وثمانية وسبعين برميلاً وفي التي بعدها الفا وتسعمائة وفي التي
بعدها الفا وسبعمائة فترتب على هذا النقص افلاس شركات
كمبانيات عديدة كانت مقتصرة على التجارة في هذا النوع وهذا
النقص انا حصل من قلة وجود هذا الصنف فقد علم من الاخبار
المحفوظة ان الذي اصطاده الصيادون منه في سنة ١٦٩٧ من
الميلاد نحو الف وتسعمائة وسبعة وخمسين والذي اصطيد من سنة
١٧١٩ الى سنة ١٧٧٨ منه نحو ستة الاف وتسعمائة وستة وثمانين
ومن سنة ١٧٨٤ الى سنة ٢٨٤ نحو ثلاثة الاف واربعمائة ومن
هذا التاريخ الى سنة ١٨٥٦ للميلاد وهي سنة ١٣٧٣ للهجرة لم
يضبط الا ثلاثة الاف فقط ومن هذا يعلم السبب في تناقص كمية
هذا الزيت في كل سنة عن السنة التي قبلها وهو السبب في غلو
سعره ففي سنة ١٨٣٠ كانت افة الزيت منه تباع بستين سنتينا

وأفة صفائح الأسنان إذا كانت على حالتها الأصلي بثلاثة من صنف الأفرنك ونصف وإذا كانت مقطعة قطعاً عشرة منه وبلغت أفة الزيت في سنة ١٨٦٣ أفرنكًا واحداً وثانية عشر سنتين وثمن الصفائح غير مقطعة ثلاثة عشر فرنكًا والمقطعة مثلها ومقدار ما دخل في سنة ١٨٦٣ من صفائح الأسنان. تبلغ قيمته مليونين من الأفرنك تقريباً ولحمه يوكيل بل هو مرغوب جداً عند بعض سكان الجهات الشمالية وبينه وبين لحم البقر قرب في الطعم والعادة أن ينضجوا في الماء بعد تقطيعه وجميع أهل أوروبا يأكلونه ولكن على حسب ما اعتادوا في ذلك فمنهم من يضيف له الحمص أو غيره حين الطبخ ومنهم من يقليه في الزيت

قال يعقوب وحين كان خوض في حديث (البال) كان بالقرب منها رجل من ضباط المركب عمره يقرب من أربعين سنة وله علم باحوال البحر والصيد كان يسمع حديث السائح بتمامه فلما فرغ السائح من كلامه دنا و قال إن اصطياد الهوائش من البحر أصعب شيء ويحتاج إلى عدد واحتراسات وقوة وجراة وصبر على احوال البحر وشدائد و كان يسافر في الزمن السالف لصيد الهوائش مراكب عديدة من جميع جهات أوروبا ويجتمع منها في الجهات الشمالية المجمدة اساطيل عظيمة وقبل وجود السفن البخارية لم يكن إلا سفن الشراع فكانت مدة الصيد ذهاباً وإياباً تبلغ أربعة أشهر وأكثر إذا كانت سليمة العاقبة وكان كثير من السفن يفقد

بين الصخور الشجية فيموت ملاحوها وكل من فيها ولا يصل خبرهم
 لبلادهم الا بالاشاعة واما الان فصار السفر على سفن البحار اسهل
 واسرع ولكن لا يسافر لصيد هذا النوع الا سفن قليلة من فرنسا
 والانكلزيز وامريكا وهولاندة وغيرها لعدم وجوده بكثرة كالاول
 وكانت آلات الصيد رماح طوالا وحرابا كبيرة وصغيرة كل واحدة
 منها عبارة عن قطعة حديد احد طرفيها مركب في نصاب من
 الخشب والطرف الآخر على شكل رقم الثانية من الارقام الهندية
 هكذا (٨) وقد جعلت على هذه الصورة لتنشب في جسم الحيوان
 فاذا دخلت فيه فلا يكاد يخلص منها ويستحبون مع هذه الآلات
 حالا طويلة يبلغ طول الواحد منها ثمانين قامة فاكثر الى مائة
 قامة وفضلا عن هذه الآلات لا بد من وجود ستة زوارق او
 اكثر ويكون في كل سفينة نحو اربعين رجلا غير القبطان
 والضباط والطبيب وهم منقسمون الى قسمين قسم يمسك الرماح
 والحراب لاجل طعن الهوائش بها حين رؤيتها وقسم هم الملاحون
 فيستعملون مدة السفر في خدمة السفينة وعند الصيد في اعمال
 المجاذيف لاجل تتبع الهاشة واقتناء اثرها حين ترى في موضع من
 البحر فاذا وصلت السفينة محل الصيد ووجدت الهاشة تلقي
 الزوارق في البحر وتنفرق الرجال بحيث يكون كل ستة او سبعة
 منهم في زورق ويسيرون باستعمال المجاذيف الى ان يكونوا قريبا
 من الهاشة وعند ذلك تقوم الرجال التي بآيديها الرماح والحراب

مربوطاً بها الجبال فيمسك الرجل المزراق بكلتا يديه ويهزه هزاً
 موزوناً حتى اذا رضي به الهاشة فيدخل في جسمها على حسب
 قوة الرامي وحذقه فإذا احسست السمهكة بالجرح غاصت في جوف
 الجر و قد قبض على طرف الجبل المربوط في المزراق رجل من
 الملاحين فيراخي لها فيه فان لم يكفي ربط فيه غيره ولا يزال
 يطاوها الى ان تظهر على وجه الماء في جهة من البحر وللصيادين
 من الحنكة والتدريب ما يعرفون به اين تظهر السمهكة من الماء
 بعد ان تنفس و يستدلون على ذلك باتجاه ذنبها حين تنزل
 فيسرون الى قرب محل الذي يتعين عندهم انها تظهر منه فتى
 ظهرت من الماء حملوا عليها بالزاريق والحراب فلا يزالون يضربونها
 الى ان تزهق روحها ولا يخفى ان الهاشة من وقت طعنها الى
 ازهاق روحها يحصل منها حركات عنيفة قد توجب احياناً غرق
 الزورق ومن فيه خصوصاً اذا كان الممسك للجبل غير مستعد
 لطاولتها واطلاق الجبل لها بالتدريج الذي يترب عليه ان تكون
 حركتها هينة وكثيراً ما تضرب الزوارق او من فيها بذنبها فانها
 عند مكافحة طلوع الروح يكثر اخضارها وهياجها ويكثر ضربها
 الماء بذنبها ويخرج منها دم كثير يتغير به لون الماء الذي حول
 الزوارق ويبقى متغير اللون بعد موتها مدة من الزمن فإذا ماتت
 الهاشة بادروا الى قطع ذنبها ثم يربطونها بجبل الى زورق
 ويربطون باقي الزوارق به ويسحبونها في الماء الى ان يصلوا بها الى

السفينة وترفعها الرجال بالبكرات والجبال ثم يقطعونها وينخلصون الدهن من اللحم ويذيبونه على النار لاستخلاص الزيت ولم في ذلك طرق مختلفة

وقد اخترع في امريكا لصيد (البال) الهاشة جلة ترمي بالآلات النارية فتدخل في جسمها فتمزق في داخل الجسد فيموت الحيوان في الحال واخترع آخرون جلة ادخلوا فيها مع البارود بعض مواد سمية فتى دخلت الجلة جسم الحيوان وتصدعت ينتشر فيه السم ويقتل افاعيله فيموت الحيوان في مدة ربع دقائق او خمس . قال وحضرت الصيد بنفسي وسني خمس وعشرون سنة فما رأيت في عمري هولاً أكبر منه وينبغى لارباب هذه الصنعة ان لا يكون للخوف سلطان عليهم بل يكونون بمكانة من الجرأة والقسوة وقوة القلب بحيث لا يهابون الموت ولا يخشون الاخطار ولا تزعهم الاهوال ويلزم ان يكون قائد الزورق مع ذلك حديد البصر ماضي العزم وان يكون عنده مزيد بصرا وتدبرا ومعرفه بما يلزم في هذه الاحوال بحيث متى نظر الهاشة بادر بن معه الى اجراء جميع ما يستدعيه الحال من الحركات والاعمال لحصول الغرض المقصود بغير اخلال بشيء من ذلك فان الهاشة لا يكفي لموتها حرابة واحدة او اثنان بل كثيرا ما يلزم ضربها عشرين او ثلاثين مرة يخاطر في كل منها بنفسه ورجاله فانها متى احست بالمحرج والام هاجت واضطربت فان لم يكن جرحها بليغا وفي الموضع

الموجب لموتها بالسرعة تأخذ في الطرق المخلصة لها فتغوص في
 البحر بقوة عنيفة يندفع بها الزورق بسرعة عظيمة تفوق سرعة النيل
 وقد يتكرر منها هذا الصنع مراراً عديدة فتظهر على وجه الماء ثم
 تنفسس فيه وتعود وهكذا وتتجه اتجاهات مختلفة وتنقطع في ذلك
 مسافات بعيدة فان لم يكن الصياد متبرساً كل التبصر متديراً كل
 التدبر فربما انقطع الحبل فلا يحصل عليها او غرق الزورق فانها
 قد تمر بواضع فيها صخور من الليج ومحال جمد ماوها فاذا مر
 الزورق بهذه الاماكن متبعاً لها فربما وقع في خطر يؤدي الى
 تلف جميع الملاحين او ضياع ثارات تعبرهم وتخلف مقصودهم وفي
 اثناء هذه الاحوال تسمع اصوات مزعجة بعضها من الهاشة وبعضها
 من ضرب الماء بذنبها مضافاً ذلك الى اضطراب الماء وعدم استقرار
 الزورق فيكون الهول عظيمًا والخطب جسيماً فلا بد للرئيس ان
 يكون في هذه الاحوال ساكن الجاوش غير مكتثر بما يراه من تلك
 الاحوال ولا يستغل بالله الا بقتل الهاشة ويحتاج ان يكون رجاله
 متقادين له مطيعين لقوله متبعين لاشارتة مبادرين الى تنفيذ او امره
 على غاية من السكون والهدوء وكل منهم يستغل بما وكل له من
 الاعمال مقبلاً عليه بكليته لا يشغله عنه شاغل سواه وكلما بدت
 لهم فرصة لضرب الحيوان انتهزاها ولا يزالون كذلك حتى يرووا
 شوئبوبي الماء المقذوفين من خياشيمها قد تغير لونها من البياض
 الى لون الدم الاحمر فيعلمون بذلك ان الهاشة اشرفت على الهالاك

وَانْ عَلِمْ قُرْبَ عَلَى الْأَنْتَهَى فَيَهْجُونَ عَلَيْهَا وَيَزِيدُونَ فِي جَرَاحَهَا
حَتَّى تَرْفَعَ رَاسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَتَنْظَرَ أَخْرَى نَظَرَةً إِلَى الشَّمْسِ نَظَرَةً مِنْ
يَئِسٍ مِنَ الْبَقَاءِ وَيَخْرُجُ النَّفْسُ الْآخِيرُ وَيَدْرُكُهَا الْمَاتُ وَتَنْقَطُ مِنْهَا
الْحَيَاةُ

ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْ مَحَلَّاتِ صَيْدِ هَذَا الْحَيْوَانِ فِي فَصْلِ الصِّيفِ
وَالْخَرِيفِ يَرَى لَوْنَ الْمَاءِ فِيهِ أَحْمَرَ كَلْوَنَ الدَّمِ وَسَبِيلَهُ ظَهُورُ سَمَكٍ
صَغِيرٍ أَحْمَرَ اللَّوْنِ يَنْتَشِرُ فِي الْمَاءِ بِحِيثِ يَلْأُ فَضَاءً تَسِيرُ فِيهِ السُّفُنُ
يَوْمًا فَأَكْثَرُ طُولِ الْوَاحِدَةِ مِنْهُ نَحْوَ مِيلَيْمَتَرَيْنِ اثْنَيْنِ وَغَلَظُهَا نَصْفُ
ذَلِكَ وَيَتَكَوَّنُ مِنْ هَذَا السَّمَكِ طَبَقَاتٌ كَثِيرَةٌ يَلْعُجُ طَوْلُهَا مَسَافَاتٌ
مُخْتَلِفَةٌ فَتَارَةً عَشْرَةً أَمِيالًا وَمَرَةً عَشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ مِيالًا وَسَمْكُهَا يَلْعُجُ
ثَلَاثَةَ أَمْتَارًا أَوْ أَرْبَعَةَ وَاهَائِشَةَ تَحْبُّ هَذَا النَّوْعُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ فَتَتَى
وَصَلَتْ أَحَدِي هَذِهِ الطَّبَقَاتِ تَسِيرُ الْهَوْيَنَا وَتَأْخُذُ فِي صَيْدِهِ فَتَرَاهَا
تَنْتَجُ فَاهَا وَتَنْزَلُ فَكَهَا الْأَسْفَلُ فَيَتَنَعَّذُ يَدْخُلُ فِيهِ مَاءُ وَسَمَكٌ بَقْدَرِ
اَتِساعِ الْفَمِ وَقَدْرِهِ سَبْعَةِ أَمْتَارٍ مَكْعَبَةٌ وَكَلَّما سَارَتْ جَهَةً أَمَامَهَا يَدْخُلُ
مَاءً جَدِيدًا بِمَا فِيهِ مِنْ السَّمَكِ وَلَمَاءُ الْقَدِيمِ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِ
الْأَسْنَانِ وَتَسْتَمِرُ سَاعَةً هَكَذَا إِلَى أَنْ تَنْقَطُ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعينِ أَوْ خَمْسِينَ
مِتْرًا ثُمَّ تَرْفَعَ رَاسَهَا وَتُحْرِكُ لِسَانَهَا لِضَمِّ السَّمَكِ الصَّغِيرِ وَهِيَ تَنْفَثُ
الْمَاءَ فَيَخْرُجُ وَيَبْقَى السَّمَكُ عَلَى شَكْلِ كُرْكَةِ قَدْرِ النَّارِ نَجْهَةٍ فَتَبْتَلِعُهَا
وَتَبَتَّدِئُ فِي الْعُلَلِ كَالْأَوَّلِ
وَهَذَا الْحَيْوَانُ مَعَ كَبِيرِ جِثْتِهِ وَعَظِيمِ خَلْقِهِ فِي غَالِيَةِ مِنِ الْجِنِّينِ

والخور فلا يعتمد في طلب النجاة غالباً على الهرب والفرار
والهزيمة أمام العدو

وفي أول فصل الخريف يرى الذكر منه منفرداً عن الانثى
غالباً فيظن أنه يبحث عنها وتراء كثيراً في حركات غريبة وتقلبات
عجيبة فتارة يتمرغ ويظهر في الماء صدره وراسه وتارة يرفع فوق الماء
قريباً من ثلثه فيتموج البحر من هذه الحركات ويضطرب ويرغى
ويزيد وهذه الأمور علامه على نداء غيره من جنسه واستدعاً ذوي
نوعه فيجتمع كثير منها ويستمر الجميع على هذه الحركات ولللعب
زمنا طويلاً إذا لم يقطعها عن ذلك ظهور مراكب الصيد ومتى
حصل بين الذكر والأنثى اشتلاف في هذه الجمعية انفرداً عن البقية
وسارا مع بعضها فان أصاب الانثى طعنة من الصيادين ترى
الذكر يحوم حولها ويحاول خلاصها ويكثر منه ذلك حتى انه ربما
حل به ما اراد ان يخلصها منه فيصير كالباحث عن حتفه بظله
وهذا كله في ابتداء الصحبة وحداثة الحب فإذا تقادمت المودة
ومضت عليها في الصحبة مدة ضعفت علاقه الحب والوفاق وصار
ادنى الاسباب موجباً للفرق وهذا النوع يحب الذراري أكثر من
الازواج فترى للام حنوًّا شديداً على ولدها وتحافظ عليه أكثر
من محافظتها على نفسها وهذا كان من عادة الصيادين اذا رأوا مع
الأنثى ولدها ان يعادروها لصيده او لاً لعلمهم بأنها لا تفارقه فيسهل
عليهم بهذه الواسطة صيدها ايضاً فترها في أثناء مناوشة الصيادين

لابنها تبذل في مساعدته جهدها وتلقي باقصى ما عندها فتارة تدفعه
 باجنحتها وتارة تدفعه بصدرها فان لم تجد فيه قوة على الهرب جملته
 على عاتقها وغاصت به في الماء فان لم يبعها لما اصابه من الجراح لا
 تتركه بل تستمر على محاولة انقاذه باقصى وسعها وغاية ما عندها
 فتارة تجذبه ومرة تدفعه وتارة تحوم حوله وتحته على الفرار والهرب
 ويرى عليها في اثناء ذلك من اثار الكآبة والحزن ويسع لها من
 شدة النفس والصوت ما يدل على شدة تألمها وهول مصابها وتنسى
 نفسها في اثناء هذه الاحوال بالمرة حتى يكون ذلك سبباً هلاكاً لها
 وتقع فيها كانت تخلص منه لو لا فرط حبها لولدها وإنها كما على
 مساعدته وتخليصه وتبلغ زنة الواحدة من هذا النوع مائة وخمسين
 قنطاراً تقريباً ان كان طولاً عشرين متراً فان كان ثلاثين متراً
 كان الوزن على حسابه وطول رأسها ثلث طولها كما ذكرت
 ويختلف عرض فكيها من اربعة امتار الى سبعة وطول سنها
 يختلف من متراً الى خمسة امتار بالنسبة لفمها وقوتها عظيمة
 جداً بحيث يمكنها قذف الزورق بن فيه في الجو الى غاية عظيمة
 ويوجد على جلدتها بعض محار وحيوانات مائية صغار وتلد عادة
 فرادى ومشتى ولدتها حين الوضع يبلغ طوله ستة امتار تقريباً ومن
 حين الولادة تنصب عليه رواق الحنون والشققة فترضعه وتحضنه

وتعلمه السباحة

المسامرة الثامنة والسبعون
 كاشالو او العنبر
 (من حكاية بعقوب)

وفي الحيوانات البحرية نوع هائل يسمى بالافرنجية (كاشالو)
 وهو العنبر يقرب من المائة في الصورة الاَن بينها في بعض
 الاعضاء اختلافاً لان هذا الحيوان يوجد في فكه من الجانين
 انياب اسطوانية او مخروطية وفي الفك الاعلى انياب غيرها صغيرة
 جداً لا تكاد ترى من اللثة فاذا اطبق الحيوان فه دخلت انياب
 فكه الاسفل في تجاويف مقابلة لها في الفك الاعلى وطول راسه
 قريب من نصف طول جسده وارتفاعه يبلغ مترين تقريباً
 ويسخراج منه مادة بيضاء زيتية تحمد اذا بردت وهذه المادة
 في اوعية براسه متصلة باخرى في البدن متوزعة فيه فيسخراج مما في

سائر جسده أكثر مما تحيط به الأوعية التي في الرأس وقدر ما يستخرج
 من الحيوان الواحد نحو من أربعة وعشرين برميلاً من الزيت
 وكل برميل يسع مائة واربعاً وعشرين (نبادية) والنbadية مكىال
 كانت الفرنسيس تستعمله في كيل الماءات ومقداره مائتان
 وأربعون درها مصر يا ثقريباً وهذا الحيوان يقيم على سطح الماء أكثر
 من الهائمة وفي جوف الماء مدة طويلة كذلك ويستخرج منه ما عدا
 المادة الزيتية المذكورة دهن يذاب ويستخرج منه زيت مثل زيت
 الهائمة ولكنه قليل فإذا كان هذا الحيوان مريضاً يخرج منه الطيب
 المشهور بالعنبر فليس هو إلاّ من ابرازات يخرجها عند مرضه
 تكون فوق الماء أو على الساحل قطعاً تقرب القطعة من خمس
 عشرة أقة والصيادون يعرفون مواضعه فيخرجونه منها بذاري
 طوال معدة لذلك وقد أخبرني رجل من الأميركيين أن بعض
 الصيادين عبر بقطعة من العنبر بلغ وزنها خمساً وستين أقة وليس
 في ذلك مبالغة منه لأن هذا الحيوان يبلغ طوله خمسة وثلاثين متراً
 ويتجذب هذا الحيوان بالحيوانات الصدفية والحيوان ذي الثانية
 الأرجل وفيه من الجرأة والبطش ما ليس في غيره فلا يرهب شيئاً
 من حيوانات البحر الكبيرة ضعيفة أو قوية ولا يترك شيئاً يصادفه
 في طريقه سواءً كان إنساناً أو حيواناً فإذا أحس بجربة الصياد في
 بدنـه قصد الزورق مع كال الشهامة والسرعة ويرفع راسه إليه
 ويحمل عليه فان لم يتحيل الصيادون في خلاص أنفسهم في الحين

هشم القارب ومن فيه من الملاحين بين انيابه الخمسين وهذا كان
 اصعب حيوان يتقارب منه الصيادون وكل من يروم صيده يلزمته
 استعمال كثير من الحيل والتداريب للسلامة من خطره وهذا
 الحيوان في السير سرعة عظيمة بحيث يقطع في الساعة الواحدة ^{اثنى}
 عشر ميلاً وأكثر ونفخه متتابع بين كل نفختين ثانية من دقيقة وعدد
 النفح خارج الماء يختلف فتارة ينفع خمس عشرة مرة وتارة عشرين
 وأخرى ثلاثين ثم ينزل في الماء

المسامرة التاسعة والسبعون

نهاية قصة يعقوب

ثم قال يعقوب فهذا ما حضرني الان ما سمعت في هذه
 الحيوانات واعود لاتمام حديثي في السياحة حسب اقتراح سيدى
 الاستاذ فاقول قد اقمنا في السفينة التي قدمنا ذكرها عائدين الى
 بلادنا ثلاثة يوماً لم يكن لنا فيها شغل سوى اشغال المركب
 وحديث بعضا مع بعض والنظر الى الماء والجو و كنت اميل كل
 الميل لسماع ما يقال حولي من الاحاديث و اذا سمعت شيئاً كتبته
 وحفظته عندي خوفاً عليه من الضياع وقد جمعت من ذلك شيئاً
 كثيراً في كراس عديدة وهي الان عندي مصونة اعندها من
 خير الذخائر اذكر بها ما مر عليّ من الحوادث ومن اجتمع بهم
 من الناس واذكر بها من احسن اليّ ومن اساء عليّ فهي بالنسبة

لي احسن ثر اجتنبه واشن متاع اقتنيه لان طول هذه المدة لم
 يساعدني الدهر فاكون من ارباب المناصب العالية ولا اكتسبت
 مالاً يقيني نكبات الايام العاديه وقد بلغت خمساً واربعين سنة من
 العمر وانا لا املك شيئاً غير ما تراه عليّ من الثياب وثلاثين جنيهاً
 انكليزياً اجرة ثلاثة اشهر كانت لي عند القونبانية اخذتها حين
 لحقت بمحضركم وكل ما اكتسبته في الايام السابقة ضاع وذهب
 سدى فيه جزء ضاع في مصر وجزء عظيم كث اودعنه عند واحد
 من الناس فادعى انه سلمه اليّ بالزور والبهتان واقيلت بيديه وبينه
 قضية كانت له عليّ فيها الغلبة لمعرفته بكثير من الناس امكن له
 بواسطتهم غش المأمورين بالتحقيق فحكموا له عليّ فتخلص ضاع
 المال عليّ ومع ذلك فانا احمد الله على هذه القسمة ولست متأسفاً
 على ما فات ولا متذمراً بما صرت اليه من الحال في هذه الاوقات
 ولا نبالي اذا ارموا حنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نسب
 فلما انقضت مدة هذا السفر ودخلنا سواحل بلاد الانكليز
 احاط بجميع من في السفينة مزيد الفرح والسرور والانس والمحبور
 لان كلاب منهم كان يتربص الاجتئاع باخوته وقرابته واهله واحبته
 وصار كل يعائق صاحبه ويهشه بالسلامة ويعده بالاجتماع في
 اماكن معينة وعلى ذلك وصلنا مينا لوندرا فلبس كل واحد اخر
 ما عنده من اللباس وتهيأ للخروج وانا كذلك في جملة الناس
 تهيأت للخروج فاحضرت خرجي واحتملته على عاتقي واردت ان

اخرج واذا بنا السائح الذي كنت معه حضر لدی " وقال لي
 ماذا تصنع فقلت اريد الخروج الى المدينة فقال انت رجل فقير
 ولا تعرف الناس ولك اخت فقيرة محتاجة كل الاحتياج واخشى
 ان تستهلك ما عندك من الدرهم في الصرف على نفسك وتبقى
 صفر الكف فقلت له وما الرأي فقال الرأي عندي ان استحسناته
 ان تكون معي في منزلي فهو خير لك فشكرت صنيعه وحمدت الله
 سجانه حيث جعل لهذا الرجل العظيم الحنون الشقة على " ثم أكترها
 عربة وضعنا بها ما لنا من المتاع وركبنا معاً وتوجهنا سائرین وبعد
 توطني أخذت أسأل حتى عرفت محل اقامته زوجة القبطان المثوبي
 التي كنت جعلت عندها مائة جنيه فسرت اليها فلما رأتني قابلتني
 بمزيد البشـر والفرح والطلاقة وقالت لي بعد برهة يسيرة أني لما
 وجدت غيابك قد طال ولم يصلني من اخبارك ما يوقفني على
 حقيقة الحال جعلت وديعتك التي استودعـتها في احد بيوت
 الصيارة لأجل النـو لتجـد اذا حضرت اكـثر ما تركت ثم قـامت
 وفتحت خزانة عندها واجـرت منها سند الاستلام وحسبـت الـرجـعـ
 فوجـدتـه يبلغ مائة جنيه تقريـباً فـفرـحتـ بذلكـ وـشكـرـتهاـ علىـ مـعـروفـهاـ
 وـحـسـنـ تـدبـيرـهاـ وـدعـوتـ لهاـ وـلـمـ اـرـدـتـ الانـصـرافـ اـبـتـ الاـانـ
 اـتـغـذـىـ معـهاـ فـاجـبـتـ دـعـوتـهاـ وـصـرـناـ نـخـدـثـ مـعـاـ قـرـيـباـ مـنـ ساعـتينـ
 سـأـلـتـيـ فـيـهـاـ عـنـ سـبـبـ طـولـ الغـيـبةـ فـأـبـأـتـهاـ بـقـصـتيـ وـبـماـ صـارـ لـيـ
 وـلـنـ كـانـ مـعـيـ وـكـيفـ نـجـوـتـ مـنـ الغـرـقـ وـوـقـعـتـ فـيـ يـدـ سـكـانـ

افريقة فبكت على ما نابني من المصائب والمصاعب وقالت هكذا
 حال الدهر ثم انها قامت واخذت بيدي وتوجهنا الى الصيرفي
 واظهرنا له السند فقال الدرهم عندي حاضرة ان شئت اخذتها
 وان شئت ابقيتها للرجوع فشاورتها في ذلك واخبرتها ان لي اخنا
 بئمة فقيرة تركتها في خدمة خاتون بمدينة (بورك) ومن حين
 انفصلنا لم يصلني من اخبارها ولا وصلها من اخباري شي ولست
 اعلم ام ماتت ام هي في الحياة واريد ان امضي اليها لانظرها فان
 وجدتها ارسلت لحضرتك خطاباً اعلمك فيه بما يظهر لي في شان
 الدرهم فاستحسنست رايي وقالت انت عندي في مقام ولدي فلا
 تتأخر عن طلب ما يعرض لك من حاجة فستجده مني المساعدة
 الى اعانتك بكل ما قدرت عليه اكراماً للمرحوم فعند ذلك قبلت
 يدها وغيرة السند باسي وتركت الدرهم عند الصيرفي وصرت
 معها حتى وصلت لمنزلها ثم توجهت الى السائحة وخبرته بقصة الدرهم
 واستشرته في الذهاب الى (بورك) لاعلم حقيقة خبر اختي وعرفته
 رغبتي في السفر اليها فوافقني على ذلك وقال لي ان طاب لك
 المقام ولم ترد ان تعود الى لندرة فاعلم اني لك صديق محب على
 البعد والترب فسلني عن كل ما بدارك ولا تقطع عني اخبارك
 وان اردت الرجوع الى هذه الجهة فانا على ما تحب فشكرته على
 ذلك وبتنا ليلتنا فلما اصبح الصباح تأهبت للسفر فذهب معي الى

موقف سكة الحديد وبقي معي حتى ركبت العربية ثم ودعني
وأنفصلنا

المسامرة الثمانون

سوق في باريس

قال ناقل الحديث فيما هم كذلك حضر الانكليزي وفرع
الباب فقام يعقوب وقال في وقت اخر اتم لك سياق الحكاية ودخل
الانكليزي فتلقاء الشيخ وولده بالتحية والاكرام واخذ يعتذر لهم عن
تاخره ويشرح لهم الاسباب التي عافتة ثم سألهم عن حالم وصحتهم
فسكرروا الله واثروا عليه ثم قال الشيخ أنا قضينا هذه المدة مع يعقوب
في حديث ما جرى له وما رأه في البحر من حين سفره الى عوده

بلاده فقطعنا الوقت في لذة الحديث وخبره بما رأه برهان الدين
 بالامس وقال له انا سألنا يعقوب عن تاريخ باريس وطلبنا منه
 ان يقص علينا اخبارها فاحال عليك واعذر بقلة ما عنده في
 ذلك فقال الخواجا حباً وكرامة وسنجعل مسامرتنا بعد العود من
 الفسحة في ذلك لاني احب ان تقضوا ايام الاقامة بهذه المدينة في
 لذة وطيب خاطر واريد ان اكون دليلكم في الذهاب والعود
 لاطلعكم على بعض ما هذه الحاضرة من المآثر الفاخرة ولان وقت
 الطعام فان شئت تطلبه فقال الشيخ لا بأس ثم امر الانكليزي
 باحضار الطعام في مكانه المعد له وقاموا فاكروا وركبوا عربة
 وداروا في نواحي المدينة يتفرجون فاعجب الشيخ بانتظام طرقها
 وسعتها ونظافتها وحسن اشكال ما فيها من البيوت وما لها من
 اتقان الصنعة وتناسب الاوضاع واختلاف الصور وزيادة ارتفاع
 الاماكن وصار كلما ابصر شيئاً واعجبه سأله الانكليزي فيصفه
 له ويدرك ما حضره من خبر يتعلق به او نادرة تؤثر عنه ويبيّن
 له ما طرأ عليه من صروف الحدثان وتقلبات الازمان وتنقلاته
 من حال الى حال الى ان آل امره الى ما آل ولم يزالوا على ذلك
 حتى انتهوا الى مكان واسع فيه خلق كثير من نساء ورجال في
 ازدحام واستعمال ورأوا سقايف من حديد مرفوعة على اعمدة منه
 وكلها في ازدحام عظيم من كثرة الناس الواردین من المدينة من
 كل جهة وانصرفين بعد قضاء اغراضهم فكان الشيخ يرى الناس

في كثرة حركاتهم واختلاف تنقلاتهم وتقاطع مسالكهم اشبه شيء
 بتيارات مياه مختلفة الاتجاه فاعجيه هذا الموضع زيادة عن غيره
 فاحب معرفة أمره وسأل الانكليزي عنه وعن الغرض منه فقال
 له قبل ان ندخل في شرح هذا المحل مجلس برره في احد مواضع
 القهوة لستريح ونزل الانكليزي ومعه الشيخ وولده ويعقوب فدخل
 بهم الى قهوة لطيفة الشكل واسعة الارجاء كثيرة الزينة والزخرفة
 في جميع جهاتها مبلطة بالمرمر وهي تشتمل على عدة اماكن يوصل
 بعضها للآخر وفي كل مكان منها موائد (ترابيزات) بعضها من
 الحديد وبعضها من الرخام وحول كل واحدة منها جماعة من
 نساء ورجال بعضهم يقرأ اوراق الاخبار وبعضهم يلعب باوراق
 القمار وبعضهم يلعب النرد وغير ذلك من آلات اللعب وبعضهم
 يشرب قهوة وبعضهم يشرب غيرها من انواع المشروبات فأخذ
 الخواجا مكاناً خالياً في احد الاركان وجلسوا فيه جميعاً ثم بعد ان
 جلس كل منهم في مكانه واحضر خادم القهوة جميع ما طلبوه
 قال الانكليزي ان هذه السقائف العالية والابنية الخالية معدة
 لبيع جميع انواع المأكولات والاسماك واللحوم والفواكه والخضروات
 ولم تكن قبل هذه الايام على ما هي عليه الان من الحسن والانتظام
 الذي تراه بل كانت في غاية الضيق والوخامة من عدم التفات
 الحكام وارباب الرعامة فكانت من كثرة العام الدين يشترون
 ويسيعون بها يقع ازدحام يصر بالمارين لصيق دروبها وكانت احوالها

ليست مضبوطة وامور الصحة بها مهلة غير مربوطة فكانت تترافق
 بها القاذورات وتشعن منها الطرقات وربما اضرت بصحة اهل
 الازقة والحارات المجاورين لها فكثر التشكي من سكان تلك
 الاماكن حتى من اصحاب البضائع وما موري الضبط والصحة لعدم
 تمكنهم من اجراء ما يتقتضيه المصلحة فلورايتها وهو على ما كان اولاً
 عليه لافت نفسل من النظر اليه ولكن لما كانت هذه المدينة
 بسبب كثرة توارد الناس اليها آخذة في اتساع البناء تكلم ارباب
 المجالس في هذا الشان فاستقر رايهم على ازالة ذلك الضرر ثم
 عرضوا ذلك على ارباب الحكومة فصدقوا عليه وصدر الامر
 للمهندسين بامضائه وعمل رسم بما يتقتضيه التنظيم فرسموه وكتبوا
 معه ما يلزم لمصلحة البلد وصحة اهلها في الحال والاستقبال وقدموه
 ولكن لم يظهر لذلك اثر الا في عهد قريب لانه لم يبدأ في اساسها
 الا في سنة ١٨٥١ للميلاد مع ان التشكي والامر بازالة الضرر كانا
 قبل ذلك بحوالي اربعين سنة وقد تم في سنة ١٨٥٦ وهذا الميدان
 كله عبارة عن عشر سقائف مغطاة باللوح من التوتيا مرفوعة
 على عمود من الحديد ومساحتها بما فيها من المخانات والطرقات تبلغ
 ستين الف متر مسطح عبارة عن اربعة عشر فدانًا مصرية ونصف
 فدان تقريباً وتحت كل سقيدة من هذه السقائف ثلاثة وخمسون
 دكاناً وهي كما رأيت منقسمة الى قسمين كبير وصغير يفصل بينهما
 شارع عرضه ثلاثون متراً فالقسم الكبير تبلغ ارضه عشرين الف

متر الصغير عشرة الاف والباقي وهو ثلاثة وعشرين الف متر مساحة
 الطرق والميدان والجنبينة التي رأيتها فبسبب هذا الاتساع صار
 هذا المحل من احسن ما يرى والطفة فهو وان كان معداً لبيع هذه
 الاصناف الا انه صار معدوداً من المحلات التي تهرب اليها الناس
 وتتجتمع بها للتنفس والاستئناس وتحت هذه السقف جميعها دور من
 البناء كله مخازن في اعلا كل مخزن فتحة للاستضافة ودخول الهواء
 وبين تلك المخازن وبعضاها طرق عليها قضبان من الحديد
 موصلة الى السكة العمومية فترى العربات تسير في باطن الارض
 بانواع البضاعة ولا يشعر بها احد من هناك من الباعة فيهذه
 الوسائل كثرو ورود جميع اصناف المأكولات من غير ان يترب
 على ذلك ادنى ازدحام ولا نوع ايلام وصار اهل المدينة على ثقة
 من وجود ما يحتاجون اليه لوروده في وقت معين من جمع
 الجهات وكذلك اهل البضائع صاروا في امن على بضائعهم من
 العوارض التي كانت تعرض لها قبل ذلك هذا خلاصة ما يتعلق
 بذات المكان قديماً وحديثاً وما يباع فيه في كل سنة من القبول
 ونحوها فشيء كثير وقد احصي ما يباع فيه سنة ١٨٥٦ من الميلاد
 فكان مقدار ما يباع من صنف سمك البحر خاصة ٢٣٠٧٨٥ كيلو
 كيلو جرام والكيلو جرام عبارة عن اربعة اخماس او قمة مصرية اعني
 ثلاثة وعشرين درهماً ومن سمك الماء العذب ٢١٣٠٨٠ كيلو
 جرام ومن الزبد ٢٢١٧٦٠ كيلو جرام ومن صنف البيض ما

بلغ ثنه ١٦٠٨٦٧١ من الأفرنك ومن اصناف الخضروات ما بلغ
ثنه أربعين مليوناً من الأفرنك ومن الحم ٢٨١٣٦٤٧٩ كيلوجرام
ومن النبيذ المباع في برميله على اختلاف اجنبه مليونين من
اللترات والتر رطل انكليزي بلغ ثنه نحو خمسين مليوناً من
الأفرنك وما من سنة الا ويزيد على ما قبلها

قال الشيخ كذلك يجب ان تكون المدن التي وضعها على
ان تكون مسكونة باهل الصناعات واصناف التجارات يرد اليها
القرويون والغرباء بانواع الحيوانات المؤقرة بالبضائع المختلفة وهذا
من الامور المعقولة التي تضطر اليها طبيعة الاجتماع البشري فكلما
مست الحاجة لسعة الطرق لزم ان توسع حتى تندفع الحاجة ويا من
الناس من الاصطدام والاصطدام ويسلموا من اذى الازدحام
فعند ذلك نظر الى الشيخ صاحبه كأنه يذكره امر مصر قال سألت
بعض المعربين بصر عن الاسباب التي دعت اهلها لتضييق الطرق
قال حدثني بعض اسلافنا بما عاينت طرفاً منه وهو ان مصر كانت
مسكونة بام مختلفه الطباع متباعدة الاخلاق لا تنزال العداوة بينهم
قائمة والشرور مخدمة فكان من عرف نفسه بالقوة متسلطاً على
الضعفاء بالنهب والسلب مجاهرة يجوسون خلال الديار ويتسررون بها
فراء الناس مدافعة تلك الشرور بتضييق الطرق حيث لا يمكن
للكثير ان يبروا بها جملة واحدة واذا دخلوا او زرعا تمكّن الناس
ان يمحقوهم بالحجارة قفل النهب من داخل البلد وبقيت كثيرة

في الاطراف وبذلك السبب كان المصريون يخذون ابواب
 الدروب صغيرة مستوره الوجه بالمسامير المفرطحة الروس لتكون
 لها بمنزلة الدروع فلما هدأت الفتن وعم الامن وغلبت السلامة
 اخذت مصر في محاسن الاحوال ولطائف الاشكال من طرق
 بالغة في السعة وابنية متراصفة متناسبة تؤمن فيها عوائل المرور
 ويطيب الهواء وتصلح للإقامة وذلك من حسنات الدولة القائمة بأمرها
 حرسها الله وكان لها رداء معيناً وركناً حصيناً فانها لم تزل ناظرة
 في اسباب العمران واتساع دائرة الامن والرفاهية وحسن تعاون
 طوائف الناس بعضهم لبعض وشواهد الاحوال ناطقة بان ذلك
 لا يزال على احسن غایاته فالناس مقبلون على تعلم الالسنة وقراءة
 الكتب واجتناء ثراث العلوم ومن العادة ان الانسان اذا ترك
 حالة الى احسن منها بذل جهده في تغيير ما لا يرضاه فain مصر
 الان ما كانت عليه ولو بعد تقايها كثيرة من ضيق الطرق واختلاف
 الابنية بالدخول والخروج وسوء الوضع الموجب لوخامة الاهوية
 واضطراب الامزجة وتزاحم الناس واستغالمهم بما يقل نفعه ويكثر
 خسارته ثم ما احسن اتخاذ مثل هذا الميدان فانه ربما كان سبباً
 لكثير من المرافق كسرعه عود ذوي الاشغال الفلاحية الى اشغالهم
 بعد فراغهم من شان منقولاتهم وكضبط الاسعار وقلة التغابن فان
 الفلاح يبيع بضاعته جملة ثم اهل التجارة فيها يوزعونها حسب
 طلب الجهات بخلاف ما اذا كان الفلاح ينوى توزيعها بنفسه

عطلته زماناً طويلاً وربما بارت عليه وبالمجملة فاتخاذ الطرق
 لتسهيل المعاملات بحسب الامكنة والازمنة امر لا شبهة في حسن
 فقال الانكليزي هو كما قلت لا سيما اذا كانت الامة مراعية
 للشركة العامة والمصالح الشاملة غير مهملة لها وفقاً ما ثمن قاموا
 سائرين وهم يتحدثون فيما يرون عليه الى ان وصلوا محلهم فاجتمعوا
 جميعاً في غرفة الشيخ فطلب برهان الاذن من والده بالتوجه مع
 يعقوب الى البالو فاذن له وبقي الخواجا مع حضرة الشيخ

المساورة المحادية والثانون

باريس

فقال الخواجا قد طلبتم مني ملخص تاريخ هذه المدينة واصل
 وضعها فقال له الشیع نعم فقال لا يخفی ان حالتها آلان ليس كحالها
 في غابر الا زمان بل لا نسبة بين الحالين لأن جميع ما تراه من
 الابنية الحسنة والشوارع الواسعة المستحسنة وإن كان كله من
 نتيجة افكار المقددين الا انها لا يوجد بها آلات اثر من الآثار
 الاولى لأن كل جيل اتى بغير من اثار قبله فبتدأول الا زمان على
 هذه المدينة ووصلت الى هذه الدرجة التي صارت بها منفردة بين
 المدن وبلغت من اخر الغایة ومن الشهرة النهاية حتى شهد لها
 غيرها من سائر المدن انها فازت بجميع انواع اللطائف وحازت
 اصناف الزخارف ومع ذلك فلم تزل كل يوم تتقل من حال

إلى أحسن وتحجّد بها من أنواع الحسن في كل يوم ما لا يتجدد
 بغيرها في زمن فهي في الثروة ليس لها مثيل وما تبلغه في زمن قليل
 لا يصل إليها غيرها في زمن طويل وهم جرا وكل من رأها في
 سنة ثم رأها في أخرى قال إنها تغيرت إلى شكل أحسن مما كان
 وليس في الامكان حصر ما بها من الغرائب ولا ضبط ما يحدث
 فيها من العجائب فان الإنسان ولو اطال بها المقام واتخذها وطناً
 مدة من الأعوام لا يمكنه حصر بعض ذلك ولا الوقوف على ما
 يحدث فيها كل يوم من البناء والمسالك ومع ذلك فاني اذكر
 لحضرتكم ما يحضرني من تاريخها فاقول لا يخفى ان بين كل مملكة
 وكرسيها ارتباطاً كاربيطاً الجزرئيات بالكليلات لأن كرسي كل
 مملكة اصل في حوادث مملكته وحوادث كل مملكة راجعة إلى
 كرسيها سواء كانت الحوادث دينية او دنيوية فمن اراد التكلم على
 احداها اضطر إلى التكلم على الأخرى وشرح الكلام في هذا يطول
 فلا نذكر إلا ما هو ضروري فنقول

من المعلوم ان الجزء اصل للكل وان الفردية سابقة على
 الزوجية وان العدم سابق على الوجود وان اصل الاعداد الواحد
 فإذا تمهد ذلك فلا مانع من ان يكون اصل كل مدينة او قبيلة
 ناس قليلون ثم يتزايدون شيئاً فشيئاً اما من نسلهم او من يأتى
 إليهم طمعاً في ارزاقهم او احتقارهم فهذا هو اصل اتساع المدن
 والتباين وكثرة اهلها

فقال الشيع هذا كله مقبول ومعقول وقد اصابوا فيما فعلوا
 حيث تخيروا هذا الموضع وجعلوه ممرا لهم فقد وجد فيه ما ذكروه
 في اتخاذ المدن حيث قالوا يجب في كل موضع اريد اتخاذه مدينة
 ان يكون مشتملا على ما يقي من المضار وتسهل به المنافع والمرافق
 فاما ما يقي من المضار فبأن يدار حوالها سياج الاسوار وان يكون
 وضعها في متنع من الارض اما على جبل ليصعب على العدو
 صعوده واما ان يحيط بها بحر ليصعب عليه عبوره وكذلك مراعاة
 الوقاية من العوارض الجوية بان تكون طيبة الهواء لان الهواء اذا
 كان خبيثا بان كان ساكنا او مجاورا لمياه فاسدة او لمنافع متغيرة
 اضر بما حوله من انسان وحيوان كما هو مشاهد واما ما تسهل به
 المنافع والمرافق فامور منها وجود الماء العذب والمرعى وقرب المزارع
 والأشجار منها للاختطاب والبناء لان قرب ذلك يسهل على
 الساكن مراقبته ومنها قربها من البحر لتسهيل الحاجة الفاصلة من
 البلاد النائية فإذا لم تراع هذه الامور في المدينة قبل اختطاطها
 اسرع اليها الخراب كما وقع في بعض مدن العرب التي اختططوها
 بالعراق وافريقيا والكوفة والبصرة والقيروان حيث لم يراعوا فيها
 الا الأئم عندهم من مرعى الابل وما يلزم لهم من الشجر ولم يراعوا
 الماء العذب ولا المزارع ونصوا ايضا انه يجب في المدن الساحلية
 ان تكون في جبل او بين امة موفرة العدد والعدد للاستنصار
 بها اذا دهم العدو لان المدينة اذا لم يكن بقربها عمران ولا طريقها

وعرًّا كانت طعمة لكل من ارادها واظن ان هذه الامور جميعها كانت متوفرة فيها حين وضعها

فقال الانكليزي لا شك ان معظم هذه الامور متوفرة في هذا الموضع لأن النهر موجود فيه وكذلك هو آوه خالص نقى والمحجر عندهم كثير للبناء به بدل الخشب فهذا هو السبب في اختيار هذه البقعة والاقامة بها وكان ابتداء وضعها حين كانت الارض كلها سائلة ونفرق الحلق عن سطحها وعذرهم في عدم استيفائهم بجميع شروط الاخنطاط ما ذكره المؤرخون من ان هذه البقعة وغيرها قبل ارن تسكن لم يكن بها الاً اكاماً وصحابي مملوء مياه ملحمة واستدلوا على ذلك بوجود اجزاء حيوانات بحرية واسداف عثروا بها خلال اجزاء الاحجار والظاهر ان محل باريز قبل ذلك وبعده بزمن طويل كان مغموراً بالماء وفي صورة خليج وان كان مدن (منت · ودروه · وفونتينبلو · ونومور · ومونترو) وغيرها كانت على شواطئه وكانت وسط الماء أماكن مرتفعة كالجزائر وكانت سواحله خالية من النبات والمخلوقات ليس بها الا الصدف وميغة السبك ونحوه من الحيوانات البحرية وبعد انتصاء تلك الايام صار الماء ينحسر والارض تجمد شيئاً فشيئاً فكان كلما انحسر الماء عن موضع كسي بالنبات والشجر حتى كثر ذلك فاوجد الله بين تلك الاشجار انواعاً من الحيوانات فظيعة المنظر مهولة الخلقة فصارت تناسل وتتشير في جميع البقاع وبقيت هذه البقعة على حالها الى ان

جاء طوفان بوح عليه السلام وكان خروجه من الجهة الجنوبيّة
 الشرقيّة فقلع الاشجار والنبات وغرق أكثر ما على وجه الأرض
 من الحيوانات ولم ينج منها إلا القليل فاختلط بعضه ببعض وتناصل
 حتى ملأ الأرض فلما قضى الله ما أراد من الخراب وسكنت الأرض
 بعد الاضطراب وعمرت بما بقي من نوع الانسان تفرق الخلق في
 ارجاءها وعمروا نواحيها فكان منهم طائفة وهم على ما حتفه المورخون
 قوم من أهل الصين ذهبوا إلى تلك الجهة وكان مأواهم حين
 نزولهم بهذا الموضع الخيام كعرب البدية فلما سكناها وعمروها
 سموا جال أي زراع الأرض وكانوا قبائل وعشائر وكل طائفة
 رئيس يحكم فيها وينظر في دعاويها ويقودها في الحرب وكانوا
 يصدقون بوجود الخالق ويسمونه هود ومعناه الخالق الأكبر المؤثر
 في الكون ولكنهم كانوا يعتقدون أن معه آلهة أخرى وإن كل الله
 موكل بقوعة من القوى المؤثرة في تدبير الكون وهذا الاعتقاد يشبه
 اعتقاد اليونان فائهم يقولون بتعذر الآلهة وإن منها ما هو موكل
 بنار الدنيا وما هو موكل بالرعد وما هو موكل بالنهار والخلجان إلى
 غير ذلك وكانت يزعمون أن ديانتهم ماخوذة عن توت أي ادريس
 عليه السلام وأنه الاصل في جميع الفنون والصناعات والمزارع وكانت
 اعيادهم وقت دخول الفصول في بعضها فيكترون فيها من شرب
 المسكر وتعاطي المنكر ويقربون من الآدميين لا لآلهتهم فربانا ولم يزالوا
 كذلك إلى قبيل ظهور الديانة المسيحية بحوسبعهائة سنة فهاجر من

جهة آسيا الى حدود البحر الاسود عدة قبائل فوجدوا هناك قوماً
 يسمون كيرميس فاز عجوبهم من مساكنهم وسكنوا مكانهم فرحل
 الكيرميس الى جهات نهرى الطونة والرين واقاموا بارض الجول
 التي هي الان فرنسا فتدينوا بديانتهم ورفضوا الديانة القديمة ثم
 انتشرت في بلاد الاندلیز وهولاند وسكن بلاد الجول اي فرنسا
 الى الان يتكلمون بلغة الكيرماسین فلما ارتحل الكيرماسيون الى
 ارض الجول تخربوا منها موضعًا وبنوا به مدينة سوها (درود)
 وجعلوها مركزاً لاهل ديانتهم كمدينة رومة الموجودة الان لاهل
 الديانة المسيحية وكانت تسمى هذه البقعة بالارض الوسطى ومركز
 الديانة العامة ومقر العلماء والمحبين لازميس وما قدمناه في شأنهم

من الاعتقاد انما هو معتقد كهنتهم ومن تبعهم

واما عوامهم فكان اعتقادهم مجرد اوهام وتلبيسات تلقها اليهم
 كهنتهم فكأنوا يكتفون عنهم عقائدهم التي يعتقدونها ليتازوا بها
 عنهم ومن جملتها اعتقاد وحدة الله وانه الذي لا نهاية لعلمه وان
 كل ما اراده في الكون من خيراً او شر لا بد ان يكون وانه الخالق
 لكل شيء الذي يهبي كل ما خلق لما خلق له فيرفع اهل السعادة
 الى الدرجات العلي وهي دار النعيم ويخفض اهل الشقاء الى الدرك
 الاسفل وهو محل العذاب المقيم والدرك الاسفل عندهم عبارة عن
 الفراغ المطلق والدرجات العليا عبارة عن محل الذي تقيم فيه
 الارواح المنعمة وان الانسان اذا ارتكب خطيئة او ذنبًا ثم مات

نزل الى الدرك الاسفل اعني الفراغ الذي خرج منه وان كان
 جاريا في عمله على مقتضى علمه لا يرجو به حصول ثواب ولا فراراً
 من عقاب كان مآل النعيم المقيم وان كل من فترت عن الطاعة
 قواه اهبط الى الدرك الاسفل وكان قرينه الشيطان الذي اضلها
 واغواه واقام في دار الشقاء والندامة وحرم من انواع اللذة والكرامة
 واما من صعدت روحه الى ارواح الابرار فانه لا يجد ما يؤلمه في
 تلك الدار بل يكون دائمًا في عز وصيانة آمناً من الوقوع في النزل
 والاهانة متخلياً بجميل الصفات كالراحة الدائمة وحسن الافعال
 ونور الذات متخلياً عن سائر الرذائل اقلها المذلة والخوف من القلة
 ومن الكيرماسين قبيلة تسمى البنج ومعناها في الاصل المحاربون ثم
 اطلقوا على سكان مملكة البنجقا وتسمى عند مؤرخي العرب بالفمنك
 تحولوا من شاطئ نهر الرين الى جهة الجلوبيين وهم القاطنوون
 بشواطئ نهر الوان فاذدوا لهم في المقام معهم واختلطوا بهم ومن ذلك
 الوقت سموا بالباريزين اي سكان الوان هذا ما يحضرني الان
 من خبر هذا الموضع وسكانه واما طباعهم فكانت وقت ذاك وحشية
 واجسامهم عارية وعوراتهم بادية وكانوا يسمون اجسامهم وينزكون
 شعر رؤسهم حتى يصل الى اكتافهم وكانت القبائل التي حولهم
 تشهد لهم بالقوة وتخشى باسمهم وكانوا اذا خرجوا للحرب وقتلوا احدا
 علقوا راسه في عنق الخيل للغدر وجعلوها آنية يشربون بها الماء
 والخمر وكانت الارض التي نزلوا بها اذ ذاك ضيقة لان الجلوبيين

محظوظون بها من كل جانب فلما استقرت فيها أخذوا يرتادون محلات
 يجعلونه مركزاً لحكمتهم فاختاروا موضعًا جهة نهر السين كان به
 سبع جزائر يقرب بعضها من بعض فبنوا فيه مدينة جعلوها مقر
 التخت وسموها لوبيس وكان ذلك قبل هجوم الرومانين على لرض
 الجول واستيلائهم عليها بدة كبيرة فهذه المدينة التي تراها ويعجبك
 ما فيها من المباني الفاخرة وزيادة ثروة أهلها قد عوضت لوبيس
 القديمة بعد استيلاء الرومانين عليها وكان بناء لوبيس من خشب
 وأغصان شجر ومساكنها ضيقة مخفضة ليس بها منافذ ولبرودة أرضها
 كانوا يستعملون تنانير كاهل ريف مصر وكانت حالية من المعابد
 فإذا أرادوا أن يجتمعوا وقت الأعياد والمواسم خرجوا إلى صحراء
 قريبة منهم فيجيئون بها وكانت معاشهم من الزروع وكانوا
 يزرعون فيدخلون مؤناتهم ويتجررون فيما فضل عنها والخصوصية
 الأرض وحسن مبنتها كانوا في ثروة وطيب عيش ثم حصل لهم بعد
 ذلك اضطراب فتضعضع حالمهم وأل أمرهم إلى الخراب وسبب ذلك
 ما قرأته في بعض الكتب وهو ان الرومانين في تلك المدة بعد
 تخريهم لبلادهم واستيلائهم على لوبيس مقر تختهم كما قدمنا كان
 تحت قبضتهم قبائل من الجبال خرجوا عن طاعتهم ورفعوا لواء
 العصيان عليهم فلما رأى الروم ذلك وكانت عساكرهم متفرقة في
 الحرب إلى جهات متعددة وليس فيهم كفاية لمقاومة الجميع دبر
 فيصرهم في إيقاع الفتنة بين تلك القبائل وقال لأهل مشورته أنا

لا تتمكن منهم الا اذا وقع الخلف بينهم فارسل اولا اليهم يطلب
 منهم مددًا فابوا جميعاً فطلب منهم خيلاً فنهم من اجاب ومنهم من
 امتنع ووقع الخلف بينهم فتمت حيلته وتوجه بعسكره اليهم فخرب
 مدینتهم لوتيس مع جزاعها السبع وقتل من قتل وأسر من أسر ومن
 ذلك الوقت غيروا اسم لوتيس بباريز واشتهرت بهذا الاسم الى الان
 وهذه الحادثة كانت قبل ظهور المسيح بخمسين عاماً ومن ذلك الوقت
 اخليط الرومانيون بالباريزيين وصارت ديانتهم واحدة ومكث
 الباريزيون واهل فرنس تحت حكم الرومانيين نحو الف سنة فكان
 القياصرة يتولونها قيصرًا عن قبض ولم ينزعهم احد منهم في ديانتهم
 فيبنوا بالمدينة معابد وهيأكل واعلوا بنيتها ونظموا شوارعها ووسعوا
 اسباب متاجرها ومزارعها وما زالوا كذلك الى سنة ٢٤٥ ثم لما
 ظهرت بها الديانة العيساوية كان كلما كثر اهلها نهقر حالم ولكن
 بقيت اهل الديانة العيساوية الى القرن الثامن من غير رئيس ومع
 ذلك فكانت الديانة العيساوية هي الغالبة فلما حصل القول بباريز
 بربوبية عيسى عليه السلام حدثت الكنائس ورتبت القسس
 فتفرقوا في مواضع كثيرة فكان العيسويون بشاطئ نهر السين
 ووان واما المتسكعون بالديانة القديمة فكانوا متفرقين في مواضع
 كثيرة وكل طائفة رئيس منها يسوسها ويحكم فيها الا ان طائفة
 الفرج وان كانت قليلة العدد كانت تميل الى السلب والنهب
 فكانت الحرب بينها وبين من حاورها من الباريزيين وغيرهم لا تنتقطع

وكانت جميع القبائل تحسب حسابها وتهاب حرها وذلك لأنها
 التقت مرة مع جيش الرومانيين فهزمه و كانت لا تبلغ أربعة ألف
 وجيشه الرومانيين أكثر من ذلك باضعاف فن ذلك توهما
 شجاعتها وهابوا سطوتها إلا أن الباريزين عرفوا كيف يخلصون
 من شرها ويامنون من ضررها وذلك انهم استقالوا قلوب الفرج
 حتى ادخلوهم في دياتهم وزوجوا اميرهم بتنا من بنات ساداتهم
 وملكتهم عليهم فعدل فيهم واحسن سياستهم وذب عنهم من ناوائهم
 حتى خلصهم من ذل الفرج وقبضة الرومانيين وحكمهم عليهم وكان
 ذلك سنة ٤٧٥ من الميلاد فامنوا على انفسهم واموالهم وزادت
 ثروتهم وحسنت عيشتهم وملائـة المعورـة شهرـتهم ولاجل تـأكـيد
 الائـتمـامـ والإـشـالـافـ ودفعـ تـوـهـ العـودـ إـلـىـ ماـ كـانـواـ عـلـيـهـ مـنـ الخـالـفـ
 بـنـيـ ذـلـكـ الـمـلـكـ كـنـيـسـةـ بـاـسـ الـحـوارـيـنـ ايـ اـنـصـارـ عـيـسـىـ وـهـ بـولـسـ
 وـبـطـرـسـ وـاـوـصـىـ اـنـ يـدـفـنـ فـيـهاـ اـذـ مـاتـ فـفـعـلـوـ وـكـانـ اـسـمـ منـ
 زـوـجـوـ بـنـتـهـمـ كـلـوـفـسـ وـهـ الـذـيـ قـتـلـ جـمـيعـ اـقـارـبـهـ وـكـانـواـ مـلـوـگـاـ
 فـاسـخـوـذـ عـلـىـ مـاـ الـكـمـ وـخـلـفـ مـنـ الـذـكـرـ اـرـبـعـةـ فـلـمـ مـاتـ قـسـمـوـ
 الـمـلـكـةـ بـيـنـهـمـ فـتـمـلـكـ اـحـدـهـ عـلـىـ بـارـيـزـ وـالـثـانـيـ عـلـىـ سـتـيرـ وـالـثـالـثـ عـلـىـ
 سـوـاسـوـنـ وـالـرـابـعـ دـلـيـانـ ثـمـ مـاتـ مـلـكـ دـلـيـانـ وـخـلـفـ ثـلـاثـةـ مـنـ
 الـأـوـلـادـ فـاتـقـقـ مـلـكـ بـارـيـزـ وـمـلـكـ سـوـاسـوـنـ عـلـىـ قـتـلـهـ وـقـسـمـةـ مـلـكـةـ
 اـبـيـهـ بـيـنـهـاـ فـارـسـلاـ اـلـىـ وـالـدـتـمـ رـسـوـلاـ يـخـبـرـهـ بـاـنـ تـرـسـلـ الـأـوـلـادـ اـلـىـ
 عـامـمـ لـيـرـيـوـمـ وـيـعـلـمـوـهـ السـيـاسـةـ الـمـلـوـكـةـ لـاـنـهـ سـيـصـيـرـوـنـ مـلـوـکـاـ

فتوجه إليها الرسول وأخبرها بما قالوه فصدقه وارسلت الأولاد
 إلى أعمامهم ثم أرسلوا إليها رسولاً ومعه سيف ومقص و قالوا له مرها
 إن تخنار إيمانها شأت ويخبرها إنها إذا اختارت المقص فلا حرج
 لأولادها في الملك وإذا اختارت السيف فلا بد من قتلهم فلما
 وصل إليها وأخبرها بما قالوه قالت اختار السيف وقتله أسهل
 عندى من بقائهم محرومين من حقوقهم فرجع الرسول وأخبر أعمام
 الأولاد بما قالته أمهم فقام أحد أعمامهم وضرب أحد الأولاد بخنجر
 فخر ميتاً ولتجأ الثاني إلى عمه الثاني فلم يكنه حمایته من أخيه وخلي
 بينه وبينه فقتله وأما الولد الثالث ففر من بينهم ولم يوقف له على
 خبر ويقال أنه دخل ديراً ولم يخرج منه حتى مات وفي أيامه
 حسنت حال أهل هذه المدينة وتقدمت الملة العيساوية الآن
 ملکهم مات ولم يعقب لا ولداً واحداً فقتلها بعده ولم تطل مدة
 بل مات أيضاً ولم يختلف سوى بينين فاتفق عماه على أن يقتسموا
 مملكة باريز وإن لا يجمع لها مقرًا وإن لا يدخلها أحدهما إلاًّ ومعه
 الآخر فضى الأمر على ذلك وهجرت باريز ولم يبقَ فيها إلاًّ أهاليها
 ولما كانت سنة ٥٨٤ من الميلاد خطب ملك الاندلس لابنه ابنه
 ملك سوسون فاجابه وجهزها له وارسلها في موكب عظيم جمع
 فيه أولاد أمراء باريز وأعيانها وأمراء يروا بالموكب من وسط
 المدينة ففعلوا وما أكثرهم في الطريق بعد المسافة إلاًّ أنه لم تطل
 أيامه بل عجل له حمامه ولم يعقب إلاًّ زوجة و ولدًا رضيعًا وكانت

امه مالأت قوما واغرتهم على قتل ملك ميتز فلما لم يتم ذلك خافت
 على نفسها منه فأخذت ابنها وذهبت به الى باريز وكان رئيس
 الديانة بها يومئذ رجل من ذوي المرؤه والفنون المشهورين بالشجاعة
 والقوة واجتمعت به فائزها عنده واكرم نزها وكانت الحرب في ذلك
 الوقت قائمة وعيون القن مستيقظة غير نائمة والفرنج منقسمة فسمين
 كل قسم معزز بوضع العدوان من بينهم لا ينقطع لكن كان
 القسم الغربي يميل الى السلم ويغلب عليه طبع الحلم لما عنده من
 عوائد المتمدنين حتى كان يعد من الرومانيين واما القسم الشرقي
 فكان يغلب عليه طبع الخسونة والتوحش ثم ان تلك المرأة بعد
 ذلك ذهبت بابنها الى ملك البرجون واستغاثت به في ابقاء ابنها
 في ملك ابيه فشعر ذلك الملك عن ساعد الجد وشد منها العضد
 وأخذها وذهب بها الى باريز فصادف دخوله يوم الاحد وهم
 مجتمعون للصلوة فدخل الكنيسة وتلا عليهم مقالة حثهم فيها على ان
 يساعدوه على ملك ميتز وان ينعوا عن باريز اذا قصدها فاجابوه الى
 ذلك فلما جهز ملك ميتز جيشه واتى بها الى باريز لم يتاخر من اهلها
 احد بل قاموا جميعا عليه وقاتلوا حتى ارتدى بجيشه خائبا وصار مطلوبا
 بعد ان كان طالبا وامتن باريز من ذلك الوقت من طرائق
 الحوادث ولم تنتد اليها يد عادي ولا عابث الى سنة ٨٣١ انا كان
 يحصل بها احيانا بعض حوادث كقطط ووباء ومرض وغلاء ومع
 ذلك كان اهلها يزايدون الى ان كانت سنة ٨٤٥ للميلاد فاغار

الجermanيون عليها وهي اول غارة اغاروها على فرنسا فقتلوا رجالها
 ونهبوا اموالها واستولوا على ارضها وكان ملكها وقتئذ شارل الاصغر
 فلما عجز عن مقاومتهم وبئس من الخلاص من يدهم طلب الصلح
 معهم فصالحوه على ان يدفع لهم ٧٠٠٠ ليرا فاعطاها لهم فاخذوها
 ورجعوا الى بلادهم ثم بعد عشر سنين رجعوا ثانية فاعطاهم كذلك
 فلما علم الجermanيون ضعف الفرنسيس وعدم مقاومتهم لهم لم يقنعوا
 بالمال بل طمعوا فيهم فصاروا يأتون كل عام لنهب اموالهم وسي
 ذرائهم وقتل رجالهم وهم عبادتهم وهتك حرمة مقدساتهم ولكن
 لمحافظة الفرنسيس على حرمة مقدساتهم كانوا اذا استشعروا بقدوم
 الجermanيين يقدمون موارة المقدسين على محافظتهم لأنفسهم وفي سنة
 ٨٨٥ اغاروا على المدينة غارة كبيرة فدافعوا عنها اهلها مدة ثم حاصرها
 الجermanيون وضيقوا على اهلها وقتلوا من عثروا به في ضواحيها من
 نساء ورجال واطفال والقوا رمهم في الخنادق وطال الحصار
 فحصل لأهل البلد ما لا مزيد عليه من الكرب لقلة الرزاد وتعذر
 وصول الميرة اليها فجاء الملك شارل ودخلها بعد محاربة جرت
 بينه وبين الجermanيين ولكنه رأى من الصواب ان يصطلح معهم على
 ان يدفع لهم مبلغا فاخذوه وانصرفوا ولكن كان النهب في البلاد
 الاخرى لم ينزل واقعاً واما سالوم عن فوائد الصلح يقولون لهم ان
 ما اخذناه وجري علىه الصلح انا هو عن باريز خاصة فزاد كرب
 الاهالي من هذه الافعال الشنيعة التي هي من اثار توحشهم

وخشونتهم وفسوة قلوبهم ولما رأى اهل باريس ان ذرية مينار وهم
 ابناء ملك مينار قد غلب الجبن على طباعهم وزلوا في المهمة الملوكيه
 عن اوضاعهم وتغير شعاعهم وكادت ان تخرب من القتل والسلب
 ديارهم وان استمرار الجرمانيين على هذه الحال ما يزيد في امرهم
 الا خلاف اجمعوا امرهم على ان يجعلوا لها ملكا وان تعود باريز الى
 ما كانت عليه من الاستقلال فولوا عليهم رجالا يسي او د ورضوا
 حكمه فعمل لهم قوانين مشوا عليها ثم ان القرال الاكبر المسى اشيل
 وكان مقره اذ ذاك مدينة ايكس انكر على الباريزيين امراً حصل
 منهم فخرج اليهم بجيشه وقتل رجالهم ونهب اموالهم وتغلب على مملكة
 باريز ولكن لم تطل مده ولم يوجد من يقوم مقامه في مملكته من
 ذريته واهل دولته فولوا مكانه رجالا اسمه هوج كالي فسار فيهم
 احسن سير ودبر لهم كل ما فيه خير وجدد لهم مصانع ومعالم ظهرت
 بها بعد خمولهم بين العالم وقويت في ايامه شوكة الدولة الفرنسية
 وصار لها شهرة بين الام وشهد لها جميع الدول التي حولها من
 انكليز وعجم وجدد بها مدارس ووردا اليها من اصناف التجارة ما
 لم يرد في ايام من قبله وضم اليه من اهل المعرف من ساعده
 وقوى في تدبير المملكة ساعده وكانت بيتهم دوراً واحداً من
 خشب فلما اتسعت عليهم الازاق واتهم التجارة من سائر الافق
 بنوها بانواع الاحجار وجعلوها ثلاثة ادوار الدور الاول معقود
 كالقبة والذي فوقه مسطح ومرصص بالخزف واللبن وفتحوا في

الثالث شبابيك ووجد بالمدينة كل ما يلزم لاهما من سلاح وملبس
وطعام وكثرت بها العمارات والخوانق في تلك الأيام وثارت في
ايامه فتنه بينه وبين الأمراء القاطنين بالارياف وكان من حزب
الملك الأشرف فحسم أمرها واطفاء شرها وكانت احكام الديانة في
ايامه تؤخذ بالتقليد المحسن والتقليل الج迂سواء كان المقول صحيحًا
او غير صحيح ومعقولاً او مخالفًا للعقل

واستمروا على ذلك الى ان بني بطرس ابيار وهو احد اغنياء
الامراء اذ ذاك مدرسته بجبل المقدسة ودرست فيها الفنون
فانطلقت السنتهم واتسعت دائرة معارفهم وكان اهل هذه المدينة في
ذلك الوقت يبيعون ما كولاتهم في اماكن متعددة غير متضمنة ولم
يكن بها معرض عمومي كالذي رأيته وكانت عرضة للحوادث السماوية
كالمطر والشمس الى ان كانت ايام الملك فيليب اوغست فامر بعمل
سقايف وعين لكل سقية نوعاً يباع تحتها ويستظل اهله بها وهو
الذى بنى سراية اللوفر وفرش شوارع المدينة بالحجر واول من بنى
خانات للقراء وابناء السبيل وعمل اسواراً حول المقابر وتقدمت
في مدته الفنون والصناعات وكانت ايامه كلها منافع لكن كانت ادارة
البلاد محالة على مشائخها فظلموا اهلاها وامتدت ايديهم الى اخذ
الرسوة في الحكم وكانت المناصب تباع وتشرى ولا يولي فيها الا من
بذل لاجلها المال او كان من اقارب شيخ البلد او اهله فحصل
lahem من الذل والاهانة ما لم يسمع بهنle وخررت البلاد وتفرق

اهلها الى ان هلك فيليب وتملك بعده سنتلويز وكان يميل لاهل
 الديانة والانصاف ويحب عماره البلاد وينفر عن الظلم واهله فنشر
 عليهم الوبية عدله وامر بابطال ما فيه شائنة ظلم من اصله ورتب
 لاموري الاحكام مرتبتات من طرف الدولة وانتخب من اهل كل
 بلد رجلا معروفاً بالصدقة ولاه عليها فعمرت البلاد وتراجع اهلها
 وزادت عدتهم ورجحت في ايامه تجارتهم وعمل قوانين ونشرها في
 مملكته فيها بيان ما يجب على المخترفين في حرفتهم جزاء ارباب
 الجنایات ومن احكامها ان يكون اداني الناس واسفلهم في جهة
 مخصوصة وقد كانوا منتشرين في البلد لا يتميز ذو الشرف من
 الوضيع ولا الدعي من ذي النسب الرفيع ورتب مجلساً للنظر في
 تنظيم البلد وجعل على ارباب الحرف اموالاً تصرف في ذلك
 وقد للباريزيين او قاتهم بضرب الدفوف فكانت تضرب وقت
 الغبر لايقاظهم من نومهم وقت الزوال لغذائهم واستراحتهم من
 اعمالهم وجعل في الكنائس نوافيس تضرب وقت العشاء فاذا ضربت
 امتنع عليهم الخروج من منازلهم الا من كان معه اذن من ضابط
 البلد او شيخها ووضع على ابواب الドروب سلاسل باقفال فكانوا
 اذا جاء الليل قفلوها فلا تفتح الى طلوع الغبر ورتب على ارباب
 الصنائع خفراً يدور بالليل حول البلد وداخلها وعليهم مفتشون
 فاذا حدث امر كتبوه وعرضوه على الملك ولاموريين واصدر امره
 ان لا يغافى من الخروج الى الخفرا الا ارباب الديانة وذروا

العاهات والزمانة وطائفة المعمار والضر بخانه ورسوء الحرف وجعل على كل من لزمه الحفرو لم يخرج له مائة وخمسين فرنكًا في كل سنة إلا أن بعض الناس كان يحتمي ببعض الامراء فيتخلص بهم من اداء ما يجب عليه وربما وزعوها على غيرهم فاشتكت القراء ذلك اليه فصرفها عنهم والزم بها اهل الحرف خاصة وقشذ وكان عدد اهالي باريز ٢١٥٨٦١ نسماً وعدد كايسراً ٣٦ لكن لم يبقَ الان منها واحدة على حاتها بل منها ما هدم وبني ثانياً ومنها ما ازيل بالكلية وفي زمن فيليب اشتدت رغبة الناس في سكنى باريز فاشترط انه اذا اراد احد درج اسمه ضمن عدادها لا يجاب الى ذلك إلا اذا توجه الى شيخ البلد واشترى قطعة من ارضها وان يتم بناءها في سنة وان لا ينقص قيمتها عن ثلاثة فرنك ويشهد عليه بذلك شاهدين ويشرط عليه ايضاً ان يحضر اوقات الاجتماع كل مواسم والاعياد ومن ذلك الوقت صار اهلها درجات الاولى اهل الديانة وهي التي لها الكلمة على اهل الملة ورئيسهم

منهم

الثانية الامراء ووجوه الناس والاغنياء

الثالثة اصحاب الاملاك والمتوسطون من الاغنياء ورئيس

هاتين الدرجتين الملك

الرابعة الاغراب

الخامسة رعاع الناس وأحادهم ودرجة هاتين الطائفتين

كدرجة لارقاء فلا يخرجون من يد الا وقعوا في اخرى وحدث
 في ذلك العهد شقاق بين الملك والبابا في شان ارض فرنسا لأن
 البابا كان يقول ان جميعها من حقوق الكنيسة وللملك يمنع ذلك
 فاجتمع ارباب الحكومة واجمعوا على حسم هذه المادة واتفقوا على عقد
 مجلس مشتمل على ثلاثة عشر من الاسراف ومثلهم من رؤساء
 الديانة ومثلهم من اعضاء مجلس المدينة وسموا ذلك المجلس مجلس
 النواب لأن كل صنف من رجاله نائب عن طائفة وعينوا لهم
 موضعًا يجتمعون فيه ووضعوا على بابه صورة اسد رافع راسه الى
 اعلى وباسط ذراعيه اشارة الى انه يلزم كل من يريد الدخول
 في هذا المكان الاذعان للحق كيف كان وكان عقد هذا المجلس في
 سنة ١٢٠٣ والذي اخطط عليه رأيهم هو ان الارض وما عليها لله
 سبحانه وتعالى وان الخليفة عنه فيها ملكها وان لا حق للبابا فيما
 يدعوه فلما اعلنوا بذلك كثرت المنازعات الدينية واخل امر الحكومة
 ودخل بين رجالها الغش والتقص فيما يتعاملون به من التقويد
 حتى ضجر الاهالي وشكوا فلم يسمع منهم فقاموا على رجال الحكومة
 ووقع بين الطائفتين قتال شديد مات فيه كثير منها واسترت
 العساكر بعض الاهالي وقبضوا على نحو عشرين رجالا منها وقتلواهم
 وصلبواهم على ابواب المدينة وكان في هذه المدة ضربت تقويد جديدة
 فامر بابطالها ومعاملة بالقديمة فتوقف البايعة وارباب العقارات في
 اخذها وحصل بين الناس ورجال الملوك مثل ما حصل

اولاً وكثُرت الجرائم وفتحت ابواب المظالم وغلت النّعوذ غلواً لا
 يطاق وضجّت الخلق وشتد الامر وانقد في قلوبهم الجمر لاسباب
 اعظمها الانكباب على الترفة والزهو والاكتثار من اللعب واللهو
 حتى قامت الاهالي على الحكومة سنة ١٣١٢ من الميلاد فرفعت
 عنهم المظالم فلم يكفهم ذلك بل طلبوا اخراج اليهود من المدينة
 لأنهم السبب في فقرهم وذهب اموالهم فلم تكنهم الحكومة من ذلك
 فقاموا جميعاً دفعة واحدة على بيوت الصيارة واليهود ونهبوا
 وقتلوا من وجدهم فيها وحرقوا دفاترهم وصاروا يتبعون اثر اليهود
 فلم ينج منهم الا من الحق نفسه بالعسكرية او آوى الى ركن شديد
 وبعد ان احمدت نار هذه الفتنة عمل الملك لولده فرحاً زينت له
 المدينة واوقدت الشوارع بالشموع وفرشت الطرق وساق اهل
 المدينة الى الملك هدايا جسمية واوقدت الشموع نهاراً في محلات
 الوليمة وكانت برamil الشراب على عربات والناس يشربونه من
 حنفيات ومكث الفرح كذلك اياماً وبعد انتهاءه امر بوكب ضرب
 لاجله من النواقيس ثلاثون الفاً حتى تعجب الناس من وجود هذا
 القدر في مدينة واحدة وفي سنة الف وثلاثمائة واربعة عشرة
 اتهمت الملكة واختها وامرأة معها بالزناء فحكم على الملكة بالحبس
 سبع سنين وقتل الآخرين وكذلك ادعى على كثيرين بان لهم
 دخلاً في هذا الامر فقتلوا جميعاً ولم يكن اشد على الامراء والاهالي
 من أيام فيليب السادس لانه من حين جلوسه على التخت اتفتح

عليهم من المصائب ابواب وضاقت عليهم الرحاب فلن قسوته وعنده
 قتله للامراء والاعيان سنة ١٣٤٣ واعقب ذلك وباء عظيم مات
 فيه أكثر اهل المدينة فلما اتت سنة ١٣٥٠ الزم اهل المدينة باموال
 جسيمة ليستعين بها في حرب الانكليز فادوها اليه بالرغم وما خرج
 لحرب الانكليز لم ينج له سعي بل غلب واسركا هو شان مثله من
 اهل البغي فولي الحكم من بعده ولي عهده فكان اقع منه سيراً
 واعظم ضرراً وشراً وقع بينه وبين اهل المدينة اختلاف في الاراء
 فقدمت اليه صكوك من جميع الامراء يرجون فيها رفع المظالم وكل
 مستخدم في وظيفته لا يليق بها فلم يلتفت الى ما قالوه بل جمعهم وتلا
 عليهم مقالة نقداً على حسب عقله فلم يقبلوا شيئاً منها وقاموا جميعاً
 الى بيوت الامراء ونهبوا وقتلوا من وجدهو منهم وكذلك فعلوا
 باتباعهم وكل من ينسب اليهم فعظم الخطب واشتد على ولي العهد
 وحاشيته الكرب فكان تارة يلين جانبه ان رأى حزبه مغلوباً وتارة
 يرجع الى طبعه وعادته ان رأه غالباً ولم يزل الخلاف بينهم وبين
 اهل البلد يزداد لا الاهالي تشنل حكمه ولا هو يقاد لرأيه وما لم
 يدرك منهم ارباً فرّ هو ومن تبعه هرباً وكان راس العصبة التي
 قامت عليه شيخ المدينة فقال في نفسه اني لا يسعني الا الصلح مع
 ولي العهد والانتهاء اليه وارسل له سراً يعده بفتح باب من ابواب
 المدينة ليدخل منه هو ومن معه وعين له الباب والليلة والساعة
 فلما وصل الرسول الى ولي العهد وخبره بذلك صدقه وجاء بنـ

معه في الوقت الذي عين له فلما احس شيخ البلد بمحبيه امر رئيس
 الحرس ان يفتح الباب فامتنع وقال له انت ت يريد خيانة الاهالي
 فاغلظ شيخ البلد عليه في الكلام فضرر به ببلطة كانت بيده فخر ميتا
 وشاع الخبر في المدينة بان شيخها كان مقصوده الخيانة فكانوا لا
 يرون احداً من اصحابه الا قتلوه فقامت البلدة على ساق وتعطلت
 فيها الاسواق ودخل الناس بيوت الاغنياء فنهبوا ما فيها ولو لان
 ادركم اهل المجلس هلك الاغنياء جميعاً وبقيت باريز محاصرة تدافع
 ولي العهد الى ان دخلها عنوة لكه لأن لهم بعد ذلك جانبه وعاملهم
 بالانصاف وتبع اهل التعصب فقتلهم واعطى بعض اهل المدينة
 علامات شرف والحقهم بالديوان وانشاء بالمدينة مباني فاخرة
 ورخص لشيخ البلد وارباب المجلس في الحضور الى مجلس النواب
 لسماع ما يتعلق باستحقاقولي العهد للملك اذ بلغ عمره اربع عشرة
 سنة وكان رشيداً ولما اتسعت التجارة وكثرا هم بالمدينة امر بتتوسيع
 الdroب وكان الناس يصورون منازلهم بصور حيوانات ويكتبون
 على ابوابهم بعض كلمات وكثير في ايامه اللعب بالنرد والكرة
 والملقطة وسائل الملاهي ما عدا الورق فانه لم يظهر حين ذاك فكانوا
 يصرفون في ذلك دراهم كثيرة فامر بابطال ذلك كله وقال انها
 تفسد الاخلاق وتضيق الارزاق ورخص في اللعب بكل ما فيه
 صحة للجسم وفائدة ولما مات حل بالاهالي ما ساءهم لأن جميع ما
 كان مدخراً في خزائنه ما كان حصله ايم ظلمه وعدوانه واسائمه

وطغيانه لم يفر بمصروف ولده الذي خلفه في الملك وهو شارل السادس الذي استولى بعده لانه كان مكتباً على السكر وانواع الملاهي في جميع اوقاته صارفاً ليه ونهاره في لذاته لا يخلو مجلسه من الرقص والغناء والات الطرب ولا ينفت الى الحكومة وبالجملة كانت اوصافه كلها مذمومة وكان قائماً حينئذ بتدبير المملكة وكان امر المملكة في ايامه بيده امراءها فدوا ايدهم الى واردات الحكومة وتصرفو فيها بما يعود على الناس بالضرر وكثرت المظالم وزادت الجرائم وعلا من الاهالي النحيب واستغاثوا فلم يجدوا من يحيب فلما رأوا انهم لم يسمع لهم شكایة قاموا على الملك ورفعوا الاوية العصيان ودخلوا بيوت اليهود فنهبواها فلما رأى الملك منهم ذلك عاملهم بالعلم ورفع عنهم الظلم حتى خدت نيران فتنتهم وهدت شوكة صولتهم ثم رجع الى سيره الاول وعاد ظلمه الى ما كان فقاموا ثانية فقبضت الحكومة على بعضهم فسخنوا اياماً ثم وضعوا في غرائب وخرجوا ليلآ ورمي بهم في نهر السين والزتم الاهالي بغرامة باهظة فازدادوا ضنكًا على ضنك وكان لهذا الملك افعال لا تليق بالملوك بل لا يقبلها على نفسه صعلوك منها انه لم يقنع بسراريه وحسان جواريه بل تهتك وعربد وتتبع النساء البلد فما اعجبه منهن حازه ولم يقتصر على ذلك بل كان يطوف البلاد وكلما حل بيبلدة فعل بها مثل ذلك حتى اخل عقله وجفاه رجاله فخلا الجو لزوجته واتحدث مع النساء اللاتي كن في حوزته وخرجت عن حدتها وارتكت ما

اوجب هتك عرضها ومكنت الامراء من اغراضهم فساروا في المملكة
 اقبح سير لا يصدر عنهم الا ما يعود على الرعية بالضير وتقاضيوا
 ايراد الحكومة قسمة الغنائم ولم يولوا فيها الا من كان معينا لهم على
 المغامر والمظالم وتطلعت اعين بعض عائلة الملك للملكة وتطلع
 لها اخرون كل ذلك والملك في مرض الجنون فكان اذا افاق
 وبلغه شيء من هذه الامور ندم على ما فعل وربما بكى بكاء الاطفال
 فلما اشتد ضرر الاهالي اجمعوا راיהם على ان يولوا رجالا منهم وعيشهو
 ثم قاموا على محل الملك فوجدو جالساً مع زوجته واخيها وبعض
 الامراء المتحدين معها وطلبو ان يسلموه زوجة الملك وخمسين رجالا
 عينوا اسمائهم ليقتصوا منهم فطلبت زوجة الملك مهلة ثانية ايام فلم
 يجدها احد منهم فلما لم يجد اخوها حيلة غير التسليم قام وسلم نفسه
 لهم فغضبت اخيه ما فعل ثم هلكت بعد ايام قليلة ثم انهم تحصلوا
 بعد ذلك على امر من الملك برفع عوائد الاملاك وما كان عليهم
 من المغامر وكانت السنة الثالثة عشرة بعد الاربعينية والالف ايام
 شارل السادس مشتملة على حوادث فظيعة من قتل ونهب وافعال
 شنيعة ومات في ذلك عريف البلد فنصب بدله الكونت بيديار
 واحيل عليه نظارة المالية فسلك طريق الظلم وأكثر من الجرائم
 وضاعف على الناس المغامر حتى ضاق بهم الحال وحل بهم
 الويل فاضمروا قتلها فلما بلغه ما اضمروه قبض على كثير منهم فنهم
 من صليبه ومنهم من احرقه ومنهم من قطع راسه ومنهم من اغرقه

فاخذ الکرب عند ذلك نهايته واشتد البلاء بالناس فعول كثير
 منهم على ان يكونوا من حزب الدوك دو بورجونيا فانضموا اليه
 وصارت البلد فرقتين فقادمت كل فرقه على الاخرى فن وجدوه
 ليس منهم قتلوا ثم حضر الدوك دو بورجونيا بعسكره فقابلته الحزب
 الذي كان التجاء به وذهبوا جميعا الى منزل عريف البلد فقتلوا
 مع جميع قرائبه وحزبه واحبته وقطعوا لهم قطعا ورموا بهم في
 الdroوب فكانت تحوم عليهم الطير وتبعث بهم النساء والصبيان
 ويلعنهم اللاعنون على سؤال سيرتهم فاستقامت احوال البلد بعد
 ذلك وافق اهلها مدة غير طويلة ثم عاد عليهم المحو والذل بما
 نغض عيشهم وازعج نفوسهم حتى كادوا يهاجرون من وطنهم
 خصوصاً وقد كتب ولی العهد في ذلك الوقت الى ملك الانگلیز
 يعزز عليه ان يجيء باریس ليفوض زمام الملكة اليه فلما آتی لهم
 علوا له يوم قدومه مهرجاناً عظيماً زینوا فيه البلد واخترعوا لعبة
 لم تكن معروفة قبل ذلك وذلك انهم اتوا بخشبة اطول ما يكون
 وطلوها بالدهن والصابون حتى صارت ملساء وجعلوا في احد
 طرفيها مبلغاً من النقود مع بعض طير غالى القيمة حسن المنظر ثم
 رفعوها واباحوا ذلك جمیعه لکل من وصل اليه فاستمر الناس
 يوماً کاملاً يعانون صعود تلك الخشبة واحداً بعد واحد لأخذ
 ما عليها فلم يصل اليه الاً واحد اخذه ونزل به ومن ذلك الوقت
 صار الباريزيون تحت حکم الانگلیز فلم يخرجوا عن حکمهم الاً على

يد جان دارك المعروفة بالبكر وكانت اميرة على جيش فا خرجت
في حرب الاَّ عادت منصورة مظفرة فيي التي اخرجت الانكليز
واجلسه شارل السابع على التخت وذلك سنة ١٤٤٦ من الميلاد
فسار فيهم سيراً حسناً الى ان أمن شرم وتمكن منهم ثم بغي عليهم
واصدر اوامر ظلمه اليهم فالزهم باموال يؤدونها اليه لا يستثنى منها
احد وجعلهم ثلاث درج

الدرجة الاولى من اربعة الاف فرنك الى الف وخمسين

والثانية من ستائة الى مائة وخمسين

والثالثة من عشرين الى عشرة

ولم يقتصر على ذلك بل طمع نظره الى ما في الكايس من النقود
والخلي فاخذه جميعه وصرفه في لذاته وقضاء اوطاره الفاسدة
وبسبب انكابه على حظوظ نفسه وغفلته عن تدبير امر
الحكومة امتدت ايدي عساكر الانكليز الى البلاد فوقعت بينهم
حروب تعطلت بسببها المزارع وكثير عندهم القحط والوباء فكان
من مات من المدينة خمسة واربعين الفا وخرب من البلاد ما لا
يعد ولا يحصى ومع هذا كله لم يتحول الملك عن سيء حاله بل
ازداد سفهَا وترك الملكة للتتصرفين فيها بالفساد

وبالجملة لواردت حصاراً حول هذه الاهوال وما لحق المدينة
واهلها من الاضحلال لطال الشرح واتسع مجال المقال ولم يزالوا
كذلك الى ان هلك الملك فلك بعده لويس الحادي عشر سنة

١٤٦١ فزت له المدينة وعملت الولائم وفرح الباريزيون به فرحاً
 شديداً وعملوا له موكيماً لم ي عمل مثله لمن قبله من الملوك فكان مما
 ابتدعوه في ذلك الموكب أن صوروا رجالاً أمام الملك على صدره
 صورة مركبة من فضة يعنون بذلك باريزو خلف ذلك الرجل
 خمس نساء هدية للملك على صدر كل واحدة منهن حرف من
 حروف باريزو وضعوا على الباب الذي دخل منه الموكب مركباً
 فيها ثلاثة الوية لون كل لواء غير لون الآخر اشارة إلى طوائف
 الملة الثلاث ورسموا صورة الملك بين عمودين متتساوين في البعد
 اشارة إلى العدل ورسموا أمامه صورة ملكين يقودانه إلى الحق
 ويحفظانه من كل أمر ذميم وجعلوا في صدر الموكب رجالاً ونساءً
 عليهم ثياب المتوحشين كأنهم يقتلون ومن خلفهم ثلاث بنات
 متبرجات يعنين بالحان الآلات وخلفهن عربات عليها شيء كثير
 من المشروبات يشرب منها كل من أراد وما كان في هذا الموكب
 صورة المسيح وأمه وصورة روح القدس والشهوات النفسية وطائفة
 في هيئة الصيادين بشباكهم وكلائهم وكأنهم يعانون الصيد وقوم
 في هيئة الانكليز كأنهم يحاربون رجال الملك وكان رجال الملك
 غلبتهم وأسرتهم وبعد ذلك كله طير مختلفة الأنواع متشكلة
 باشكال غريبة الأبداع ولم يزل الموكب سائراً أمامه حتى دخله
 الكنيسة على العادة ليؤدي ما يجب على أمثاله من العوائد والعبادة
 ولم تحضر الملكة زوجته إلاّ في سنة ١٤٦٧ وكان سيرها في البحر فلما

بلغ اهل المدينة قدومها خرج ملاقاتها الامراء والاغنياء في زوارق
 وأكرمواها غاية الأكرام وصنعوا معها ما لا مزيد عليه من الاحترام
 ودخلوها بوك عظيم وعملوا لها فوق ما يليق لشأنها من التعظيم
 وكانت سيرة هذا الملك جميلة وهمته عالية جليلة ومحبة الباريزين
 له صادقة والستهم بالثناء عليه ناطقة يذلون في رضاهم انفسهم
 وأموالهم وينتكون لرأيه ارآهم واعالمه ولذلك لما وقع بينه وبين ملك
 الانكليز ما وقع سنة ١٤٦٧ خرج معه منهم سبعة وثمانون الف
 مقاتل بسلامهم ومؤتمهم فلما رأى الملك منهم ما رأى شكر فضليم
 وامر بشراب لهم سروراً لهم ومن مبتدعاته الحسنة مدرسة الطب
 التي بالمدينة فانه اول من احدثها وكذلك النور الذي بالشوارع
 حتى انه امر اصحاب البيوت والخانات ان يضع كل واحد منهم على
 باب خانه او بيته قنديلاً وكان رأوفاً بالضعفاء شديداً على الامراء
 يجعل الناس من غير حجاب ولا يمنع من الدخول اليه احد وكان
 حميد السيرة الا انه كان اذا امر بشيء لا ينزل عنه وكان مولعاً بحب
 الطير والحيوانات الغريبة ومن شغفه بها كان اذا احببه شيء منها
 كتب اسمه وخصائصه والجهة التي جلب منها والكلمة التي يمحكمها
 بصوته ومع ذلك لم يغفل عن تدبير الحكومة ولم يرتكب لسيبه خصلة
 مذمومة بل عافى الناس من عدة ضرائب واعان ارباب الصنائع
 فيما يعود نفعه اليهم فمن ذلك ترخيصه في فتح دار الطباعة ولم تكن
 موجودة من قبل واول من فتحها بباريز جماعة من الالمانيين سنة

١٤٦٦ فلما فتحت اضرت بالخطاطين والنساخين فشكوا الى المجلس
 وساعدتهم ارباب الديانة بقولهم انها من افعال الشيطان فصدر امر
 المجلس بابطالها وضبط الكتب التي بها فلما بلغ الملك ذلك امر
 بفتحها الا ان الناس لما زالت عنهم بعده الاكدار وامنوا بما كانوا
 يقايسونه من الظلم وظهرت عليهم الرفاهية تشبه النساء البغایا
 بالحرائر فصرن يلبسن جميعا ملابس الاحرار ولا تعرف البريئة
 منهم من الفاجرة وسكتت البغية بحوار الحرة واتنظمت الصدفة
 في سلك الدرة فلما كثر ذلك صدر امر الحكومة ان لا يتزني احد
 بزي غيره لانه كان عين هن ما يلبسه كالاحزمة القصبة
 والفساتين ذات الذيل الطويل وارسال الياقة الى خلف الظهر
 وكان يكثر من ذم الامراء والاعيان الذين يميلون الى التغالي
 بالزينة والزخرفة وكان خطيب ذات يوم يخوض الناس على التباعد
 عن الزخارف التي تأبها الديانة والمروة فاشيع عنه انه سب الملك
 فقاموا عليه وكادوا يقتلونه فلما بلغ الملك ذلك سكن الفتنة وامر
 بابطال الخطبة وان يخرج الخطيب من البد ويختبئ بنفسه ولحم
 الملك ولين طبعه كانت اسفل الناس في اخر مدته يهزأون باهل
 الديانة حتى صوروا البابا والمحواريين في الملاعب وكثر ذلك منهم
 في مدة من تولى بعده ولكن كانت الحكومة محافظة على ناموس
 الديانة فكان لا يرفع اليها احد طعناً في الديانة الا عاقبته فن
 ذلك ما حصل لبعض الطباعين حين تجرأ على طبع كتاب فيه

ذم الديانة فضبطت كتبه وأخذ وشنق ومن ذلك انهم حين
 أخذوه ليشنقوه صار الناس في أثناء الطريق يسبونه ويؤذونه فقال
 لهم رجل إن قلبه كافٍ في جزائه فضربوه ضرباً مبرحاً وادعوا عليه
 أنه نسب إلى العذراء والمسيح ما لا يليق بها فحكم عليهم أيضاً بالقتل
 والقائهم في النار ومن ذلك الوقت صارت الديانة في اضطراب
 ودخل فيها بعض القسّيس أكاذيب من كل باب ونسبوها إلى
 المسيح وادعوا أنها من الكتب المقدسة وتمادي بهم الحال إلى أن
 أثبتوا الصواب بالمحال وافتلقوا ما بين صانع ومدافع ومجادل
 ومنازع فظهرت الديانة البروتستانية فافتتن الناس بها وكثُر
 الراغبون فيها حتى أدعى أهلها أن ديانتهم هي ديانة المسيح وذموا
 الكنيسة الرومانية ورجالها وصارت كل فرقه تتبع ذم الأخرى
 وتدعى أن طريقتها أولى بالاتباع وأحرى حتى قام بعضهم على بعض
 ونشبت الحرب بينهم فقتل من الفريقين في ليلة واحدة زهاء
 ألف ألف وسبب هذه الفتنة أن امرأة يقال لها (ماري دوميديس)
 دست على الملك أن الملك لا يلتئم وزاحة رعيته لا تم إلا إذا
 قطع البروتستانيون عن آخرهم ولم تزل به حتى خدعته وصرفت
 هاته إلى ما إليه دعنه ثم ذهبت إلى البروتستان وغيرتهم حتى
 ادخلتهم باريز واستوطنوا بها ثم انتفقت مع وجيزان يحصي اسماء
 الدوّلات من دفاتر الفردة ويعلم منهاهم بالطباشير وإن يجمع
 الحرس ويفرق فيهم السلاح وإن ينتشروا في شوارع البلد وحاراثتها

وأن يستعدوا لتنفيذ أمر الملك بقتلهم ففعل جميع ذلك من غير أن يشعر به أحد من البروتستانيين فلما كانت ليلة الرابع والعشرين من شهر أغسطس الأفرنجي سنة ١٥٧٣ أرسل الدوك وجيز إلى أصحابه واتباعه فايقظهم من نومهم وجمعوا له العسكر والحرس وعرفهم بالعلامات التي جعلت على أبواب المنازل وأمرهم أنهم متى سمعوا ضرب الناقوس هجموا عليهم دفعه واحدة فقالوا سمعاً وطاعة وإنصرفوا فلما كان نصف الليل ضرب الناقوس فهجموا على بيوتهم وقتلوهم عن آخرهم ومن شدة كراحتهم لهم كانوا يشقون بطون الحبلي فيخرجون جنinya فامتلأت من رجمهم الدروب وانتن من راحتها شمال وجنوب وكان عدد من قتل من أمرائهم وأعيانهم خاصة في هذه الواقعة ستمائة فاصبحت منازل الجميع خراباً وقام حاكم كل بلد من بلاد باريز على من بيده من البروتستانيين ففعل بهم ما فعلت بباريز بن بها منهم وأصل هذه الفتنة امرأة فانظر كيف اعقبت الخراب والبلين وابتعد العداوة بين الطائفتين

فقال الشيخ هكذا فتن النساء فانهن يضرمن نار الشر حتى يصل لهن إلى عنان السماء فكم لهن مثل ذلك وكم أوقعن رجال في مهاوي الملائكة

فمن ذلك القتال الذي استمر بين بكر وتغلب اربعين عاماً حتى ضرب به المثل في الشر وليس سببه لاً امرأة تسمى هيلة ويقال لها البسوس وهي حالة جسası ابن مرة وكان لها ناقة

يقال لها سراب وكان من عادة كلب ان يجمي اوديته فلا يرعى
 فيها غير ابله حتى انه كان يجمي مواقع السحاب ويقول وحش
 كذا في جواري فلا يهاج ثم يوماً يرعى كان قد حماه وفيه قنبرة
 قد باضت فلما رأته صرصرت وخفقت بمناجيها فقال لها من
 روّعك وانت في ذمتي وانشد يقول
 يالكِ منْ قنبرة بعمر
 خلا لَكِ الجوفِيْضي واصفري

وتقري ما شئت ان تقربي
 فا جسر صاحب بغير ان يدخل ذلك المرعى فاتفق ان مرت
 ابل كلب على ناقفة البسوس فعركت الناقفة عقلاها حتى قطعته
 وتبعط ابله فلما وردت الماء مع ابل كلب عرفها وظن ان جسساً
 اطلقها مغایظة له فانف وغضب ورمها بسم فاصاب ضرعها
 فصارت الناقفة تعدو والسم في ضرعها حتى اتت الى فناء صاحبتها
 وضرعها يشب دمَا ولبناً فلما سمعت البسوس عجيج الناقفة طرحت
 خمارها واقتلت اليها فاذا السم معترض في ضرعها فصكت وجهها
 وقالت واذلاه فلما سمع جساس قوها اسكنتها وقال والله ليقتلن
 غداً فخل هو اعظم من ناقتك يعني كلبياً ثم اتبع الحي فروا على
 نهر يقال له شبيث فنهام كلب عنه وقال لا تردن منه قطرة ثم
 مروا على نهر اخر يقال له الأحص فنهام عنه فمضوا حتى اتوا
 الذئاب وزرلوا فر جساس بكلب وهو واقف على غدير الذئاب

منفرداً فقال طردت اهلنا عن المياه حتى كدت تقتلم عطشاً فقال
 كلب والله ما معناهم من الماء لا ونحن له شاغلون فقال له
 جساس هذا كفعلك بناقة خالتي فقال او قد ذكرتها اما اني لو
 وجدتها في غير ابي مرة اخرى لاستخللت تلك الابل فعطف عليه
 جساس بفرسه فطعنه بالرمح فارداه ووجد الملك فقال يا جساس
 اسقني فقال هيئات تجاوزت الأحص وшибها ثم اجهز عليه
 وعطف الى اهله فلما رأته اخنه من بُعد قالت لابيها ان جساس
 شاؤنا قد جانا خارجة ركبته فقال ابوها والله ما خرجت ركبته
 الا لامر عظيم يعني انه كان بركبته وضج لا يظهره فلما جاء قال له
 ابو ما وراك يابني قال طغت طعنة لتشتغلن بها شيوخ وائل
 زماناً فقال أقتلت كلبياً قال نعم ثم نظر جساس الى اخنه وكان
 اسمها نصلة فقال لها

وانى قد جنيدت عليك حرباً * تغض الشجن بالماء القراح
 مذكرة متى ما يصح منها * فتى شب لآخر غير صاح
 فاجابته تطيب نفسه وقالت

وان تلك قد جنيدت على حرباً * فلا واه ولا رث السلاح
 ثم هرب جساس وقام مهلهل في طلب ثار أخيه ووضع
 الحرب بين الحين فاستمرت اربعين عاماً حتى ضرب بها المثل وكم
 لذلك من امثال ونظائر واغرب منه ما كان من الزباء الى ان

وضع قصیر من قتلها في الغرائر فحدثنا كیف كان حال الملكة بعد هذه المعركة

قال عم الخراب ضواحيها وسرى منها الى سائر نواحيها وصار من بقى من البروتستان يتربّب فرصة للقيام واهل الديانة الأصلية تحزب احزاب الانتقام وتغريم مبن بقى من البروتستان وكان الرئيس على المدينة وقت ذاك الدوك وجيز فاراد الملك هنري الثالث الاستبداد والاستقلال فتنازعوا وصار الناس قسمين وارتفت بينهما الدماء حتى وصل غبار الحرب عنان السماء واختل امر الحكومة اي اخنال وقادى الامر على هذا الحال الى ان عقد مجلس الستة عشر وانما سمي بذلك لأن اعضاءه كانت اولا كذلك ثمر زادوا وبلغوا اربعين فكانت امور المدينة مستندة اليهم لا يبالون بذلك ولا غيره فتحقق الملك من ذلك وامر بابطال المجلس فلم يلتقطوا الى قوله ولم يعول احد من اهل المدينة على رأيه فاغلظ عليهم في ابطاله ققام عليه اهل المدينة وقتلوا معظم رجاله واما هو ففر هاربا ثمر وجدوه مقتولا فدفنوا رمته وعدوه من المقدسين

فقال الشيخ يحكي انه في زمن الملك قياد والد كسرى انوشنروان حدثت فتنه من هذا القبيل وكان سببها ان ظهر في ايامه رجل زنديق يقال له مزدك فادعى النبوة واحدث مقالات في اباحة الفروج والاموال وقال ان الناس في ذلك سوء لاتهم جميعا اولاد آدم وحواء وحرم سفك الدم وأكل اللحم فاتبعه خلق

كثير فكان قباد من تبعه فدخل مزدك عليه ذات يوم
 فوجد عنده زوجنه ام كسرى وكانت من اجمل النساء فاعجبته
 فقال لقباذ اني اريد ان انحها فان في صليبي نبياً واريد ان يكون
 منها فاطعه قباد لكونه على مقاشه وعقيدته فلما هم مزدك بها دخل
 عليه كسرى وكان صغيراً فقبل قدميه وتضرع اليه ان لا يفعل بها
 فووهبها مزدك له فلما مات قباد وقعد ابنه كسرى انوشروان على
 التخت مكانه جمع جميع خواصه ليعاوه لهم فكان ما قاله لهم اني
 اشهدكم على اني لا ادع احد من المزدكية الا قتلته لأنهم اباحوا نساء
 الناس واموالهم وجعلوها مشتركة بينهم لا يختص احد بامرأة ولا
 مال حتى اخالط اسفل الناس بعناصر الكرماء وسهل سبيل
 الفواجر والفاجرات الى قضاء الشهوات واتصلت السفلة اللئام
 بالنساء الکرام الالائی ما كان مثل اولئک ان ينظروا اليهن اذا
 رأوهن في طريق

قال له مزدك الزنديق هذا فساد في الارض والله ولاك
 لتصلح لا تفسد

قال له انوشروان اتذكري يابن الخبيثة حين سألت والدي
 ان ياذن لك في البيت عند امي فاذن لك فمضيت نحو حجرتها
 فلتحقت بك وقبلت رجلك وان نتن جواربك ما زال في انفي الى
 الان وسألتكها فووهبتها لي قال نعم فامر به فقتل واحرق تجيقته
 ونودي بياحة دماء المزدكية ولمانوية المحبوبة واظهر المدية القديمة

وكتب بذلك الى عمال الولايات فقتل منهم خلق كثير وقسم اموالهم على القراء ورد الاموال التي لها اصحاب الى اصحابها والحق كل مولود اختلف فيه بن يشبهه وان كان من المزدكية جعله عبداً من حملت به منهم وامر بالنساء اللائئي تبرأ منهن اهلهن او مات من يقوم بهن تجتمعن في موضع واحد واجرى عليهن ما يلزم لهن وان يزوجن من مال والده واضاف البنين الذين لم يوجد لهم اب ولا شبيه الى ماليكه ثم قال الشيخ فغالب ما يحصل بين اهل الديانات من مثل هذه الحوادث الفظيعة سببه اكاذيب وواهاما تلقها اهل الباطل فيما بينهم ثم يدخلونها على العوام فاما ان يقىض الله لها من يد حضها والا عدت حكما من الاحكام

ف لما سكت رجع الانكليزي الى بقية حدثه وقد علم رغبة الشيخ في ساعه فقال ثم انه بعد هذه الحادثة وموت هنري الثالث قام هنري الرابع وكان بروستانيا واراد دخول المدينة ففقلت دونه ابواب وقالوا له لا نملك علينا الا من كان منا فحاصرها ومنع دخول كل ما كان يريد اليها فاشتد في المدينة الغلاء وحل باهلها التقط والوباء ومع هذا كانت القسس تختم على القتال وتحذرهم من التسليم له فكان بعضهم وهو في اخر رمق يأخذ سلاحه ويخرج مع المقاتلين ويقول ان لم يكن في ذلك صلاح في الدنيا ففيه حفظ للدين فلما طالت مدة المحاصرة وعجزوا عن المقاومة وخلت المدينة من الفتيل والنغير والحبة والتقطير ورأوا القسس تبيع شيئا

كثيراً من الغلال ولا ترثي لما هم فيه من التحط لم يسعهم إلا أن
 قاموا دفعة واحدة على بعض الديور فوجدوا فيها شيئاً كثيراً من
 بروج وادام ولم قدّيد فاخذوه وتقاسموه ثم أمر المجلس بتوزيع
 القراء وذوي العاهات على الديور كل دير بحسبه وقدر لكل
 شخص شيئاً معلوماً من الخبز والأدام فلما علم القسس أن لا مفر من
 أمر المجلس صاروا يصطادون كل ما عثروا به من الحيوانات
 ويطبخونه لهم بدمه وأمعائه ويأتون مكان الخبز بعظام الموتى فيسخنونها
 ويلقونها بتراب وماء ويعلمون منه خبزاً فلما تناولوا الحصار ورأوا
 أن حالم آل إلى الهلاك والدمار فر منهم خلق كثيراً وذهبوا إلى
 الملك وطلبوه أن يأذن لهم بالخروج لاجل أن يحصلوا على ما
 يقتاتون به فاذن للقراء والمجازر والنساء فخرج منهم نحو ثلاثة آلاف
 نفس ثم أمر بالمنع من الخروج ثم لما رأى أن حصارهم قد طالت
 مدة ولم تحصل به أمنيته دبر في نفسه أنه لا يمكن من المدينة
 واهليها ما دام على المذهب البروتستاني واهل المدينة كاثوليك وإن
 الراعي والرعيه لا يستقعن إلا إذا كانت ملتها واحدة ودعوتها
 متحدة ثم أخبر خواصه بذلك فقالوا الراعي ما رأيت فلما علم انهم
 وافقوا أرسل إلى المدينة يخبرهم بدخوله في دينهم وذلك سنة ١٥٩٥
 ففرحوا به وفتحوا له الأبواب وكانت مدة الحصار نحو خمس سنين
 فلورأيتهم حين دخلوا الرأيت منهم شيئاً عجيباً وقد قويت منهم العزائم
 وأكثروا لاجله الولائم ولما تملّك ودخل المدينة لم يكن له غرض

سوى عمارتها واتظام امورها فاول شي بدأ به ان عمل قوانين
 للعدل بين اهلها ثم اتخذ في اسياح انعاشهم واتساع دائرة معاشرهم
 فنظم طرقا وفتح شوارع ووسعها الا انه عانى في فتح هذه الشوارع
 مشقة عظيمة حتى ارضي اصحاب الاملاك لاسيماء القسس منهم لانهم
 كانوا يتعرضون للبنيان والفعلة لعدم سابقة مثل هذا ومع ذلك
 فقد تم مراده واصبحت المدينة كثيرة الميادين والشوارع خصوصاً
 الميدان الذي هو داخل السراي الملكية الآن ومن حبه لنظافة
 المدينة واهلها خص قوماً بكبس قمامتها ودفع وحلها وفي ايامه وايام
 من بعده وهو لويس الثالث عشر كثرت العربات وترتب على ذلك
 كثرة العربية فكثرت حركاتهم بالليل ووقعت بينهم المنازعات
 حتى سرت منهم الى ابناء الامراء وسبب ذلك كله النساء فتضرر
 الاهالي ولم يزل الحال على هذا الى ان عمل ريشيليو قوانين
 العقاب فنقص بعض نقص ثم لما تغيرت احوالهم وانتقلت الى درجة
 الرفاهية غيروا هيئة بيوتهم فبنوها بالحجر بدل الخشب وزخرفوها
 بالرسوم خصوصاً اعيانهم واغنياؤهم ولم يزالوا في تقدم الى ان تولى
 لويس الرابع عشر فزادوا في الرفاهية والتهدن وفتحت في ايامه مدارس
 العلم واحترمت اهله وانشاء رصدخانة ومعامل لتركيز البارود
 وكثرت في ايامه انواع الملاهي والملاعب المسماة بالتيارات وزين
 اللوفر بالعدد التي حوله واحداث في المدينة ميادين للنزاهة منها
 ميدان الكاذوريل الذي عمله للوليمة سنة ١٦٦٣ وميدان فندور

وميدان النصر وانشأ حول المدينة أبواباً غير أبوابها الأصلية منها باب النصر الذي وضع أساسه مارتان وردم بباباً كان انشاء انتون وقد هدم سنة ١٧٧٧ وردم الخندق وغرس الاشجار التي ترى الان حول البلوار وازال تللاًً كانت تضر بصحة اهل المدينة ومن حوطها وبني محلها ابنته بدبيعة ورتب مصابيح في الطرق وخصص رجالا لاطفاء الحريق وظهرت في مدته العربات الكبيرة المعروفة بالامنيبوس ولم تكن موجودة من قبل وخصصها بما كان معينة وجعل لكل مكان اجرة معلومة ولكن لغلو اجرتها كان لا يركبها الا من لا يستطيع ركوب العربات المعتادة ومنع من ركوبها العرجية ونحوهم وكانت اولا سبعاً ثم صارت اثنى عشرة ولهذا كانت قليلة الرجح ثم في سنة ١٨٢٨ ارخص في ركوبها لكل من اراد وفي ذلك الوقت كان مأمور الضبطية وناظر المالية واحدا فلما رأى الملك ان الواحد لا يقوم بالوظيفتين كما ينبغي امران يعين لكل وظيفة واحد وبسبب هذا التنظيم أمن الناس على اموالهم واهليهم واتسعت عمارة المدينة وكثير الوافدون اليها حتى بلغ عددهم في ايامه خمسة الف نفس وعدد الدروب خمسة وعدد المبادين مائة وقناطر تسعًا وعدد المنازل اثنى عشر الفاً الكبير منها اربعة الف ولكن في ايامه عزت التقويد وبلغ دين الحكومة غايتها لما حدثه من العمارت والتنظيمات وأ Hatchي الدين بعد موته فكان ثلاثة مليارات من الافرنك فانشأ جان لاو بنكا للمصارفة وجمع فيه

ستة ملايين من الملايين فجزأها إلى ألف ومائتي سهم كل سهم ستة
 ألف وستمائة وكان من شروط ذلك البنك أن يقبل فيه بدل
 القود اوراق حوالات فلما اخترع ذلك تعامل بها الناس غنيم
 وفقيه حتى صار ملحاً بالتجارة وهرع إليه الناس ولما اشتهر أمره
 وضع صاحب البنك في جهات أمريكا عدة مساهمين ثم اجتمع
 البنك والكونفدرالية وصار مالها واحداً وإدارتها واحدة فبلغت قيمة
 السهم الواحد تسعة آلاف ليرة وذلك سنة ١٧٣٠ ثم في سنة ١٧٣١
 صدرت أوامر الحكومة بتقصي قيمة الأسهم تدريجياً وحدد لذلك
 ميعاد غايته أول شهر ديسمبر من السنة المذكورة وإن كل من تأخر
 عن الميعاد المذكور تقصي قيمة سهمه فتضطرر من ذلك أكثر الناس
 وفي سنة ١٧٧٠ اجتمع ناس واردوا أن ينوروا شوارع باريز بالزيت
 وجعلوا على كل مصباح في السنة الواحدة ثلاثة واربعين ليرة
 وأثنى عشر صولدي ليس منها ثمن العمائد التي تحمل المصباح
 فكانت باريز في تلك الأيام على غاية في التقدم وكثير بها المؤلفون
 ورحل إليها كثير من أهل أوروبا وخفف فيها شأن العقوبات
 فكان كل إنسان يتكلم بجريته ويكتب ما شاء من أحوال الخلق
 سواء كانت خصوصية أو عمومية سياسية أو دينية وظهر فيها رجال
 ذوي أفكار فالدوا كتبوا انتشرت فيسائر الأقطار فانجلترا
 غياب الجهل وتغزوا على غيرهم بالعقل وبلغ عدد منازل باريز
 في تلك الأيام خمسين ألفاً منها خمسون لوكندة وعدد الدروب

ذات المصايب سبعمائة وسبعة وستين وكان بها من الكنائس
 ذات النواقيس ست واربعون ومن غيرها عشرون وأحدى عشر
 تكية للقراء ثلاث للرجال وثمان للنساء ومن الديور مائة وثلاثة
 وثلاثون ومن المدارس عشر وكان بها تسعة وعشرون مارستانًا
 وخمسة واربعون مجرى لاخراج القاذورات وستون حنفية واشترا
 عشر سوقاً وثلاثة أبواب يقال لكل واحد منها باب النصر وخمسة
 هيكل من التنج فان الحق باريز من القيام الاول بعض الاصحاح
 الا انها من بعده الى الان لم تزل آخذة في التقدم بكثرة المباني
 والمعابد الدينية والمدارس والامكنة الخيرية كالمارستانات
 واللوકاندات ومحلات اللهو والتيازات فترى كل من احب
 ان يمتع نظره جاءها او يرى ابدع مخترع قصد ارجائها فهـي
 مركز اللهو والانبساط وكل بدعة في الدنيا لها بها ارتباط لانها
 قد حازت محاسن الدنيا اجمع وليس من يرى كمن يسمع وما يدل
 على انها انتقلت من حالتها الاول ان مساحتها في الاصل كانت
 لا تزيد عن ستين فدانًا مصرى يحيط بها سور مبني كبناء القرى
 ثم ما زالت تسع ويكثر اهلها الى ان بلغت مساحتها خمسة
 فدان وذلك بعد موت فيليب دوكيش وبني حوطا سور محكم في
 غاية الارتفاع وجعل فيه ابراج ومزاغل في غاية الاحكام والتحصين
 ثم بلغت في القرن الرابع عشر والخامس عشر تسعمائة فدان وفي
 ايام لويس السادس عشر وقيام الدولة الفرنساوية القيام الاخير

وذلك سنة ١٧٧٣ بلغت مساحتها الفين وستمائة وسبعين فداناً ثم في سنة ١٨٠٠ بلغت ستة الآف وخمسمائة فدان وأما الآن فهي ضعف ذلك ولا يخفى على حضرتكم ان سعة المكان تابعة في الغالب لكثرة السكان فقد بلغ عددهم الآن نحو مليون ونصف بعد ان كانوا في القرن التاسع والعشر لا يزيدون عن ٣٣٠ . . .

ثم قال الانكليزي وفيما ذكرناه كفاية وان كان ما قبل بالنسبة لما يقال في حقها قليلاً الا ان ما لا يدرك جله لا يترك كله ولكن بقى امر اريد ان اخبركم به وهو ان صاحبنا الذي كنا اجتمعنا به حين كنا ببرسilia ارسل تذكرة يسلم فيها على حضرتكم وعلى نحلكم ويعذر اليكم في عدم ارساله جواباً مخصوصاً لكم بان لسانه في العربية لا يفي بما يجب لجنابكم وانه بعد يومين يكون عندنا بباريس وارسل ايضاً يستفهم مني عن امر يتعلق بجنابكم كان سأله ايام حين كا هناك ولم اتفق معه فيه على شيء وقد ارسل الان

يطلب الافادة عنه

فقال الشيخ وما هذا الامر

فقال انه كان تمنى علي ان اترجع حضرتكم في ان تعطوا بجمعية المعرف المشرقية بعض دروس من الفنون العربية وانما لم اخبركم بذلك حين كا هناك لكونه لم يكرر علي فظننت انه نأى عنه وهذا الرجل من اعيان تلك الجمعية فما هو الا ان ارسل يطلب الجواب وهو موقف على رأي الجناب وهو لاء الجماعة كلام امراء

علماء كرماء وتعزفكم بهم ما يزيد في شهرتكم ويرفع من درجتكم فضلاً
 عن الحصول على مال بوجه حلال وقد أخبرني ذلك الرجل أن
 مرادهم أن يجعلوا حضرتكم في كل درس خمسين فرنكاً
 ولا مشقة عليكم في ذلك فان زمن الدرس ساعة ونصف فالرأي
 عندي انه اذا اتي وخطبتم في هذا الشأن ان لا تبتغوا فان فيه
 فوائد كثيرة اقلها اطلاعكم على غواص عوائدهم اتي لا تعلم الاّ
 منهم خصوصاً وقد قيل بارك الله في من نفع واتفع
 فاثنى الشيخ علي مقصده الحسن وكان قد حان وقت الصلاة
 فاستاذن وقام الى مصلاه فصلى ثم نام

المسامرة الثانية والثانون

البأتو

وَلَا اسْفَرَ النَّجْرُ قَامَ وَصَلَى ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فَقَبْلَ يَدِهِ
 فَسَأَلَهُ كَيْفَ كَانَتْ لِي لَكُمْ وَمَا الَّذِي رَأَيْتُهُ فِيهَا فَقَالَ مَا رَأَيْتُ إِلَّا
 نَوْعًا مِنَ الْجَنُونِ حَتَّى تَحْقِيقَ عَنِّي مَعْنَى قَوْلِ الْجَنُونِ فَنُونَ رَأَيْتُ
 الشَّيْخَ هَنَاكَ لَا يُوَقِّرُ شَيْبَتِهِ وَالْأَمِيرُ لَا يُرَاعِي مَقَامَهُ وَابْنَتِهِ وَكُلُّ اِنْسَانٍ
 تَنَازَلَ عَنْ قَدْرِهِ لَا تَبَيَّزُ بَيْنَ وَضِيعَمْ وَشَرِيفَمْ وَلَا بَيْنَ غَنِيمَ وَفَقِيرَمْ
 وَرَأَيْتُ أَقْوَامًا فِي صَفَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْهُمْ مِنْ سَرَّ وَجْهِهِ بَقَاشَ رَقِيقَهُ
 وَمِنْهُمْ مِنْ سَرَّهِ بِالْجَلْدِ وَمِنْهُمْ مِنْ سَرَّهِ بِالْوَرْقِ وَمِنْهُمْ مِنْ صَبِغَهُ
 بِلُونَ الْوَرْدِ وَمِنْهُمْ مِنْ تَلْمِ وَكَانَ الشَّيْبُ لَاحٌ بِعَارِضِهِ وَمِنْهُمْ مِنْ
 جَعَلَ لَهُ لَحِيَةً وَكَانَهَا جَاؤَتْ ثَدِيَهُ وَرَأَيْنَا الْوَانَ اِجْسَامِهِ مُخْتَلِفَةً
 فَنُونَ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَيْضِ وَالْأَسْقَرِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلوَانِ الَّتِي

لا تكاد توجد في نوع من الانسان ومنهم من ستر عورته بجلد
 كالجраб ومن وضع على ظهره فروة كثيبة الاعراب وغير ذلك من
 الهيئات والصفات وسمعت هناك اصواتا مختلفة وانغاماً متنافراً غير
 مؤتلفة وما رأيت ما هم فيه من الجنون تنبت الرجوع ولا احضر
 هذا الجنون ولو لا ان من شرط المراقبة اللين والموافقة لرجعت ولا
 كت رأيت ولا سمعت فان يعقوب حين وصلنا الى هناك قبض
 على يدي فتبنته فسار بي نحو ساعة الى ان وصلنا محل التذاكر
 فاخذ تذكرةين ودفع في كل تذكرة افرنكي ثم سرنا في متسع من
 الارض حتى وصلنا ميداناً فيه من انواع الالطائف واشكال الرسوم
 والزخارف ما لا يحصى فوجدناه ملانا نساء ورجالاً وكهولاً واطفالاً
 ولا خلاف هيئاتهم لا تعلم اجناسهم وحول ذلك الميدان غرف
 كثيرة منها ما يسع واحداً ومنها ما يسع اكثر ومنها المظلم ومنها
 المضيء فقعدنا في احداها فلم يمض الا لحظات وانما بالآلات قد
 ضربت وقام غالب من بالميدان فرقص عليها فكانت تسوء تارة
 وتبتئل اخرى وهم معها في البطئ والسرعة فكانوا يقومون للرقص
 مشنی وفرادي الرجل مع المرأة والمرأة مع الرجل فيرقصون ساعة ثم
 يقعدون ليستريحوا ثم يقومون ثانية او يقوم غيرهم وهم في رقصهم
 حالات فتارة يقومون صفين ويسيرون خلف بعضهم الى وسط
 الميدان ثم يعود كل صف الى موضعه الذي بدأ منه او يقوم
 موضع الآخر وتارة يأخذ احدها بيد الآخر ويدوران خلف بعضهما

وكلية حركتهم في حال رقصهم ان يضربوا الارض بارجلهم فتارة
يضعون واحدة ويرفعون الاخرى وتارة يضعونها ويرفعونها جميعا
ومن الغريب ان غالب المراقصين والراقصات من المتفرجين لا
من ارباب محل ولكل كيفية من هذه الكيفيات اسم معروف بينهم
كما اخبرني يعقوب منها ما يسمى بولكا ومنها ما يسمى الكانكان ومنها
ما يسمى الوس وقد اخذني يعقوب في بعض سكتات الاستراحة
ودخل بي مكاناً داخل المكان الاول فرأيت فيه قوماً اخرين منهم
من يلعب القمار و منهم من يشرب السجارة وغير ذلك والكل في
هيئة المعتادة لم يغير منها شيئاً فانا نظرت الى رجل منهم الا وهو
يلاغيني ولا امرأة الا وهي تناجياني ففهمت من كلامهم ان مقصودهم
الرقص معي او الجلوس معهم ولكن معرفتي بلغتهم لم تبلغ درجة
معرفتهم بها كان يعقوب يدار بالاجابة عنى ويخبرهم اني مصرى
لا معرفة لي بشيء من هذا الامر من اصله وان محبيي انا هو من
باب قوهم العلم بالشيء خير من جهله وما رأيت هناك رجالا الا
ومعه المرأة والمرأتان وتارة يكون مع المرأة الرجل والرجلان فسألت
يعقوب هل بين هؤلاء النساء والرجال نسب فقال لا نسب ولا
حسب وانه ربما يجتمع الرجل مع زوجته او امه او ابنته ويقطعون
زمنا في هزليات وسخريات ثم يفترقون ولا علم لاحدهما بالآخر لما
يحصل من التغيير والتشكيل الذي رأيته وانه قد يجتمع في مثل

هذه الليالي كثير من الشبان فيصرفون فيها مبالغ جسمية وان
 الفاحشة بهم ليست قاصرة على اهل المدينة لانه يحضر من الارياف
 بعض نساء اما تغتر ها على خدمة واما لتنظر لها صاحبا فلذلك
 يكثر الخش والمنكر في مثل هذه الموضع من غير منكر ولا مانع هذا
 ما كان واظن انه بعض ما حواه ذلك المكان ولا اكتم عنك ما
 رأيت ولا ما ارى لعل ببركتكم يغفر لي ما خطه القلم وبه جرى
 فقال الشيخ لولده او قد نظرت الى ذلك كله وملأت عينيك
 مما لم يقل احد بجله أهلا ارسلتك او على مثله عودتك أما علمت
 ان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه أما سمعت قوله صلى
 الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم أنسى
 قوله عليه الصلاة والسلام عن ربه ذي الجلال والأكرام النظر
 سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتي ابدلته اياناً يجد
 حلاوته في قلبه فلتقوية استعد ولثتها لا تعد وبينما الشيخ يعظ ولده
 ويعنفه على ما حصل وإذا بيعقوب عليها قد دخل فقطع الشيخ
 كلامه ووجه الخطاب الى يعقوب ولمه انا ألا ار له الخطاب
 ليقف على ما عنده من الجواب فقال لم يكن مقصودي من ارساله
 معك الا لتطلعه على احوال هذه المدينة واهلها لاتطلعه على مثل
 هذه الامور اذ لا ضرورة الى معرفتها
 فقال يعقوب يعتذر اليه يا سيد لا تواخذني فاني اعلم يقيناً

ان حضرتكم تأنفون من حضور هذه الموضع ولكن عزري ما علمته
فيكم من الرغبة في الوقوف على عوائد هذه البلاد واهلها فذهبت
به اليها لتفقعوا به على معرفة هذه العادة ولو كنت اعلم ان ذلك
يخل بحسن التربية ما ذهبت به والذى اخبركم به نجلكم وان كان
منافيا للوقار والكمال الا انه مألف لهم مرغوب فيه عندهم فان لهم
بالبايلو والرقص شغفا زائدا حتى ان الامراء والملوك لتفعله في
بيوتهم ويدعون اليه احبابهم من نساء ورجال
اما الاماكن المعدة له كالذى كا به الليلة فلا يذهب اليها
اولاً فقراء الناس وغرباؤهم

ومن عوائدهم ان كل من دعى الى البايلو ولو كان دني
الحرفة لا يذهب الا في ثياب غالية القيمة زائدة الكلفة وانهم
يعتنون بشان نسائهم أكثر من اعنائهم بأنفسهم حتى ان الرجل
منهم ليرغب في ان تكون امرأته او بنته هي المنظورة اليها دون من
عداها فتجدهم يبالغون في حلية نسائهم ويصرفون فيها أكثر ما
يصرفونه على انفسهم حتى لو اعسر الرجل لا تلتسم له امرأته عذرا
بل تصايقه حتى يأتى لها بما تزين به جبراً وقبراً ومن عوائدهم ان
كل وقت عندهم هياة مخصوصة لا يتعداها ولا يلبس فيه ما عدتها
وان نسائهم هن اللائي يدهن الحل والربط داخلاً وخارجاً فلا
يتصرف الرجل منهم في شيء الا ما ذنب امرأته

فقال الشيخ لعربي ما في هذا كله شيء يمدح بل لا ثرة له إلا
الشقاق وفساد الأخلاق فان المرأة بالنسبة للرجل كالنار بالنسبة
للحطب فكما يترتب على اجتماع الحطب والنار الالتهاب والانقاد
كذلك يحصل من اجتماع الرجل بالمرأة وقوع كلية ما في كثير من
أنواع الفساد ولو لا تمكن هذه العوائد منهم وتوارثهم لها عن متقدميهم
لما الفوها ولا شкроها ولكن العادة محكمة

المسامرة الثالثة والثانون

اهرام مصر

والمقايس

ثم قام الشيخ واخذ ولده ويعقوب وتوجهوا الى محل الانكليزي
 فسلموا عليه ثم خرج ابن الشيخ مع يعقوب وبقي الشيخ والانكليزي
 يتجاذبان اطراف الحديث من التدريم والحديث وبينما ها كذلك
 وادا برجل من اصحاب الانكليزي ققام له واجلسه بجوار الشيخ ثم
 اخذ يعرف الشيخ باحواله وكثرة سياحنه وان له معرفة تامة باللغة
 الفارسية والتركية والعربية وعليه في مدرسة الجمعية المشرقية
 دروس يلقيها بهذه اللغات فلما سمع الشيخ ذلك عظم الرجل في
 عينه وقال الا ان تم الارب حيث ظفرت في هذه البلاد برجل
 يعرف لغة العرب فلعله اكتسب من معلوماته فوائد تحمل من

سياحتي محل واسطة العقد من الفرائد اذ لذة مجالسة العلماء فوق
لذة الظّان بشرب الماء

ثم قال الرجل للشيخ ايها الاستاذ ان طبعنا يميل كل الميل
لمعرفة اخبار بلاد المشرق وقلوبنا محبوكة على حب اهلها لا سيما
المصريين فان جميع العلوم النافعة في بلادنا منقوله لنا منها بواسطه
الرومانيين وغيرهم والتقدم الذي تفتخرون به بلادنا منشأه مصر فلها
 علينا الفضل بل على جميع سكان الكرة فكلما نحن فيه من التقدم
والثروة سببه المصريون فيما لهم من قوم ادخلوا ذخائر انتفع بها
بعدهم الاخر فانهم قد وضعوا اساسات ابني عليها لمن بعدهم
هذه التقدمات وهذه العلوم الموجودة الان هم المؤسسين لها وهذه
الصناعات الفاخرة كان لهم فيها اليد الطولى على اهل القرون الاولى
وما بقي بعدهم من الاثار والتأثير عنهم في كتب الاخبار من الابنية
المحلية والصناعات الجميلة يعرب عن مزيد قدرتهم وشدة مهاراتهم
وعلو افكارهم

فقال الشيخ ما ذكرته لمصر من المحسن بهذا الاسلوب من
باب نظر المحب للحبيوب كما قال الشاعر
وعين الرضاعن كل عيب كليلة

كما ان عين السخط تبدي المساواة

فقال الرجل ايها الاستاذ وحق من جعلك للعلوم كهفا
وحباك كالا ولطفا انه لو لا المصريون لكنا الى الان غرق في

بخار الجهل حائرين في اودية الضلال لا نعرف كيف الشمتع بذلك
 الدنيا التي اعدها الله لنا سجناه فوحقك اني منذ ازمان احب ان
 اسافر لتلك البلدان وادور في نواحيها واطلع على ما فيها من عجائب
 الآثار التي لا نظير لها في قطر من الاقطار ولكن يحول بيني وبين
 ذلك خطوب الزمان وصروف الحدثان ومع ذلك فاني عازم على
 السفر في هذا العام ولعلنا نجتمع معا على شاطئ بحر النيل
 نعم ان السياحين ما تركوا خبرا الا ذكروه ولا اثرا الا قلوه على
 حسب ما شاهدو ولكن ليس الخبر كالعيان وفي هذه المدة سهل
 السفر في البر والبحر بواسطة آلات البخار فانها تقطع بعد المسافات
 في اقرب الاوقات فخفت مشقة السفر وصار الامن عاماً وامتنع ما
 كان يخشى في الاسفار من الغوايل
 فاجابه الشيخ بالبشر والظهور المسرة والشکر والارتباح للقاءه في

مصر

فشكر الرجل الاستاذ ثم قال له هل بصر الان ما يسهل
 الامر على السياحين من بيوت معدة لاقامتهم وابورات برية
 وبحريه تسهل امر الذهاب والاياب وغير ذلك مما يلزم ايام
 السفر

فقال الانكليزي الان لا فرق بين القاهرة ومدن اوروبا
 فان فيها لوكيادات مختلفة الانواع وفي نيلها وابورات مختلفة القوى
 تسير على راحة السياحين وتذهب بهم حيث شاؤا فضلا عن

السفن الشراعية المزخرفة باحسن الزخارف المستكملة الآلات
والأدوات فتجد السائح يختار احدى السفن ويركبها مع من احب
او بمفرده ولا يزيد عليه المصروف عن مائتي جنيه مدة شهرى
السياحة اللذين يقضى بعضها في الاقامة ببصر وضواحيها وبعضاها
السياحة جهة صعيدها ما بين اكل وشرب واجرة اماكن وسفن
ورجال وغير ذلك

وان من "الله سبحانه علي" وكتب ببصر ذاك الوقت لازمكم
وكتب لكم الدليل لاني وان سبق لي رؤية كثير من بقاعها
واطلعت على جميع الاثار الموجودة بها لكن اود ان اراها مرة ثانية
فانه كلما تكرر نظرك اليها ازدت علمًا جديداً واظن ان كل
جيل يأتي لا بد ان يرى غير ما رأينا ويعلم غير ما علمناه فانظر الى
اهرامها وعظيم بنائها حيث وصفه كل انسان من بعد امعان النظر
اليه كل الامean جيلاً بعد جيل ومع ذلك فكل وصفه بغير ما
وصفه به الاخر من الكيفيات مع ان كل ما ذكر الا ما رأى فتجد
البعض وصف شكله واصله وسبب منشئه والغرض منه ولم
يوافقه من اى بعده فبعضهم قال انه مدفن لاحد الفراعنة وبعضهم
قال انه كان محل ابرصادون فيه النجوم ومنهم من قال انه من الاثار
المحلية التي جعلها المصريون محل امتعتهم واثراً يستدل به من اى
بعدهم من الام على ما كان لهم من الابهة والخوار والعظمة والاعنبار
 فهو اثر يدل بصورته وشكله على قدر ما وصلوا اليه من العلوم

الهندسية وعلم جر الاتصال وفنون أنواع العمارة ويدل بوضعه الذي هو عليه وتوجيهه زواياه على انه اثر فلكي وبه معبد للديانة واذا حسب ما في اجزائه من النسب الصحيحة بالنسبة لبعضها وبالنسبة للدرجة الارضية دل على انه اثر لبقاء وحدة الابنية الطويلة والسطحية وقد شرح ذلك بعض علماء الفرساوىين في مجلد ضخم فقال الشيخ رأيت في كتب العربية انه تربة وان به دهاليز في اسفله واماكن لا يعلم ما بها

وذكر بعض الناس ان به اموالاً وذخائر وقد ظن المأمون الخليفة العباسي ان به اموالاً عظيمة ففتح الهرم الكبير وصرف في ذلك مالاً عظيماً فلما لم يقدر على هدمه نأى عنه وقيل انه وجد بقدر ما صرف في المدح

ثم بعد محادثات من هذا القبيل استاذن الضيف للقيام ودعا الشيخ الانكليزي الى منزله في الليلة المستقبلة فاجاباه ووعده بالحضور ثم بعد ذهابه ببرهة قال الانكليزي للشيخ يا حضرة الاستاذ ان جميع المؤرخين قاطعون بان قدماء المصريين بلغوا من العلم والحكمة درجة لم يبلغها غيرهم وشهد لهم جميع الملل قدماً وحدشاً بكمال العقل فبهذا لا يسلم العقل ان هؤلاء الحكماء العلماء العقلاة بنوا هذه الاهرام تربا ليس غير بل لا بد لهم من مقاصد جليلة في وضعها على هذه الكيفية

قال الشيخ نعم ولا مانع ايضاً من ان يكون بناؤها على يد

ملوك متعددة ولا بد من احتياجها الى عمال لا تحصر وتجهيزات
جسيمة اقتضاها صنع هذا الاثر قبل الشروع فيه بزمن طويل
قال الانكليزي فحيئن لا مانع من ان يكون لهم غرض اصلي
كان هو الباعث لهم على بنائها ولكن بسبب قدم هذا الاثر وسكت
من مضى من المؤرخين عن ذكر ما له من صحيح الخبر لم يقف احد
على حقيقته بل ذهب كل فيه الى ما ذهب وتنوعت الاوصاف
وكثرت الاقاويل

فقال الشيخ وما الذي ترتضيه من تلك الاقوال
قال الذي اراه هو ما قاله احد العلماء الفرنساويبن من ان
الغرض منه الاشارة الى ما عندهم من العلوم والمعارف بوجه موجز
وطريق معجز

فقال الشيخ وكيف ذلك فقال وجد ان طول ضلع القاعدة
المربعة للهرم ٢٣٠٩٠ م وان الارتفاع لكل من اسطونه ٧٢٣١٨٤ م
وان الفرق بين هذين الخطين ٤٦١٨٠ م وهذا القدر ربع مقدار
ارتفاع كل من اسطونه الهرم وهو مساوي لضلع الفدان المصري القديم
المعروف بالاورور الذي ذكر هيرودوت وغيره ان مربع قاعدته
مائة ذراع ولربما كان هو الحريب المعروف عندكم فعلى هذا يكون
بين قاعدة الهرم وبين ارتفاع الوجه نسبة صحيحة كالنسبة بين
عددي خمسة واربعة وكذلك لو قارنا مقادير جميع اجزاء الهرم
بالارتفاع المذكور لوجدنا انها منسوبة اليه نسبة صحيحة من غير

كسر فوري ان ارتفاع باب الدخول للهرم $15\frac{1}{4}$ م وهو عبارة عن
 جزء من اثنى عشر جزءاً من الارتفاع الكلي للهرم وان مدرج المدخل
 من ابتداء الارض الافقية الى اول المدرج الصاعد طوله 23 متراً
 وهو عبارة عن عشر طول القاعدة وثمن مقدار الارتفاع وبهذه
 المقارنة تجد ان جميع الاجزاء منسوبة الى القاعدة او الارتفاع نسبة
 صحيحة ولو قسمت خمسائة قسم لوجدت كل قسم منها $4\frac{1}{2}$ م
 وهو طول الذراع المصري القديم ومنه نجع القدم المصري ولو قسم
 هذا الطول الى ستين قسماً كان القسم الواحد $3\frac{1}{8}$ م وهذا
 الطول القصبة التي كانت مستعملة في قياس الارض عند دخول
 الفنساوية ارض مصر وقبلهم كان ضلع الفدان بها عشرين قصبة
 والذي يستفاد من قول الخزاعي ان الذراع كان طوله في الزمن
 السابق اربعة وعشرين قيراطاً في جهات الصعيد وفي وقته صار
 ثمانية وعشرين قيراطاً وحيث كان مقياس الروضة موجوداً في
 وقته وبالضرورة يمكن استخراج مقدار الذراع القديم منه وحيث
 كان القياس الاخير $5\frac{3}{4}$ م فيكون مقدار القديم $\frac{28}{24}$ يعني انه
 $4\frac{1}{2}$ م مثل ما وجدناه في الهرم وكان يستعمل اولاً في قياس
 زيادة ماء النيل ثم زيد فيه اربعة قراريط
 وان قسمت القاعدة الى اربعين قسم كانت طول القسم
 $5\frac{7}{75}$ م وهو طول الذراع البلدي ومن هنا يعلم بالبداية ان
 الذراع البلدي المنسوب للبلد والقصبة المستعملة في قياس الارض

منسوبان لصلع الهرم نسبة صحيحة وكما ان الفرق بين طول القاعدة والارتفاع بقدر ربع الارتفاع كذلك الفرق بين الذراع المصري القديم والذراع البلدي بقدر ربع الذراع المصري القديم لانه بالإضافة ربع عدد 462 م عليه يحصل 115 م وكانت القصبة موجودة قديماً ويستدل على وجودها بما ورد عن قدماء المؤرخين ان قدر طولها 80 م فلو أضيف إليها رباعها كان الذي يتح 160 م وهو قدر القصبة التي كانت مستعملة إلى دخول الفرنساوية مصر وعلى هذا فالفرق الذي بين الذراعين وبين القصبتين هو عين المحاصل بين القاعدة والارتفاع للهرم وصلع الهرم ستون قصبة بالقصبة الجديدة لزيادتها على القديمة بقدر رباعها وصلع القاعدة يزيد عن الارتفاع بقدر الربع وعلى ما نقل عن المؤرخين ان الاستادة ستون قصبة تكون الاستادة هي ارتفاع الهرم فيعلم مما سبق ان الهرم اثر للاقىسة يستدل منه على وحدة المقاييس المستعملة في المساحة الذراعية وغيرها واتجاه زواياه مع الضبط المحكم للنقط الأربع الأصلية يدل على انه اثر فلكي

وأيضاً مقدار الدرجة الأرضية للعرض المتوسط لمصر 110.837168 م وان جزء من ستائة جزء منها يساوي ارتفاع الهرم وهو 184.712 م ومن هنا يكون ارتفاع الهرم منسوباً للدرجة الأرضية لمصر ويكتفى بوجود مقدار الدرجة الأرضية ضرب مقدار الارتفاع في ستائة ولا يكون الفرق الا خمسة امتار او ستة وهو

فرق غير محسوس وبما نقل عن المؤرخين ان الدرجة الارضية
ستمائة استادة يتضح ان هذه الاستادة مصرية وان المصريين قدرتوا
الدرجة الارضية في الازمان السابقة ونسبوا لها مقابيسهم كما فعل
المتأخرون في المتر المستعمل عندنا الان وجعلوا ارتفاع وجه الهرم
علمها عليها

وان ضلع القاعدة للهرم جزء من اربعينات وثمانين جزءاً منها
يعني ان الدرجة الارضية المتوسطة لارض مصر قدر ضلع قاعدة
الهرم اربعينات وثمانين مرة

ويؤخذ من قول هيروdotus وغيره من المؤلفين ان الذراع
المصري القديم جزء من اربعينات جزء من الاستادة وهو صحيح لأننا
لو قسمينا مقدار الارتفاع على اربعينات لوجدنا ما نتج ٤٦٢ م وهو
ما وجدناه للذراع فيما سبق

والاستادة التي استعملها هيروdotus وبلين وسترابون وغيرهم
وأطلقوا عليها اسم الاستادة الاولنية لم تكن غير الاستادة المصرية
وان الارقام وغيرها نقلوها من مصر لارضهم
وبناء على ما سبق يكون قدر محيط قاعدة الهرم مائة وعشرين
مرة هو مقدار الدرجة الارضية وقدر الارتفاع وحده وهو الاستادة
عبارة عن ست ثوان ارضية ومحيط القاعدة ثلاثون ثانية او
نصف درجة ارضية
والتفاضل بين ضلع القاعدة ولارتفاع الوجه يكون ربع استادة

ويساوي مائة ذراع مصرى قديم ويكون هو ضلع الفدان المصرى
القديم المعبر عنه عند الاقدمين بالاورور وعندكم بالجريب وهو
الوحدة الذراعية التي كانت مستعملة في قسمة الارض بين الاهالى
وعلى موجهها تجبي الاموال وتنصب الحدود بعد اخسار ماء النيل
عن الارض

وبيؤخذ من كلام المؤرخين ان القدم جزء من سمتة جزء
من الاستادة فاذا قسمنا الارتفاع الى سمتة جزء كان الذي يبلغ
٣٠٨ م وهو مقدار القدم وحيث كان هذا هو مقدار القدم الرومي
فيعلم ان اصله مصرى وجميع المؤلفين اتفقوا على انه ثلثا ذراع فاذا
اضيف حيئذ نصف ٣٠٨ م اليه كان المجموع ٤٦٢ م وهو
مقدار الذراع كما سبق

فقال الشيخ المتعارف في الشرع وبين الناس ان الذراع هو
ذراع الآدمي وبه ضبط الميل والفرسخ وغيرهما من الاقيسة وان
الذراع اربعة وعشرون قيراطا او اصبعا واصبعا واصبعا ست شعيرات
والشعيرة ست شعيرات من شعر البردون اي البغل

فقال الانكليزي نعم كان ذلك في مبدأ الامر قبل اتساع
الجمعية الاولى واما بعدها فصاروا يستعملون ذراع الآدمي في
قياس الاشياء التي تلزمهم كالاقيمة وغيرها ويستعملون القدم في
قياس الاطوال الارضية ثم لما اتسعت دائرة المعاملات بينهم صاروا
ينظرون الى شيء ثابت لا يقبل التغير يقسيون عليه فلم يروا اوفق

من الدرجة الأرضية فقدرها بها الذراع ونسبوا إليه مقاييس
المعاملات المستعملة إلى الان وماحصل فيها من التغير غيرمحسوس
لا تدركه العامة ويؤكد ذلك قول بعض المؤرخين مثل
هيرودوط فإنه ذكر أن النسبة بين القدم والذراع كالنسبة بين
اثنين وثلاثة يعني ان القدم ثلثا ذراع وليس هذه النسبة موجودة
بين قدم وذراع لانسان اذ النسبة بينهما كالنسبة بين اربعة وسبعة
ولوفرض قسمة الذراع الى اربعة وعشرين قيراطا كما هي العادة
لكان القدم الفلكي ستة عشر قيراطا منها مع ان القدم الفلكي اربعة
اسباع ذلك فلا يكون الا عددا كسريا ويكون استعماله عسرا
جدا بخلاف الاول لا عسر في استعماله اصلا وهذا مما يؤيد ان
الذراع والقدم الجاري بينهما القياس ليسا فطريين لأن طول القدم
الانسانى اقل بكثير من القدم المستخرج بنسبة للذراع سواء كان
طبيعيا او فلكيا فان قدم الانسان يندر ان يتعدى طوله ٢٦٥ م
حيث يكون طول الرجل ١٧٣ م ويكون اقل من ذلك ان
كان طول الرجل اقل

وقدم الانسان تبلغ القامة به ستة ونصفا فان لم يكن المقصود
هنا القدم الفلكي المتفق عليه كيف يذكر المؤرخون ان القامة ست
اقدام فقط وطول قامة الانسان ثلاثة اذرع ونصف بذراعه كما
هو مدون في الكتب الصحيحة فعلى هذا لا يرتاب احد في ان القدم
والذراع المقدر بها لا طوال بل جميع المقاييس هما المنسوبان

للدرجة الارضية وانها اتفاقيان لا فطريان ونسبة القدم الى الذراع
ونسبة الذراع الى القامة كنسبة اربعة الى ستة وستة الى اربعة
وعشرين في حال كونها الاجزاء الفلكية

وتدل هذه الاعداد على قيامات كل قبضة اربعة اصابع
فلكلية ايضاً بمعنى ان القدم اربع قبضات والذراع ست وقامة
اربع وعشرون قبضة واما نسبتها الطبيعية لبعضها فهي كنسبة
اربعة وسبعة وستة وعشرين لبعضها

وجميع ما قلناه من ان جميع الاقيسة منسوبة للدرجة الارضية
مذكور في كتب المؤرخين فانهم ذكروا ان الخطوة الكبيرة المصرية
مساوية للقامة يعنون انها ست اقدام وليس في الادمين من تكون
هذه خطوه فعلى هذا لا يشك في انها خطوة اتفاقية منسوبة للقدم
المنسوبة للدرجة الارضية كما ان الخطوة الضعيفة للمصريين خمس
اقدام بالقدم الفلكي والخطوة الهندسية الرومية طولها خمس اقدام
ايضاً فلكية فتكون حينئذ عين الخطوة الضعيفة للمصريين وتكون
متقدمة منها الى بلاد الروم فالخطوة الهندسية هي القامة ايضاً وبالاع
الذى كان يستعمل في القياس وكان طوله ست اقدام فلكية او
اربع خطوات بسيطة كل خطوة منها قدم فلكية ونصف او سبع
اقدام بقدم الانسان والميل المصري الذي صار اساساً لجهاز الاموال
عند جميع الملل في الازمان القديمة مقداره الف مرة بها و الى القامة
او الخطوة يناسب التوازن الذي كان مستعملاً عند الاوروباويين

وهي بالملتر ١٨٤٧٢ م وتدخل في محيط قاعدة الهرم خمساً مائة مرة
وارتفاع الجلسة التي تحت الهرم قامة كاملة او خطوة هندسية
مصرية

والذي يؤكد كون تلك الاقيضة جميعها فلكية احناوا كل
من الدرجة الارضية ومحيط الكرة نفسه عليها عدد صحيح فانه لو
فيس طول محيط الكرة بالقدم لوجد عبارة عن حاصل ضرب
ستة مرفوعا الى الدرجة الخامسة وطول الدرجة الارضية المصرية
ثلاثمائة وستون الف قدم وان فيس بالذراع كان طوله عبارة عن
حاصل ضرب ستة في عشرة اربع مرات مرفوعا الى الدرجة الخامسة
وفضلا عن ذلك ان الميل الرومي الذي طوله خمسة الاف قدم
اذا قيس به محيط الارض اشتملت عليه سبعة وعشرين الف مرّة
فكيف تكون هذه النسبة صحيحة ان لم تكن القدم منسوبة للدرجة
الارضية

ولو اخذ ثمن هذا الميل وجعل مقاييسا وقيس به الدرجة
الارضية لاشتملت عليه ستمائة مرّة
ويجتئد يكون هو الاستاد الاولى التي قلنا انها ارتفاع وجه
الهرم وما خودة من مصر ولكن دخلها زيادة ونقص بتداول الايام
وتغير الدول مثلا :

الفترة قدر ثلث الذراع البلدي وهو خمسة اجزاء من اثنى عشر
جزاء من الذراع القديم والشبر جزآن من خمسة اجزاء من الذراع

البلدي وهو نصف الذراع القديم وهو ثلث الذراع الاسلامي
وهو جزء من ألف جزء من ضلع قاعدة الهرم وكل أربعة أشبار
ثلاث أقدام مصرية

ولما الذراع الاسلامي فلم يعرف بصر الا سنة ١٥١٧
ميلادية حيث دخلت الدولة العثمانية بها والاصل غير معلوم
ويزيد عن الذراع البلدي بقدر ثلثه وزيادة ثلاثة ميليمتر وبالنسبة
لذراع المقياس الموجود بالروضة فهو قدرة مرة وربع مررة

وقد عرفنا ما سبق مقدار الذراع البلدي ونسبة للذراع
القديم ولما ذراع مقياس الروضة فاصله الذراع القديم باضافة
سدسه اليه والفرق ليس بمحسوس لأن الذي يتبع من المقياس على
عمود المقياس لطول الذراع .٥٤٠ م والذى يتبع من الحساب
يكون .٥٣٩ م

وهذا الذراع لا يستعمله المعلنون بارتفاع درجة النيل بل
يستعملون ذراعاً صغيراً اتفاقياً لطمئن قلوب الأهالي وبهذه الواسطة
تحصل الحكومة على تحصيل المال من الأهالي وهذا الذراع ثلثا
ذراع المقياس وينقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً كالتقسيم ذراع
المقاييس إليها إنما قرار يربط كل على حسبه فيكون صغره مقابل
الواحد وربع من تقسيم الذراع الحقيقي وقسم العشرين يقابل قسم
الخامس عشر وقسم أربعة وعشرين يقابل قسم سبعة عشر وثلاثة

ارباع وذراع المنادي يساوي ثمانية عشر قيراطاً وثلثي قيراط من
قراريط الذراع القديم

واما الذراع الذي تستعمله البناءون والنجاتون فهو خمس
القصبة الكبيرة القديمة وان شئت قلت هو جزء من مائة جزء من
صلع الفدان الكبير المساوي صلعه عشرين قصبة كبيرة كما ذكرنا
وصلع الهرم يشمله ثلاثة عشرة مرة عدداً صححاً وإذا جمعت مقدار الذراع
القديم على القدم القديمة كان الذي يتبع هو طوله فهو قدمان ونصف
بناء على ذلك

والنجاتون يسمونه قيراطاً ويقسمونه ثلاثة اقسام ويسمون كل
قسم منها ثلثا وكل ثلث يقسمونه نصفين ويسمون كل نصف
نصف ثلث وكل نصف ثلث يقسمونه اربعة اقسام ويسمونه قراريط
فيكون كأنه منقسم الى اربعة وعشرين قسماً ولكن لم ندرج من این
 جاء له هذا الاسم مع انه لا بد لهذه التسمية من اصل كان معروفاً
فيما سبق ثم جهل ولو فرض انك ضربت مقدار هذا الذراع وهو
قدمان ونصف في اربعة وعشرين تجده ستين قدماً مصرية وهو
قياس كان مستعملاً عند المصريين في قياس الارض المحرونة وقدره
اربعون ذراعاً بالقدم والذراع المذكور هو الخطوة البسيطة وهي
تساوي ذراعاً بليداً وثلثاً اي ان الذراع البلدي ثمانية عشر قيراطاً
من قراريطه والاستادة المصرية تشمله مائتين واربعين مرة ويوجده
من قول الادريسي وابي الفدا وابي الفرج والمسعودي ان الفرسخ

ثلاثة أميال هاشمية أو خمس وعشرون غلوة يعني استادة وبالذراع
الهاشمي تسعه الاف ذراع كل ذراع منها اثنان وثلاثون قيراطا
واثنا عشر الف ذراع بالذراع القديم الذي هو اربعة وعشرون
قيراطا فعلى هذا يكون الفرسخ خمسة الاف متر وخمسائة واحدا
واربعين وثلاثي مترا وهذا الفرسخ هو الفرسخ القديم المصري والعرب
تسميه الفرسخ الصحيح وأما الميل فهو ثمان غلوات وثلث او ثلاثة
الاف ذراع هاشمي او اربعة الاف ذراع مصرى قديم

ومن هنا يعلم ان الغلوة ثلاثة ذراع هاشمي او اربعائة ذراع
قديم والسبة بين هذين الذراعين كالنسبة بين عددي ثلاثة
واربعة ومقدار الميل المصري حينئذ الف وثمانائة وسبعين واربعون
مترا ومصر والعرب استعملته والدرجة الارضية تشمله ستين مرة
ويكون مقدار الغلوة عند العرب مائتين وواحدا وعشرين متراً
وسبعين سنتيمترا وهذه الغلوة هي التي استعملها بطليموس وعنده اخذتها
العرب وتدخل في الدرجة الارضية خمسائة مرة

ويوجد خلاف الاذرع الماضية ذراع قدره سبعة وعشرون
قيراطا وهو الذراع الذي استعمله الخليفة المأمون وكان اخذه عن
الفرس وهو المعروف بالذراع الاسود وقدره بالمتر ١٩٦٠ م وهو
عبارة عن ذراع قديم وثمن وأما الذراع الهاشمي فذراع قديم وثلث
وقدره بالمتر ٦١٦٠ م وهو ذراع وجزء من خمسة عشر جزاء من
الذراع البلدى وذراع وسبع من ذراع المقياس وذراع وتسع من

الذراع العبراني وقدمان من القدم المصري القديم الذي استعملته العرب كما استعمله غيرهم وذراع الرومانيين منسوب للذراع المصري ينقص $\frac{1}{20}$ من مقدار الذراع المصري فيكون مقدار الرومي $44\frac{3}{4}$ م وذراع المقدس عند العبرانيين كانت نسبته إلى الذراع الروسي كسبة عدد خمسة إلى أربعة وحيثئذ فمقداره يعلم بالإضافة ربع على مقدار الروسي ويكون $5\frac{1}{4}$ م وهو يدخل أربعاء مرة في الغلوة التي تشتمل عليها الدرجة الأرضية خمسائة مرة وهي الغلوة التي استعملها بطليموس في قياساته والذراع السلطاني للبابليين كان منقسمًا إلى ثلاثة أصابع وكل أصبع منقسم إلى قسمين أي أنه كان منقسمًا إلى ٦٠ وكان طوله يزيد عن الذراع المعروف ثلاثة أصابع أي أنه لو أضيف تسع عدد $46\frac{1}{4}$ م إليه كان $51\frac{1}{4}$ م هو طولها وهذا المقدار هو مقدار ثالثة من الدرجة الأرضية والقامة تشتمل عليه ستين مرة كما أن الميل يشمل العسلة ستين مرة وكان يوجد قياس للأطوال في الزمن السابق طوله أربعة وعشرون ذراعاً به وأربعون ذراعاً بالذراع المصري القديم أو ست قصبات بالكبيرة أو عشر قامات صحبية أو اثنان وثلاثون ذراعاً بالذراع البلدي

ونسبة القصبة الكبيرة إلى الذراع البلدي كسبة عشرين إلى ثلاثة ومدة دخول الأفرنج أرض مصر كانت هي المستعملة في جميع الجهات القبلية والبحرية وطولها بالذراع البلدي ستة ذرع

وثلاثة ذراع او عشر اقدام مصرية صحيحة

والذى حصل فيه تغير كثير من بين المقاييس جيئها هو القصبة وذلك لأنها اساس المساحة التي يجيء الخراج على حسبها وكثيراً ما كانت تقتصر المساحون على جعلها ستة اذرع وثلاثي ذراع فقط اي 3670 م ونسبة هذا القدر الى طول القصبة كسبة تسعه عشر الى عشرين فيطلب بها مال اربعين فدانا في مقابلة ستة وثلاثين فدانا بالقصبة القديمة وهكذا والقصبة الصغيرة التي مع المساحين كان طوها 36 م عبارة عن عشرة اذرع بذراع المتر وستة اذرع وثلاثي ذراع بذراع مقاييس الروضة

فن هنا يوحذ انهم عوضوا الذراع البلدي بذراع المقاييس حتى لا تخرج القصبة عن كونها ستة اذرع وثلاثي ذراع كما كانت عليه زمانا طويلا والقصبة الهاشمية طوها ستة اذرع هاشمية او سبعة اذرع وتسع ذراع بالاسود او ثانية اذرع بالذراع القديم ومقدارها بالمتر 3694 م عبارة عن عشر اقدام عبرانية والقصبة المصرية القديمة طوها خمسة اذرع بالهاشمي الذي يسمى ايضا في بعض الكتب بالعتيق والعسلة من ضمن الاقيسة عند العرب والفرس ومقدارها ستون ذراعا بالهاشمي اي 36944 م والميل الذي استعملته العرب الذي قدره الف قامة او ستة الاف قدم لم يكن شيئا آخر غير القياس الذي كان عند المصريين ومقداره يساوي دقيقة واحدة من الدرجة الارضية لمصر وكان قدره عشر غلوات وكان يدخل في

الفرسخ المصري الصغير ثلاث مرات وفي الكبير ست مرات والميل الرومي ثمان غلوات أو لنبية أو مصرية والميل العربي ست غلوات مصرية وهو ٣٦٠٠ قدم مصرية والفدان بالذراع العربي وبالمتر $11.8\frac{1}{2}$ م وهو ست وثلاثون ثانية والوحدة الزراعية السطحية هي الفدان وهو عبارة عن مربع ضلعه بالقصب عشرون وبالذراع البلدي مائة وثلاثة وثلاثون وثلث وبالمتر سبعة وسبعون ومساحته خمسة الف وتسعمائة وتسعة وعشرون متراً مربعاً وقاعدة الهرم تشمله تسعة مرات صحيحة وضلع الفدان مائتان وخمسون قدماً مصرياً فيزيد حينئذ عن ضلع الاورور اي الفدان المصري القديم مائة قدم وحينئذ فنسبة الفدان الكبير الى الاورور كنسبة تسعة الى خمسة وعشرين

والقصبة المستعملة الان عندكم ٣٥٥ م والفدان بها ثلاثة وثلاث وثلاثون قصبة مربعة وثلث اي اربعة الف ومائتا متراً مربع وكسر صغير فاذا نسبناه الى الفدان الذي كان مستعملاً في جمع الخراج الى دخول الافرج وبعد خروجهم بعدة سنين لا يكون غير سبعة عشر قيراطاً باعبيار ان الفدان الكبير القديم اربعة وعشرون قيراطاً والاورور القديم نصفه تقريباً ففدانكم الان متوسط بين الفدان الصغير اي الاورور والفدان الكبير ونسبة الفدان الجديد الى الفدان القديم كنسبة عددي سبعة عشر الى اربعة وعشرين وبناء عليه فكل مائة وعشرين فداناً جديدة لا تبلغ الا

خمسة وثمانين بالمساحة القديمة وحيث انه في مدة الملك الاشرف
سنة ٧٧٧ ومن قبله الى مدة الملك الناصر وجد ان مساحة
الارض المزروعة الموضوع عليها الخراج ٣١٧٢١٣٦ وفي مدة
الافرنج مسح المزروع في القطر فوجد ١٣٦١٨٠ وهذا فرييان من
بعضها فيمكن الان ان نعرف هل حصل زيادة في المنزرع او نقص
وذلك بعد رد حسابه الى القصبة القديمة

والمرحلة بناء على قول الادريسي وابي الفدا اربعة وعشرون
ميلا هاشميًّا او ثانية فراسخ مصرية او ثلاثون ميلا روميا او عشرة
فراسخ فارسية وتبلغ بالметр ٤٤٣٣٣

ويوم الملاحة بناء على قول الادريسي وابي الفدا وهو ما يعرف
عندهم بالمحرى مائة ميل بالهاشمي او درجة ارضية وثلثا درجة
وبالغلوة الصغيرة المصرية الف غلوة كاملة او خمسائة واربعون
غلوة كبيرة مصرية ايضاً وبالметр ٩٩٧٥٠

وفي الازمان القديمة كانت المصريون يستعملون في قياس
الاطوال الكبيرة ثلاثة انواع من الفراسخ اصغرها كان عبارة عن
ثلاثين غلوة من الغلوات التي كل درجة ارضية منها ستمائة غلوة
وكان استعماله في الجهات البحرية من ارض مصر وقدره بالметр
٦٥٥٤١ م والثاني يزيد عن الاول وقد استعمله هيرودوط وكان
ستين غلوة من الغلوات التي كل درجة ارضية منها الف ومائة
واحدى عشر غلوة وتسع وكان يستعمل في الاقاليم الوسطى من

مصر من منف ابتداء ولذلك سي الفرسخ المصري المتوسط ومقداره
بالمتر ... م ٥٥٨٥

والفرسخ الكبير طوله ستون غلوة من الغلوات التي كل درجة
ارضية منها ستمائة غلوة وكان مستعملا في الاطوال الجغرافية فكان
يوجد بالجهات البحرية والقبلية وطوله بالمتر ١١٠٨٣٢ م

والفرسخ الفارسي عشرة أميال رومية وثلاثون غلوة من
الغلوات التي تشملها الدرجة الارضية سبعمائة وخمسين مرة وهو
دقيقتان واربعة اعشار دقيقة من الدرجة الارضية ويدخل في
الدرجة الارضية خمساً وعشرين مرة وهذا كان هو المستعمل عند
أغلب سكان المشرق والعبانيين فاخذه عنهم الاوروبيون ومقداره
بالمتر ٤٤٤٣٢ وهذا المقدار يطابق اربعة وعشرين ميلا او ٢٤٠

غلوة مصرية من الغلوات التي تشملها الدرجة الارضية ستمائة مرة
فيعلم ضرورة انه ما خود من مصر لانه لا يقال ان العجم فاسوا
الدرجة الارضية اذ لم ينسب اليهم ذلك احد من المؤرخين وفي
كتب العرب ان مقداره خمس وعشرون غلوة عربية من الغلوات
التي تشملها الدرجة الارضية خمسائة مرة التي قدرنا انها ٦٧١٦٢ م

وقد قلنا فيما سبق ان الوحدة التي كانت مساحات الارض تقدر
بها هي الاورور وهي عبارة عما يحرث بمحراث واحد في يوم واحد
وببناء على قول هيريدوط كانت مربعا ضلعه مائة ذراع يعني انها
كانت عشرة الف مربع والذراع المستعمل هو الذراع القديم

الذى هو ٤٦٢ م فعلى هذا تكون المساحة بامتر المربع الفين ومائة
واربعة وثلاثين

وكانوا يقيسون بخشبة طوها عشرة اذرع وطول ضلع الاورور
بها عشر مرات وكانت منقسمة ثلاثة اقسام كل قسم خمس اقدام
فكان طول القسم الواحد مساوياً لخطوة الهندسية ولنصف القصبة
المصرية القديمة التي كان طوها عشر اقدام وصلع الاورور بها خمسة
عشر مرة وكانوا في الغالب يستعملون نصفها فيبلغ ضلع الاورور
به ثلاثة مرة فبناء على ذلك تكون مساحة الاورور تسعمائة
خطوة مربعة وذلك عبارة عن ٢٣٥٠٠ قدم مربعة وبمقارنة المائة
الذراع التي هي طول ضلع الاورور للثلاثين التي هي قياسه بنصف
القصبة نجد ان القصبة ستة اذرع وثنتا ذراع وهذا المقدار هو نسبة
ما بين الذراع البلدي الذي قدره ٥٧٧٥ م والقصبة الديوانية
التي وجدها الفنساويون بالمجيزة وقدرها ٣٨٥ م وسسى ايضاً
بقصبة الرزق ومن هنا يعلم ان الاقيسة وان صارت كبيرة عما
كانت لكن النسبة منها لم تتغير عما كانت عليه قدماها ولم يكن
اورور وحده هو المستعمل في المساحة بل كان لهم اقيسة كثيرة
صغريرة وكبيرة على حسب ما يتضمنه الحال منها العسلة وهي مربع
قدرها عشرة ااف قدم مربعة اي ان ضلعه كان مائة قدم كما ان
صلع الاورور مائة ذراع ومنها الغلوة وهي عشرة ااف قامة مربعة
اي مربع ضلعه مائة قامة ومنها العسلة المضعفة وكانت مربعاً

طوله عسلتان وعرضه واحدة ونسبةها الى الاورور كنسبة اربعة
الى تسعة

ومنها الاستادة اي الغلوة المربعة كانت ٣٦٠ قدم مربع فان فرض ان ضلعها منقسم الى عشرة اقسام متساوية اتقسام السطح الى مائة مربع صغير كل منها ٣٦٠ قدم مربع او مائة قامة مربعة اي الى مربعات ضلع كل منها ستون قدم او عشر قامات او اثنتا عشرة خطوة هندسية ويكون عنها الجزء المئي بالنسبة الى الغلوة وكانت تستعمل في تدبير المساحات

واما الفدان الديواني وقت دخول الفرنسيس وادي مصر فكان ضلعه عشرين قصبة ديوانية وذلك عبارة عن مائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع وهذا المقدار هو ثلث الاستادة وهو قدر ارتفاع وجه الهرم فعلى هذا يظن ان الاستادة كانت منقسمة الى تسعة اقسام اي مربعات كل منها اربع عسلات مربعة ضلع كل منها عشرون خشبة كما ان الفدان الديواني ضلعه عشرون قصبة ديوانية ولذلك تسمى هذه المساحة اي المركبة من اربع عسلات بربع الفدان المصري القديم وكان ضلعه بالذراع القديم مائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاثة كما ان ضلع الفدان الديواني بالذراع البلدي مائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث وعلى هذا فمساحة الفدان القديم كانت ٥٧٩٤ م مربعاً ومساحة الفدان الديواني ٥٩٣٩ م مربعاً ونسبة الاول الى الثاني كنسبة ستة عشر الى خمسة وعشرين

وربما كان منقساً إلى أربعة وعشرين قيراطاً كأأن الفدان الديواني
 كذلك منقسم وهذه القسمة تزيد في سهولة الحساب بسبب أن
 العسلة تكون مشتملة على ست منها فلو فرضنا أن الاستادة أو الغلوة
 منقسة قسمين متساوين وجدنا أنه يحصل من ذلك تساهل
 عظيم في التقدير لأن الشكل الذي ضلعه الغلوة يكون منقساً إلى
 أربعة مربعات ضلع كل واحد نصف غلوة ومساحته تسع عسلات
 مربعة أو يكون مساوياً لاربعة من الأورور وتسى هذه المساحة
 ربع الغلوة وتشتمل على أربعائة خشبة مربعة أو تسعمائة نصف
 قصبة قديمة أو أربعين ألف ذراع مربع أو على ثلاثة آلاف وستمائة
 خطوة أو على خمسة وعشرين جزءاً من الغلوة أو على الفين
 وخمسائة قامة مربعة

ولم يكن في قياس الفدان المصري القديم صعوبة لأن مساحته
 أربعون خطوة بالخطوة الهندسية كما أن مساحة الفدان الديواني
 الان أربعون نصف قصبة وضلع الفدان الديواني سبعة وسبعين
 متراً وهو يزيد عن ضلع الفدان القديم بقدر ربعه وهذه النسبة
 لاشك هي الواقعة بين الذراع القديم والذراع البلدي والفنان
 الديواني يزيد عن القديم أوروراً واحداً ولا شك في ان للفنان
 القديم نسبة صحيحة مع الاقيسة القديمة لأن ضلعه ثلث ضلع قاعدة
 المرم وعلى هذا فمساحة القاعدة تشتمل تسعة مرات وزيادة على ذلك
 ضلعه عبارة عن عسلتين ونصف والميل المصري القديم يشمله

اربعاً وعشرين مرة والقصبة المستعملة في قياسه تدخل في ضلع
قاعدة الهرم ستين مرة

و族群 الاورور يساوي ثلاثة اخemas ضلع الفدان الديوانى
وربع الاستادة المربعة = $\frac{1}{4}$ الغلوة المربعة = ٤ اورور = ٢
عسلات مربعة و族群ها ثلاثة عسلات فلو قسمنا كل عسلة من
التسع قسمين متساوين وجدنا ان ثلاثة منها تكون ضلع الاورور
واربعاً منها تكون ضلع الفدان القديم وخمساً منها تكون ضلع
الفدان الديوانى والست الباقيات تكون ضلع ربع الاستادة وعلى
هذا فالنسبة بين هذه المساحات الأربع كالنسبة بين هذه الأعداد
 $16^2 : 25 : 36 : 4$ وما يؤكد ان ربع الاورور كان موجوداً قدماً كون
族群ه ستين خطوة هندسية كما ان ضلع الاستادة ستون خمسة
وبالجملة فوجود ربع الاورور بين الاقيسة القديمة يؤكد وجود
ربع الاستادة ونسبة الفدان المصري القديم الى الفدان الديوانى
المجدى على ما ذكرنا نسبة ١٦ الى ٢٥ ونسبة اضلاعها الى بعضها
نسبة ٤ الى ٥ اي ان الفرق الذي حصل في طول الذراع من
اربعة وعشرين قيراطا الى ثلاثين قيراطا حصل ايضاً في القصب
المستعمل لقياسها وبسبب ان عدد عشرين بقى ثابتا لعدة القصب
الداخل في الطول حصل لسطحها زيادة نسبة ٢٥ الى ١٦
والنسبة بين الفدان القديم والاورور نسبة ١٦ الى ٩ وكان
الغلوة كانت منقسمة الى اربعة اقسام وكل قسم منها الى اربعة

اخرى تسمى الاورور كذلك الاورور كان منقسمها الى اربعة اقسام
 وقاعدة الهرم قدر كل ربع منها مائة مرة وقدر الاستادة اربع
 وستين مرة وكان طول ضلعه خمسين ذراعا او خمساً وسبعين
 قدماً وسطحه ٢٢٥ خطوة او الفين وخمساً وعشرين ذراع وبالقصب
 الديوانى ٣٦ قصبة مربعة وكانوا يعرفون قدر ما تأخذ الارض
 من البذر بكمال لهم يسمى المد المساحي وهو اربعون ليورا فكان
 نصفه وهو عشرون ليورا يكفي لبذر مائة قامة مربعة فيقسمونها
 الى اربعة اقسام ضلع كل قسم خمس قامات ومساحته خمس
 وعشرون فكانوا يقدرون ما يلزم للارض بهذه الطريقة و يجعلون
 لكل خمس قامات مربعة ليورا من البر وهذا فكان المد الواحد
 الذي وزنه اربعون ليورا يكفي لبذر مائى قامة ونصفه لنصفها
 ومن الاقيسة التي كانت تستعمل في مساحة الارض الخطوة المربعة
 وهي جزء من تسعمائة جزء من الاورور وجزء من اربعمائة جزء
 من العسلة وجزء من الف وستمائة جزء من الفدان القديم وجزء
 من الفين وخمساً وعشرين جزء من الفدان الديوانى وجزء من اربعة
 عشر الفاً من الغلوة المربعة وكان ضلع العسلة عشرين خطوة
 وضلع الاورور ثلاثين وضلع الفدان القديم اربعين وضلع الفدان
 الديوانى خمسين وضلع الغلوة مائة وعشرين ومنها الخشبة المربعة
 وقدرها مائة ذراع وهي جزء من مائة جزء من الاورور والقصبة
 وقدرها مائة قدم مربعة وهي جزء من مائة جزء من العسلة وكذلك

كان من القياسات قياس صغير قدره خمس قامات مربعة وضلعه
 ست خطوات ومساحته ست وثلاثون خطوة مربعة او اربعائة
 ذراع مربع اعني ٩٠٠ قدم وكان يدخل في المد المساحي اربع مرات
 وفي الاورور خمساً وعشرين وفي الغلوة اربعائة مرة
 ويمكن ان يقال ايضاً ان العسلة كانت منقسمة الى اربعة
 اقسام كل منها الرابع وان الغلوة المربعة تشمله مائة واربعاً واربعين
 وربعها يشمله ستاً وثلاثين والفدان القديم يشمله ستة عشر مرة
 والديواني خمساً وعشرين والاورور تسعة مرات وربع العسلة عبارة
 عن = ٢٥ خشبة اي ١٠٠ خطوة = ٢٥٠٠ قدم فجميع هذه المقاييس
 كانت مستعملة في مساحات الارض بحيث كان يتيسر للمساح
 مع غاية الضبط والسرعة معرفة مساحة الارض وما تشتمل عليه من
 الكسور لغاية القدم المربعة وهذا شهد جميع المؤرخين للمصريين
 بفوقائهم جميع الام في الفنون الهندسية ونسبوا لهم اختراع اصولها
 وقواعدها التي هي سبب نقدمهم في جميع العلوم والصناعات ولو اني
 اطنبت في مادة الاقيسة واطلت على حضرتكم الكلام في بيانها
 فليس هو الغرض الاصلي بل الغرض ان اثبت لحضرتكم اتساع
 دائرة معلومات علماء هذه الامة حيث وصلوا في الاحتساب الحالية
 الى تلك الدرجات العالية مع ان جميع الام في ذلك الوقت
 كانوا خاملين وفي زواليا الذل والمسكينة فاطنين غرقى في بحار
 الجهل لا يعرف لهم فكر فيما جل ولا قل وكانوا راتعين في الاجم

والغابات مثلهم كمثل الحيوانات فلم يخرجهم عن هذه الحالة الآء
 اقتفاوهم اثر المصريين وسيرهم في طريقتهم مقتدين بقول من وصل
 منهم الى هذه الارض وتلقى عن علمائها واساتذتها يقيمون بالمدارس
 والمعابد ويتلقون الاسرار عن المصريين ومن ذلك الوقت اخذت
 الخسونة في الزوال واختفى عن بصائرهم غشاء الجهل والضلال
 واتضح الطريق فسلكوا سبيل الهدى ونالهم من الثروة والترفة ما
 نالهم فاسسوا المدن والقرى وبنوا المباني الفاخرة العالية النرى
 وكانوا قبل لا يسمعون بها ولا يعلمون والمصريون كانوا بالعين
 النهاية في كل ذلك وكان بشاطئ نيلها المباني المشيدة والبساتين
 الفاقعنة العديدة وفي داخل مدنهما وصحاريهما من المعابد والهياكل
 ما يعجز عن وصفه الانسان في كل زمن من الازمان والى الان
 كل من دخل تلك الارض من الاغراب وتأمل ما بقي فيها من
 الآثار التي هي من عجب العجائب يقف متخيلاً ويطرق متفكراً وذلك
 لا يستغرب من امة من اثارها البنائية الاهرامات الشامخة والبرائى
 العجيبة ولا يستبعد عليها انها قاست الدرجة الأرضية ونسبت جميع
 اقيمتها اليها ولاجل بقاء ذلك على مر الازمان وتعاقب الملوان
 جعلوا نفس لهم حافظاً لتلك الاقيسة فضلاً عن حفظه لامور
 شئ لم يقف احد عليها الى الان

المسامرة الرابعة والثانون

نبذة تاريخية

فقال الشيخ المستفاد من أقوال المؤرخين بناء على ما اجروه من البحث وما اخذوه عن الائئل ان بين هبوط آدم والطوفان ٢٣٤٢ سنة وبينه وبين المسيح عيسى بن مرريم ٥٥٦٣ سنة فيكون بين الطوفان والمسيح ٢٣٤٢ سنة وحيثذا يكون بناء الهرم قبل الميلاد باربعة الاف وخمسة عشر سنة وبعد الطوفان بالف وثمانمائة وخمسين سنة وحيث انهم قدروا ما بين جلوس منيس وبناء الهرم بثمانمائة وثلاث سنه فيكون جلوس منيس بعد الطوفان بثمانمائة وخمس وخمسين سنة اي بعد موت نوح بخمس سنه وقد قالوا ان فرعون مصر صوفي الاول الذي اطلق عليه هيردوط اسم كيوس ابتدأ البناء في هذا الاثر بعد انفصال الحكومة السياسية

من الحكومة الدينية بواسطة منيس الذي أسسها قبل الميلاد بخمسة
الاف وخمسمائة وثلاث سنين وفي مدة هذا الانقلاب بل من
ابتدائه يرى ان المصريين على معلومات تامة وهم دراية بمعارف شتى
وعلوم كثيرة فانهم كانوا على غاية التمدن والتقدم لكن لا يدرى
هل اخذ المصريون هذه العلوم عن سبّهم من الام واذا كان
ذلك فعن من اخذوا ام هم الموجدون له من غير واسطة غيرهم
والظاهر انهم اخذوها عن غيرهم لان الارض قبل الطوفان كانت
عاصمة باولاد آدم عليه السلام وكانوا متصرفين في جهاتها وكانوا
قد وصلوا الى درجة في العلوم والمعارف وما اغرق الله قوم نوح
عليه السلام ولم ينج لا هو واولاده ومن آمن تفرقوا في الارض
وتسللوا وكثروا فعمرت بهم الارض ثانية وبالضرورة كان عند
من نجا معرفة بعلوم من غرق فعلموا اولادهم وانتشر فيهم ولم تكن
أهل مصر لا من ذرية سام لانه ابو العرب والفرس والروم ولكن
لا ادري هل هم اول من عبد الاصنام ام سبّهم الى عبادتها غيرهم
فقال الانكليزي ان عبادة الاصنام كانت لعاد وثمود كما لا
يخفى ذلك على حضرتكم وكان عندهم السحر والكهانة كغيرهم فلم يكن
المصريون في ذلك الا تابعين اثرهم

قال الشيخ وما سبب اتساع دائرة العلوم عندهم دون غيرهم
قال سببه انهم لما وصلتهم علوم من اغرقهم الطوفان تأملوا فيها
فاستنتجوا منها واستكشفوا من اثارها ما وصلوا به الى شأو بعيد في العلوم

واما كونهم مخترعين تلك العلوم فلا يقبله العقل لانه لم يكن بين
 الطوفان وبين نشأة الحكومة المصرية الفرعونية الا زمان قليل لا
 يكفي في وصول المعرف والعلوم الى هذا الحد الذي كانت عليه
 وقت ظهور منيس على التخت لانا نرى من اقوال المؤرخين انه
 من حين جلوس فرعون مصر على التخت شرع في اعمال جسمية
 فيها من الدلالة على التقدم في العلوم الهندسية ما لا يخفى منها انه
 سد احد فرع النيل الذي كان جارياً بجذاء جبل ليبيا وحوله
 الى جهة الشرق في نصف المسافة التي بين الجبلين وادخل ماء
 النيل في وادي الفيوم فازدادت بذلك سعة ارض وادي النيل
 ولا جرم ان هذه الاعمال يلزم بها امور هندسية مثل ميزانيات وغير
 ذلك لاجل معرفة حال هذه الارض المحصورة من جميع الجهات
 بالجبال والصحاري ومنها انه ازال البرك التي تكونت من مجرى
 النيل وبني محلها مدينة منف وحفظها من الغرق والعدو بما انشأه
 حولها من الحصون والجسور وزينها ببناها كل ومعابده بقيت اعجوبة
 يفتخر بها بعده ثلاثة الاف سنة زيادة على ما نظمه من القوانين
 وما اودعه في المدينة من المستبدعات التي فاقت بها على طيبة
 القدية التي كانت مقرًا للسلطنة ومحلاً لقوة الديانة الى وقته فلولم
 تكن العلوم عندهم في درجة الكمال ما امكنهم اجراء هذه الاعمال
 ومن ورث الملك بعده الف كتاباً في التشريح ومن اثني بعده بنى
 هذه الاهرام التي هي اعجوبة مدى الالام يتعجب منها كل انسان ما

بقي الزمان وما نظر اليها احد الا وافق مؤسسيها بعلو الدرجة في
 العلوم وغزارة عقولهم بدلالة هذه الاثار والرسوم فان من اجرى هذه
 الامور لا بد له من قيام الوقوف على قواعد من علوم شتى مثل
 علم جر الاتصال والعارة وحركات المياه والطب والهيئة وسير
 الكواكب واحوال السماء وكل هذه العلوم قبل وصوها هذا الحد
 تقييد بالضرورة التوغل في العلوم الاساسية لها فعلم من ذلك ان
 مصر كانت من قديم الزمن باللغة اقصى درجات التمدن فلو سُجِّن
 دليل على ذلك بقاء هذه الابنية بها الى الان وايضا هذا التمدن
 لا يمكن ان يوجد دفعه واحدة بل لا بد انه مضى عليه قرون
 كثيرة حتى بلغ هذه الدرجة والسبعيناً عام التي قدرها علماء
 الافرجين بين الطوفان وجلوس منيس على التخت لا تكفي ايضاً في
 تحصيل تلك المعارف بل لا بد من وجود اصلها قبل الطوفان
 فان الارض قبله كان بها ام شتى منهم التمدن وغيره وكانت العلوم
 باللغة الى درجة اوجبت اتساع معاشهم فكانوا ارباب قوة وثروة
 وما يدل على ذلك قول افلاطون عند تكلمه على سكان الاطلنطيك
 الذين اغرقهم الله بالطوفان ان ارضهم كانت قرية من بوغاز
 الطارق وان قوانينهم كانت قرية من قوانين المصريين وهذا
 القول نقله سولون المشرع عن علماء مصر فانه تلقى عنهم ويؤخذ
 من هذا ان منيس لما جلس على التخت وظهر امره اخذ له قانوناً
 من القوانين القدية التي وصلت اليه بواسطة النوبين الذين

كانوا بالجهة القبلية من مصر فانهم الناقلون لجميع المعارف والعلوم
 التي ورثها المصريون عن اجدادهم سكان اسيا الناجين من الغرق
 فكانت هذه المعرفة محفوظة عند طائفة القسس يرثها الاباء من
 الاباء جيلا بعد جيل من غير تغيير ولا تبديل وانت خير بان
 تقدم العلوم واتساع دائريها وزيادة الجهد في كشف حقائق مستجدة
 انما يكون بالاشتراك العام فضلا عن المساعدات من قبل الحكومة
 الا ان بصراً موراً توجب تعطيل ذلك منها وجودها منعزلة وسط
 الصحاري وهذا يمنع سهولة اخلاقاطم مع باقي سكان الارض من
 الام وحيث لم يكن بها من ورث تلك العلوم الا طائفة الديانة
 فغاية ما يمكن القوة البشرية انما هو معرفة ما وصل الى هولاء من
 غير زيادة عليه وهيئات ان وصلوا اليه ولا شك ان هذا على طول
 الايام ما يوجب تهقر المعرف عاما بعد عام كما حصل ذلك
 بالفعل في مصر حين سكناها غير اهلها فلولا ما شاهدناه بها من
 الاثار لاستبعدنا ما عزاه الى اهلها نقلة الاخبار ولعددها من نوع

الخرافات التي ضيع المؤرخون في تنفيتها نفائس الاوقات
 فقال الشيخ عزو المعرف والكشف عن الحقائق الى من كان
 قبل الطوفان مما لا مرية فيه وما يدل على ذلك صرح النمرود
 الذي بناء وكان مركبا من اثنين وسبعين برجا على كل برج كبير
 منهم يستحث على العمل فان ذلك كان بعد الطوفان بزمن لا
 يسع ان يهتدوا فيه الى معرفة بناء مثل هذا كما سنبينه فاثم بعد

الطوفان بزمن قليل تبليلت المستهم فتفرق بنو نوح فصار لسام
 وأولاده العراق وفارس وما يلي ذلك الى الهند ولحام وأولاده
 مشرقاً مما يلي مصر على النيل وكذلك مغرباً الى الغرب الاقصى
 ولیافت وولده ما يلي بحر الخرز مشرقاً الى جهة الصين وفي ذلك
 الوقت كانت شعوب اولاد نوح اثنين وسبعين شعباً فلو لم يكن
 عندهم معرفة تامة باحوال العمارة والهندسة ووضع الاحجار فين
 اين لهم ان يبنوا مثل ذلك البناء اذ يلزم بجعله في العلو الذي
 قدروه به اصول وقواعد لا بد منها وايضاً فان الترود كان عاماً
 من قبل الضحاك على سواد العراق وما اتصل به وفي تلك
 الاوقات كان للام قوانين منظمة وشائع معظمها وكان لهم رسل
 تهدفهم الى طاعة الله فلا بد انهم كانوا ذوي ثروة عظيمة حتى اغترروا
 بذلك غروراً وجعلوا قول الانبياء كذلك زوراً وناهيك طغيان
 الترود وظلمه وبغيه وتجبره وحرروبه أفلاأ يدل هذا كله على ان
 الام قبل الطوفان كانوا ارباب معارف وكذلك معرفتهم للاشهر
 وسمائهما والسنّة ومقدارها فقد ورد عن المؤرخين ان نوها عليه
 السلام ركب السفينة لعشرين مختضت من رجب ورست بارض
 الموصل على الجودى لعشرين بقين من المحرم فكانت المدة ستة اشهر
 وعشرين ليل فكل هذه ادلة قاطعة وبراهين ساطعة على ان العلوم
 والمعارف كانت موجودة قبل الطوفان
 فقال الانكليزى رأيت في الآية الرابعة والعشرين من الباب

السابع في التورية ان الماء بقي على الارض مائة وخمسين يوماً وذلك من زرکوب نوح السفينة الى استقرارها على الجبل وان دخوله فيها كان في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني واستقرارها على الجبل في اليوم السابع عشر من الشهر السابع فتكون المدة حينئذ خمسة اشهر باعتبار ان الشهر ثلاثون يوماً والشهور شمسية وعلى هذا تكون السنة شمسية وعدد ايامها ثلاثة وستين يوماً وهذا يدل على ان الاقدمين كان عندهم معرفة بحركة الشمس واختلاف سيرها بطاً وسرعة بالنسبة لحركتها فيعلم من ذلك انهم كان لهم معرفة بعلم الفلك .

قال الشيخ رأيت في كتب التواریخ ان كثيراً من اهل الهند والصین وغيرهم كانوا يعتقدون ان الله عزوجل جسم وان الملائكة اجسام لها اقدار مختلفة وان الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء فدعاهم ذلك الى اتخاذ تماثيل واصنام مختلفة على صورة الباري وملائكته فكانوا يقربون لها القرابین والنذر لشبهها عندهم بالله وملائكته واقاموا على ذلك مدة من الزمان حتى نبههم حكامهم على ان الافلاك والکواكب اقرب الاجسام المرئية الى الله وانها حية ناطقة وان الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وان كل ما يحدث في هذا العالم انا هو على قدر ما تجري به الكواكب على مقتضى امر الله فعظموها وقربوا لها القرابین ومكثوا على ذلك دهراً فلما رأوا الكواكب تخفي في النهار وفي بعض اوقات الليل لما

يعرض في الجو من السواتر امرهم بعض من كان فيهم من الحكماء
 ان يجعلوا لها اصناماً وتماثيل على صورها واشكالها فاخذوا اصناماً
 وتماثيل بعدد الكواكب السبعة المشهورة واخذ كل فريق منهم
 يعظم كوكباً ويقرب له قرباناً خلاف ما يقرره الاخر ظناً منهم انه
 اذا عظموها ما صوروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلوية
 وساعدتهم في كل ما يريدون وبنوالكل صنم بيبيا وهيكلا وسموا
 تلك المياكل باسماء الكواكب حتى ذهب قوم الى ان البيت الحرام
 اثنا عظم على مرور الدهر لانه بيت زحل ومن شأنه البقاء والثبات
 ثم لما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام نفسها على أنها تقربهم الى الله
 والغوا عبادة الكواكب ولم يزالوا كذلك حتى ظهر بودا وكان اول
 ظهوره بارض الهند فخرج منه الى السندي ثم الى بلاد سجستان وببلاد
 زابلستان ثم دخل كرمان فتبنا وزعم انه رسول واتى ارض فارس
 في اوائل ملك طيمورث ملك فارس وهو اول من اظهر مذاهب
 الصابئة فامر الناس بالزهد في هذا العالم والاستغلال بما علا من
 العالم وراهم ان من هناك بدء النقوص وقال بعضهم انه اول من
 عظم النار وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب ثم افترق بعده
 من تبعه فعظم كل فريق منهم ما رأى تعظيمه وقد قالوا ان
 البيت الحرام اول البيوت السبعة المعظمة المتخذة على اسماء الكواكب
 السبعة والبيت الثاني مارس وهو على راس جبل باصبهان والبيت
 الثالث سندوساب وهو ببلاد الهند وله قربانين وفيه احجار المغناطيس

المحاذبة والرافعة والمنفردة والبيت الرابع البو بهار الذي بناه متو شهر
 وهو بمدينة بيج من خراسان على اسم القمر و كان من يلي سداته
 تعظمه الملوك و تقاد لامرها و كان لها اوقاف كل من ولد بساداته
 يسمى البرموك ومن ذلك سميت البرامكة لأن خالد بن برمك كان
 من ولد من كان على هذا البيت والبيت الخامس عمدان وهو
 مدينة صنعا من بلاد اليمن و كان الصحاك بناء على اسم الزهرة
 والبيت السادس بيت كارشان شاه بناء كارش الملك على اسم
 المدير الاعظم من الاجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من
 مدن خراسان والبيت السابع باعالي وهو بلاد الصين بناء ولد
 يعبور بن يعویل بن يافت بن نوح وقيل انا بناء بعض ملوك
 الترك في قديم الزمان فجعله سبعة بيوت في كل بيت منها سبع كوى
 بازاء كل كوة صورة من صور الكواكب السبعة مصنوعة من
 الجواهر على اختلاف انواعها ولم في هذا الهيكل سر يسرونه في بلاد
 الصين يعلمون به اتصال الاجسام السماوية وافعالها بما يحدث في
 عالم الكون من الحركات والافعال وهو سدى خيوطه من الابريض
 ممدودة على خشب يتحرك على حسب حركات الطبائع فيحدث
 ضرباً من الحركات فإذا اتصلت افعاله وتواترت حركاته في النسج
 ظهرت صورة فتضرب من الحركات يظهر جناح طائر وبآخر راسه
 وبآخر جلاه فلا يزال كذلك حتى تم الصورة على حسب مراد
 الصانع فجعلوا اتصال الابريض بالنسج وما يحدثه الصانع في

ذلك من الأفعال مثلاً لتأثير الكواكب العلوية في الأجسام الكونية فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر وبضرب آخر فرخ وكذلك سائر ما يحدث في العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جهاد ونبات وحيوان ناطق وغير ناطق فاما هو من حركات الكواكب وأما العرب في جاهليتها فكانوا فرقاً منهم الموحد المقر بمخالفة المصدق بالبعث والنشر المؤمن بان الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي

ومنهم المقر بوجود الخالق القائل بحدث العالم وأعادته إلا انه انكر ارسال الرسل وعكف على عبادة الأصنام وهم الذين حَنَّ الله عنهم قوله ما نعبدهم الا لقربنا الى الله زلفى ومنهم من افر بالخالق وانكر الرسالة والبعث وهؤلاء هم الذين حُكِي الله عنهم قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونجيء وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظلون ومنهم من مال الى اليهودية او النصرانية ومنهم المار على عنجهيته الراكب لهجيته ومنهم من كان يعبد الملائكة ويزعم انها بنات الله وانها تشفع لهم عنده وهو الذين اخبرنا الله عنهم بقوله ويجعلون لله البنات سجاته وهم ما يشتهون ومنهم من كان مقرراً بالتوحيد مثبتاً للوعد والوعيد كعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

وبسبب اتخاذ العرب للأصنام انه لما نشأ عمرو بن لحي وتولى

ملك المجاز وانتشر صيته في الجاهلية واليه تسب خزاعة وكانت العرب تطیعه احسن الطاعة وسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشام فرأى قوماً يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب اخذناها على شكل الهاياكل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فتنصر ونستنقى بها فنسقى ونستشفى بها فتشفی فاعجبيه ذلك وطلب منهم صنها فاعطوه هبلا فنقله الى مكة وجعله على الكعبة واستحب صفين اخرين وها اسف ونائلة ثم دعا الناس الى عبادتها فاجابوه ثم قلد العرب في ذلك فكان لكل قبيلة صنم فكان ود قبيلة كلب وكان بحومة الجندول وسوانع لقبيلة هذيل ويغوث لقبيلة مذحج وقبائل من اليمن ونسر لقبيلة ذي الكلاع بارض حمير ويعوق لقبيلة مهران والملاة لتقيف وكان بالطائف والعزى وهبل لقرיש ومنات للاؤس والمخزرج واساف ونائلة على الصفا والمروة واستمرت العرب على عبادتها الى ان جاء الاسلام وبعث محمد عليه الصلاة والسلام فكسر الاصنام وانقضى العباد من تلك الاوهام وكانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيئ وقد ندم الله تعالى فعلم بقوله انا النسيئ زيادة في الكفر

وكان المصريون صابئة فانهم كانوا يعبدون الاصنام والصابئة اقدم الام على الارض ولغتهم السريانية التي هي لغة آدم عليه

السلام ويزعمون انهم اخذوا دينهم عن شيت وادريس وهم كتاب
 يسمونه صحف شيت فيه محسن الاخلاق كالصدق والشجاعة
 واجتناب الرذائل وقد ذكر ابن الوردي احد المؤرخين عبدهنا
 صحيفتين من صحفهم الاولى وتسمى صحيفة الصلاة ومنها انت الاذلي
 الذي تربط به الرئاسات رب جميع المكونات المعقولات والمحسوسات
 رئيس البرايا وراعي العالم رب الملائكة ومنك تنزلت العقول
 الى مدبري الارض لانك السبب الاول احاطت قدرتك بالكل
 ولک الوحدانية التي لا تحد ولا تدرك مدبر سلاطين السماء وينابيع
 النور الدائم الانارة انت ملك الملوك آلامر بالخيرات كلها الفاعل
 لكل شي بالوحى والاشارة تبت المخلوقات وبرمزك يتضرر العالم
 باسره ومنك النور وانت العدة القديمة السابقة لكل شي نسئلنك
 ان تزكي نفوسنا وتوفيقها لاستحقاق نعمتك الآآن وفي كل اوان الى
 الابد ياظاهراً متعالياً عن كل دنس احل عقالنا وعافنا من كل
 مرض وبدل احزانا افراحنا بك نعتصم ومنك خاف نسئلنك ان
 توفقنا لتجيد عظمتك التي يشار اليها ولا ينطق بها منك الذل
 وبك يستنير الكل وانت رجاء العالمين ومعين الناس اجمعين
 وفي الثانية لا يجررين احد منكم في معاملة اخيه الى ما يكره ان
 يعامل بثله واياكم والتفاخر والتکاثر لا تختلفوا بالله كاذبين ولا
 تهجموا على الله باليمين واعتمدوا الصدق حتى يكون نعم من قولكم
 فيما يستحقها ولا كذلك وتورعوا في تحريف الكاذبين بالله جل ذكره

فانكم تشاركونهم في الاثم اذا علتم منهم الحث ول يكن الامر في نفوسكم
 نتكلوم الى الله عالم السرائر فحسبكم حاكم يعدل وناتق يفصل
 لا تلهوا بهجو الكلام وسوء المقال لا تقاوضوا الاصليل والاباطيل
 ولا تكثروا المز لوالضحك والهمز والمز لا تبدر منكم عند الغضب
 كلمة الفحش فتجر عليكم المأثم والعقوبة من كظم غيظه وقيد لفظه
 ونطق منطقه واظهر نفسه فقد غالب عليه الشر كله استشعروا
 الحكمة وابتغوا الديانة وعدوا انفسكم الوقار والسكنية وتحلوا
 بالاداب الحسنة الجميلة ترووا في اموركم ولا تعجلوا لا سبوا في مجازة
 المسيء ان يكن من احدكم فرطة وارتکب منكرة فليقطع ولا تحمله
 السلامة منها على المعاودة لها فانها ان سرت عليه في الدنيا يفتضح
 بها على رؤس الاشهاد يوم الدين (وها طويتان) . اه . وهذا
 الكلام منسوب لازمان كانت قبل الطوفان وفيه دلالة ظاهرة
 على ان المعرف كانت متقدمة في تلك الاعصر وكان للصائمة
 اعياد وهيأكل يعظمونها فاعيادهم كانت عند نزول الكواكب
 الخمسة المتحيرة في بيوت شرفها والمحيرة هي زحل والمشتري والمرجع
 والزهرة وعطارد والهياكل التي يعظمونها بيت مكة وبيت بظاهر
 حران بمحونه ومن هياكلهم هيكل السنبلة وهيكل الصورة وهيكل
 النفس وهذه مدورات الشكل واما هيكل زحل فسدس واما
 هيكل المشتري فثلث واما هيكل المرجع فستطيل واما هيكل الشمس
 اربع واما هيكل عطارد فثلث في جوف مربع واما هيكل القمر

فشمن ومن هيأ كلم بيت بمدينة حران في باب الرقة يعرف بصلينا
 يقول انه هيكل ازر ابو ابرهيم الخليل عليه السلام وذكر بعض اهل
 الاطلاع ان باقى بلاد الصين هيكلًا مدورًا له سبعة ابواب في
 داخله قبة مسبعة لاركان عالية البناء وقيل ان باعلى القبة شيئاً
 يشبه الجوهر يزيد على راس العجل تضيئ منه جميع اقطار ذلك
 الهيكل وان جماعة من الملوك حاولوا اخذ تلك الجوهرة فاذا صار
 بينه وبينها مقدار عشرة اذرع لم ير شيئاً وان حاول اخذها بشيء
 من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار
 ثنت وانعكست وتعطلت وان رميته بشيء فكذلك فلم يجدوا لهم
 حيلة في اخذها ومن تعرض لهم شيء من هذا الهيكل مات لوقته
 و كانها دبرت من انواع الاحجار المغناطيسية وفي هذا الهيكل بئر
 مسبعة الفم متى اكب الانسان على فها يسقط فيها وصار اعلاه
 اسفله وحول فم البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم يقال
 انه بقلم السندي هند هذه بئر تؤدي الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا
 وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه
 وتؤدي ايضاً الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل ولا يقتبس
 منها الا من ساوت قدرته قدرتنا وعلمه علينا وحكمته حكمتنا فمن
 قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم انه قد وازانا ومن عجز عن
 الوصول الى ما وصفنا فليعلم انا اشد منه بأساً واقوى حكمة واكثر
 علماً وواسع دراية والارض التي فيها هذا الهيكل والقبة والبئر ارض

حجرية صلبة مرتفعة كالمجبل الشامخ فإذا رأى الإنسان ذلك الهيكل
والقبة والبئر حصل له عند ذلك جزع وحزن ونأسف على افساد
شي منه أو هدمه

ويقولون أن أهرام مصر قبور أحد ها قبر شيت بن آدم والآخر
قبر أدريس وهو أخنون والثالث قبر صافي بن أدريس الذي
ينسبون إليه ويعظمونه يوم دخول الشيس برج الحمل فيتزينون
ويتهادون فيه ومن هناك يعلم أيضاً أن علم الفلك ومعرفة الكواكب
وما يلزم لذلك من العلوم كان قد يها وأصله من أرض آسيا ومنها
انتقل إلى مصر وإلى غيرها من البلاد حين تفرق أولاد نوح
بالارض بعد الطوفان وعمروها وبنوا بها المبني على مثال ما كان
في آسيا قبل الطوفان

فقال الانكليزي ما ذكرته من الأدلة على ثبات العلوم لمن
كان قبل الطوفان في غاية الوضوح ففي التوراة وهي من الكتب
القديمة ما يدل على ذلك فإنه حين تكلم فيها على الخلقة من مبدئها
وما يتبع ذلك منحوادث بينه غاية البيان حتى صار كل من
قراه أنه شاهد بالعيان كل حادثة من حوادث الاولين التي
أحدثها رب العالمين وهذا وإن كان فيه مخالفة لما نقله دوبيدور
عن المصريين في شأن الخلقة وتدييرها إلا أنه أصح لأن ما نقله
دوبيدور ليس إلا عبارة عن خرافات وأوهام وبيان صور وأوثان
لا يحصل بها معرفة السر المقصود منها وأما ما في التوراة فهو حق

لا ريب فيه فانه عن موسى الكليم ومثله لا ينطق الا عن من هو
 بكل شيء علیم وايضاً مذهب دوبيدور مأخذ من امور ظنية
 نجت من رصد الحوادث الطبيعية ولم يقف لا هو ولا غيره على ما
 اودعه الله فيها من الاسرار الخفية واما المكتوب في التوراة فهو
 بالنظر الى باطنها وحقيقة امرها لان موسى عليه السلام اوحى اليه
 بما فقره وكان عليه السلام بصر وقت وجود العلوم القدية بها على
 اصلها وكانت اخبار الازمان الماضية وحوادثها عند علمائها على
 صورتها الحقيقية بخلاف دوبيدور فانه لم يوجد بصر الا بعد
 انحطاطها عن درجة علوها وفخرها بما لحقها من توالي الفتن والمظالم
 وعليها فان علمائها بعد استيلاء الاروم والعرaciين والاعجم علىها
 كانوا عن درجة قدرهم نازلين وفي قيود الذل والهوان مكبلين
 هاجرين العلم والمعابد لما فشلا اذ ذاك من المفاسد فاستبدلوا
 الاستغلال بالمعارف الخفية بالاشغال بغیرها وتفتقوا فيه بظنونهم
 الفاسدة واوهامهم الكاسدة فعموا بعباراتهم والغزو في تفهماتهم التي
 كانوا يستعملونها في وصف الهياكل وغيرها فدخل الجهل شيئاً
 فشيئاً وصار العلم بالحقيقة نسياً منسياً وصارت عباراتهم فيما بعد
 غير مفهومة للقسس فشرحوها بغیر المقصود منها فاحلوا الكذب
 محل الصدق واقاموا الباطل مقام الحق فخيّمت على عقولهم عنان كتب
 الجهة وعششت في اذهانهم حمام الضلال
 ومن قال ان اول من عبر ارض مصر النوبيون يعني سودان

افرقية فقد اخطاء خطاء كبيراً لانه لا مشابهة بين السودانيين والمصريين في شيء اصلا لا في اعضائهم ولا في لغتهم بل السودان من قديم الزمان على ما هم عليه الان والذى يقبله العقل هو ما ذكرتكم وما هو مدون في كتب العرب من ان من نجوا من الغرق كانوا من سكان الجهة المرتفعة من الارض فلا بد انهم كانوا في حدود الخراب منها وبعضاً كان سكن باسيا وهم الذين كانوا في سفح جبال توروس وجبال قاف فصارت ارض اسيا كأنها منبع النوع البشري ومنها خرجت فرق متعددة وتفرقت في جهات الارض وعمرها ومنهم من ذهب الى ارض النوبة فعمرواها وانتشر فيها الى الشلالات في نهاية ارض مصر

ولما قول المؤرخ اپيغور ان اسم النوبة كان يطلق على اصل القبائل الساكنة قرب ارض البالستين من ارض اسيا وقول هيرودوت ان ازدشير كان من النوبيين سكان اسيا فيحمل ان يقال ان هذا الاسم كان يطلق على جميع اهل هذه الجهة يسبب سمرة لونهم من حرارة الشمس ثم فيما بعد اطلق على سكان شاطئ النيل الاعلى وربما تشهد لذلك المشابهة الحاصلة بين المصريين والساقيين والنوبيين والحبش فعلى قولهما لا مانع من ان يقال ان اصل الجميع من سكان اسيا قبل الطوفان والذى يغلب على الظن انها متقدمة على من عداها في المعرفة والفنون وان التمدن كان عندهم في اعلا التقدم وحيثنى لا غرابة في مشابهة قدماء المصريين

للصينيين في حروف الكتابة وبعض القوانين فان اصل الجميع واحد وكل منهم من ذلك الاصل مستمد وفي التوراة مدن غير بابل كانت العداوة بين اهلها لا تقطع وكانوا كالبابليين متمنعين برياض المعارف مقتطفين منها ثرات حسنة وكانوا يطلقون اسماء اولاد نوح عليه السلام على مواضع معينة ولا شك ان اهل هذه المدن لم تبلغ تلك الدرجة في زمن قليل بل لا بد انه بقي عند بعض عائلاتهم بعض ما كان عند ابائهم الاولين من المعارف والعلوم حتى ظهر منهم ما ظهر من الآثار فيما بعد الطوفان ولكن في كلام بعض مؤرخي الصينيين ما يدل على ان خادثة الطوفان ازالت جميع ما للالم من الآثار فان قيل اذا كان كذلك فما السبب في بقاء العلوم والفنون حتى الاخلاق والعادات والاطوار عند المصريين هذه القرون الطويلة وفي كتبهم المقدسة مع انها من علوم الام السابقة على الطوفان قلنا ان ارض مصر لما كانت منعزلة عن باقي الامم مخضرة بين صحراءين ولم يكن بينها وبين غيرها اتصال ومسالك الموصلة لها صعبة كان ذلك هو السبب في بقاء المعارف بها لانه لو سهل الوصول اليها لدخلت الاغرب وأضاعوا معلوماتهم وما ورثوه عن ابائهم الاولين فان فتوحات سزسترييس الاكبر ترتبت عليها اختلاط المصريين بكثير من الامم البعيدة عنهم والاسرى التي اسروها منها نقلوا اخبارها وخصوص ارضها فدعا ذلك الى رغبة كثير من الناس فيها فسكنوها واختلطوا بأهلها

فحصل بذلك تغير في جميع احوال الملة في الامور السياسية والدينية
 وفي هذه المدة تيقظت الملل الاخر الى مصر ففتح ذلك عليها ابواب
 المصائب وكان اهلها قبل ذلك من حذقهم وخصوصية ارضهم
 متخصصين على ما يزيد عن حاجتهم وكانت العلماء وارباب الوظائف
 في غيبة عظيمة وسعة تامة فبذلك كانت دائرة المعلومات اذ ذاك
 متسعة وادارة الحكومة متتظمة بقوانين عدلية فكان قانون العدل
 بها له السلطان ولواده منتشرًا فوق راس كل انسان من ابتداء
 منيس الى اخر العائلة الثامنة عشرة بخلاف سكان البقاع الاخر
 والكلام في هذا المبحث يطول وليس الى ساحله وصول وقد ازف
 الوقت ويلزمنا ان نغير الهواء ونريح الفكر بالتنزه في بعض جهات
 البلد ثم بعد ذلك تتوجه لصاحبنا

المسامرة الخامسة والثانون

وصف

بعض انجاه باريس

قام الشيخ الى غرفته وادى من العبادات ما يلزمه في دياته
 ثم غير ما عليه من الملابس فلم يلبث برهة من الزمن و اذا برهان
 الدين قد حضر فقال له والده يابني تهياً للخروج فانا مدعون
 فتهياً كما امره والده في زمن يسير ثم توجها الى غرفة الانكليزي
 فاخذها وسار بها الى ان وصلوا ميدانا محاطا بابنية عالية محملة
 بصور مقلولة وغير مقلولة ووسط هذا الميدان صورة قلة مرتفعة
 فوق قاعدة مربعة وسط سعة مبلطة وحول تلك الصورة درايزين
 من كل الجهات فوقف الشيخ وولده والانكليزي ينظرون اليه
 الى الصورة الموضوعة في اعلاه فقال له الانكليزي الصورة التي

تراها هي تمثال نابليون الاول الذي اخذ مصر حين القيام الاول
 واغار بجيشه على جهات كثيرة من اوروبا وانتصر مراراً عديدة
 الى ان آل الامر الى اخذه اسيراً وحبس في جزيرة سنت هيلين الى
 ان مات ثم احضر الفرنسيس جثته ودفونها لاجلبقاء ذكره
 ورفعوا له هذا التمثال وهو من حجر الاّ انه مكسوّ بتونج المدافع
 الماخوذة من النمساويين وغيرهم وارتفاعه ثلاثة واربعون متراً ومن
 داخله سلم ضيق يصعد منه المتفرجون الى اعلا القلعة وكان في
 محل هذا التمثال قبل ذلك تمثال الملك لويس الرابع عشر المشهور
 وكان على قاعدة من الرخام الابيض وكان فوق حصان من التونج
 فلما حصل قيام الامة الفرنساوية كسروه ووضعوا مكانه هذه
 الصورة وفي مدة الملك لويس الثامن عشر صدر الامر بنزول
 التمثال في سنة ١٨١٤ فانزلوه ولكن في مدة الملك لويس فيليب
 عمل التمثال الذي تراه ووضع محله وكان يوم وضعه يوماً مشهوداً
 حضرت فيه عساكر الرديف والآلات وكثير من اهالي المدينة
 وحضر الملك بنفسه مع جميع خواصه ورجال دولته وكانت
 الموسيقات تضرب والمعنىون يتغدون بالالحان والناس في اعلا
 درجة الفرح

فقال الشيخ الذي يظهر من ان ملة الفرنسيس عندها ظيش
 وخفة لأن ما تستحسن في يوم تستتجبه في غد وليس لها ثبات على
 حال واحد وهذا مما يوجب دوام اسباب الخلل اذ من الواجب

عليهم بقاء احترام من اسس لهم هذه الشهرة العظيمة التي كانت سبباً
 في رفعة قدرهم واتساع دائرةهم وقوة سلطتهم وهيبتهم واحترامهم
 عند جميع الامم حتى نشأ لهم من ذلك ما فيه من السعادة
 والتقدم ما لا يخفى وما حصل في مدته من الخلل لا يدعونهم الى
 تنزيله عن درجته المستحقة له فان ما وقع من الشرايام لم يكن
 مقصوداً له بل ذلك تقدير العزيز العليم ولو قدر على منعه باى
 حيلة ما قصر وما اسسه لهم دليل على غزاره عقله فانه احدث لهم
 ما يفتخرون به فكان ينبغي لهم ان يديروا تعظيم هذا التمثال
 واحترامه وبينوا لهم في هذا الحديث واذا بهم وصلوا حدائق السراية
 الملوكية وكان وقت الاصليل فوجدوها جنة لا يكاد يوجد لها مثيل
 كثيرة الازهار جارية الانهار مخضرة الاشجار مخضلة الربي معتملة
 الصبا بها خلق كثير ما بين عظيم وحقير ونساء ورجال وشبان
 واطفال ما بين فطيم ورضيع ورفع ووضع فالرضيع على عاتق
 مرضعته وابن السنتين الى الخامسة مع دادته يتنوعون في الالعاب
 فنهم من بيده عصا يضرب بها كرة ويتبعها حيثما ذهبت ومنهم
 من بيده طارة قدر الغربال يحركها بالسرعة والنباهة ويدخل
 في وسطها ويخرج مع عدم قطع حركتها وآخرون يسوقون
 طارات مختلفة القطر بعضها فيضربها بعضهم والبعض يمسك حبلًا
 بيده فيجره من تحت قدميه ومن فوق راسه والعب اخر كثيرة
 التنوع مع نظافة الاطفال وسلامة ابدائهم وحسن صورهم وامتثالهم

للمربيات واتباعهم او امراهن فعند ذلك تذكر الشيئ القاهره واحوال
 اطفالها الوخيمه وطباعهم الذئمه ودناسه ملابسهم وكثرة بكائهم
 وعنادهم وقارن بين الحالتين وعوايد اطفال الامتين وتنى ان
 تكون تربية اطفال المصريين كالجاري بباريز لخاص الاطفال
 من ربيقة الامراض الناشئة من عدم ثريتهم وحبسهم داخل بيوت
 اهلهم فمن ازدياد فكره في ذلك واستغاله بما رأه هناك كان لا
 ينظر الى من يبر به من الناس المتجملين بالملابس الفاخرة وارباب
 الوجوه الناضرة وكان كلما قرب من جهة بها اطفال يعن النظر
 فيهم ولا ينقل طرفه عنهم ولكن لما كان عالما ان الانكليزي لا
 يخرج عن رايته توم في نفسه ان موافقته له ربما كانت على خلاف
 رغبته فقال يا صاحبي ارجو منك السماح وعدم المراخذه فاني
 حظيت هذا اليوم بنظري هؤلاء الاطفال حظوة لا تعادل وسررت
 بروءيتهم سرورا لا ياثل واذالت روءيتهم عني هوما كثيرة فنعم ما
 يفعل بهذه الارواض وإن هذه الاصول التي هم عليها لفي غاية السداد
 فان فيها حفظا للاطفال من العاهات ولولا هذا الارتياض للحتم
 ما يلحق ابناء المصريين من الامراض
 فقال الانكليزي ومن عوائدهم ايضا كلما وجدوا الجوش صافيا
 ان يذهبوا باولادهم او يرسلوهم الى محلات التنزة في اليوم مرة او
 مرتين الى ان تقوى بناتهم فيرسلونهم الى المكاتب ليتحصلوا على ما
 فيه مصلحة لهم ولا هالم

وبالتجارب وجد من يوت منهم قبل هذه الرياضات اكثرا
من يوت بعدها ففي هذه فائدة عظيمة من حيث زيادة تعداد
الاهالي ويزدادتهم يزيد الخير لأن ثروة الأمة تابعة لزيادة عدد
اهلها وفي داخل البلدة وخارجها حدائق وميادين مثل هذه وفيها
من الأشجار والحيضان ما ينسرح به صدر كل انسان ونافورات
وهي أكل للزينة كل ذلك مجعل لتروح الناس وترىض افكارهم
وقت التزه

ثم سار الشيخ والإنكليزي فما من جهة مرا بها إلا قابلها خلق
كثير في زي واحد لا يفرق الانسان بين الامير منهم والحقير والغني
والقير وكانوا لا يسمعون غير خرشة الفساتين ودوى العربات
ومناغاة الأطفال والفاظ رخيصة من رباث الدلال وهكذا كان
يسمع من كل جهة ثم سارا حتى وصلا الى ميدان بنيانه من احسن
البنيان فمد الشيخ بصوره بينما وشمالا وخلفا ولاما فوجده محاطا
بنازل عالية البناء حسنة التقاسيم وعليها درابزينات متنوعة
الاشكال ملونة بالوان مختلفة لا يخرج واحد منها عن محاوره ولا
يعلو عليه ولا يتفاوت بعضها عن بعض الا بزيادة الرونق والزينة
ووجد جميع الطرق مزدحمة بالخلق ازدحاما عظيما وكانه يوم
عيد لما على وجوه الناس من الفرح وعلى ابدانهم من الملابس
الحسنة فصار الشيخ يتذكر في ذلك ويتمال كل التأمل فلما رأه
الإنكليزي مستغرقا في الفكر ينظر للناس تارة ولغيرهم اخرى قال

له ايها الاستاذ هل لك ان تتف هننا هنيهة امام هذا الملك المفارق لاهلـه المعزول عن ملـكه بعد بقائه فيه ثلاثة الف سنة فلما سع الشـيخ ذلك الكلام التفت فرأـى عموداً مرتـقاً الى السماء لا يدرك اخرـه البصر ولم يرـ الشـيخ مثلـه ولا سعـ به فيما مضـي وغـيرـ فقال للـانكـليـزي ما هذا الـذـي ارـى قال هذا عمود يقال له المسـلة واصلـه من مصر وـكان بـصـحـراء الـاقـصـر والـيـ الحـجـاج فـاهـدـاه مـحمدـ على باـشـالـشارـل العـاـشر فـنـقلـه الى هـنـا وـوـضـعـه في هـذـا المـيدـان ليـكونـ اـعـجـوبـة الى اـخـرـ الزـمـانـ

وبـينـا هـا كـذـلـكـ وـاـذا بـشـيخـ كـبـيرـ اـنـسـلـ منـ بـيـنـهـا وـهـوـ يـقـولـ هـذـا اـثـرـ مـاـثـارـ الـمـصـرـيـنـ الـذـيـنـ اـخـنـ عـلـيـهـمـ الزـمـانـ دـالـ بـذـاتـهـ عـلـىـ عـظـمـ قـدـرـتـهـ وـقـوـةـ بـاسـمـ وـسـطـوـتـهـ وـغـزـارـةـ عـلـوـمـهـ وـرـزـانـةـ عـقـولـهـ وـتـالـلـهـ اـنـاـ مـاـ عـلـمـنـاـ الاـ بـعـضـ مـاـ عـلـمـواـ وـلـاـ وـصـلـنـاـ الاـ قـلـيلـ مـاـ وـصـلـوـاـ فـيـاـ ايـهاـ الاـثـرـ الـجـلـيلـ اـنـبـئـنـاـ عـنـ اـحـادـيـثـ الـمـاضـيـنـ وـمـاـ كـانـوـاـ عـلـيـهـ فـيـ تـلـكـ السـنـينـ فـقـدـ مـرـ عـلـيـكـ سـنـوـاتـ وـاعـوـامـ وـلـيـالـ وـايـامـ وـشـاهـدـتـ بـماـ فعلـهـ الـظـالـمـونـ وـجـنـاهـ الـمـعـتـدـونـ فـافـصـحـ لـنـاـ عـنـ تـارـيـخـ ماـ رـأـيـتـ مـنـ الـامـ وـاعـرـبـ عـاـ جـرـىـ بـيـنـهـمـ فـيـ الزـمـنـ الـمـتـقـدـمـ وـهـاـ اـنـتـ فـيـ مـوـضـعـ غـيرـ الـاـولـ فـهـلـ تـعـيـشـ قـدـرـ مـاـ عـشـتـ وـتـنـظـرـ مـنـ الـحـوـادـثـ قـدـرـ مـاـ نـظـرـتـ فـالـتـفـتـ الـانـكـليـزيـ فـرـأـيـ النـاسـ فـيـ اـزـدـحـامـ مـنـ خـلـفـ وـاـمـامـ فـاوـسـعـ لـلـشـيخـ الـطـرـيقـ وـاخـذـ بـيـدـهـ وـتـرـكـ النـاسـ فـيـ فـرـيقـ اـلـىـ اـنـ وـصـلـوـاـ الـعـرـبـةـ فـرـكـبـوـهـاـ وـصـارـ الشـيخـ يـسـئـلـهـ عـنـ تـلـكـ الـاعـجـيبـ وـهـوـ

يحييه كأنه امها وابوها فقال له ان اهل الاطلاع يقولون ان الواقع
لهذه المسلة رامسيس الاكبر صاحب الفتوحات الكثيرة والمصادمات
الشهيرة ببلاد الشام والعراق والحبش وكان يوم وضعها بباريس
يوما مشهودا فلم يختلف احد عن الخروج والنظر اليها حتى الملك
وعائلته ولهم الباريزيون بذكرها واطالوا البحث عن حجرها وعن
الملوك الذين في زمنهم رسمت والنوع الذي منه قطعت وهي
عندهم الى الان من اعاجيب الزمان

ثم ساروا حتى وصلوا احدى الجهات فنظر الشيخ فرأى سراية
قد تخلت بالصور العجيبة الشكل والهيكل النادرة المثل بين اعمدة
من الحجور شاهقة لارتفاع قاسمة جميع وجهات السراية اقساما متساوية
الاصلاع وعلى الباب حرس بالسلاح يتثنون فقال الشيخ ما هذا
المكان الذي اراه عجيب المنظر حسن الخبر وما هذه الاعمدة الرفيعة
والهيكل البدعة فقال الانكليزي هذا مسكن ملوك الفرنسيين
ان ويقال له سراي التويني ومعنى هذا اللفظ في الاصل محل
ضرب الطوب وقد كان كذلك قبل بناء فبقى الاسم وذهب معناه
ويحواره سراي اللوفر كانت قبل بناء التويني مسكن الملك ايضا
ثم جعلت الان محلا للرسوم والهيكل

قال الشيخ وهل يمكن الان ان يراها فقال انها لا تفتح الا في
ايام معينة واوقات مخصوصة وفيها مكان كله صور ورسوم يدخله
النقاشون والمصوروون لاجل تزئنهم على صناعتهم فاذا جاء اليوم

الذي تفتح فيه ذهبتنا ان شئت لتنظر ما هناك من الرسم الغريب
الصنع والصور البدعة الوضع

فقال الشيخ سجان الله ان هذه الدنيا لا يبقى فيها شيء على
عهد بل لا بد ان يناله نصيبه من الشقاء والسعادة
وإذا مررت على الديار وجدتها

تشقى كا تشقى الرجال وتسعد

فقال الانكليزي صدقتك ايها الاستاذ فان هذه الحدائق والمباني
العالية والطرق القوية كانت قبل ذلك بر كما يخزن فيها الماء
والواساخ وكان منظرها اقبح من منظر الخراب ثم انه في القرن
الثالث عشر صارت محلًا لعامل الفخار الذي يغطون به سقف
المنازل وقاية لها من الامطار وكانت الملوك اذ ذاك تسكن سراية
اللوفر ولكن لم تكن وقتنى مزخرفة الظاهر كما هي الان بل كانت
عبارة عن برج مستدير على السور وحواليه خنادق متعددة عميقة
لا يمكن عبورها الا بواسطة قنطرة يرفعونها بالسلال في اوقات
معلومة وفي ذلك الوقت بسبب كثرة تحزب امة الفنساوية
وعداوتهم لبعضهم وللملوك كانت بينهم فتن لا تقطع فكانت همة
الملوك مصروفة لامر الحرب وقع الاعدا والمحافظة على انفسهم فكانوا
لا يشتعلون بامر الزينة والزخرفة ثم ارتفع الخوف وهدأت الفتنة
وطمئنت القلوب وقويت علاقت الاتحاد فازدادت ثروتهم واتحدت
كلتهم ووجهتهم فصاروا كأنهم رجل واحد وصار يضبط حكومتهم

قانون واحد وساروا تحت راي ملك استقر عليهم عليه فذهب منهم
جفاء الطباع واخذت الاحوال القديمة تذهب شيئاً فشيئاً وبعد
ان كان جل همهم صلابة البناء وقوته وارتفاعه ومتانته صار مطعم
نظرهم الى حسن صورته وتناسب اجزائه ولطافته فاخذوا يزينون
اماكنهم ويتغالون في زخرفها حتى وصل بنائهم الى ما تراه وبعد ان
كان لا يتken احد من القرب الى سرائى الملك صارت الناس تمر
كما ترى في طرقاتها وتحوم في حوماتها ويدخلون من جميع الابواب
من غير منع ولا حجاب فكل زمن له حكم

وفي زمن الملك فرسوا الاول اشتري محل سرائى التوبلري
وكان فضاء يبلغ قريباً من مائة فدان مصرى واشترت والدته
ما جاوره وبنت فيه محللاها ولم يبدأ في سرائى التوبلري الا في
وقت ماري دومس ومن ذاك الوقت سكناها الملوك وصار كل
ملك يضيف إليها شيئاً ولم تكن من اول الامر متصلة بسرائى
اللوفر بل كان بينها فضاء وبيوت للاهالي فصارت الملوك تشتري
هذه البيوت شيئاً فشيئاً ويدخلونها ضمن السرائى ولم يصل هذا
المكان الى الهيئة التي تراها الان الا مدة نابليون الثالث امبراطور
الفرنسيس وان كان نابليون الاول ولويس فيليب وغيرها من قبلها
اشتروا كثيراً من البيوت ودخلوها ضمن السرائى وصرفوا في ذلك
مبالغ جسمية من المال
وفي تقسيم المدينة اعتبرت سرائى اللوفر وسطاً وجميع طرق

البلد متصلة بها وتنهي بالحيط وما قسموا المدينة جعلوها عشرين
خطا وسموا كل خط باسم اشهر مكان فيه فالاول يسمى باللوفر
لوجود سراية اللوفر به والثاني بالبرتينة والثالث بالتماميل اي المعبد
والرابع بالمحافظة وهكذا

وبعد برهة وقفت العربة فنزلوا لدى مكان فطرق الانكليزي
بابه ففتحه الباب ودخلوا وإذا بصاحب المنزل قابلهم بالترحيب
وسار امامهم نحو ديوان عظيم متسع مفروش باحسن الفرش منقوش
سقفه باحسن النقش وحائطه من كل جهة بالورق المقوش
بالذهب وفيه من عجائب الرسم وغرائب الصنعة ما يسر الناظر
وارضه من خشب الجوز مفرغة في قوالب اشكال هندسية منتظمة
وكان هناك ثلاثة من ارباب الجمعية المشرقية كلهم يتكلمون
بالعربية وغيرها من اللغات المشرقية وكذلك صاحبة المنزل مع
اثنتين من النساء الحسان فلما قرب صاحب المنزل من المجلس
عرف الحاضرين بدرجة الشيخ في المعرفة وغزاره مادته في العلوم
وفصاحة في العربية فقاموا له واجلوه وجلسوه وسطهم وآنسوه
وجلست صاحبة المنزل عن يمينه فصارت تحييه باحسن ما عندها
من التحيات ويتترجم احد الحاضرين للشيخ تحياتها وكان مطعم نظر
الحاضرين الى برهان الدين لكونه كان اشد حياء من والده حسن
السمت كثير الصمت فاعجب صاحبة المنزل ادبها وكماله فكان
اغلب حديثها معه وكان الانكليزي قريباً منها فكان هو المترجم

لكليهما ولما حضر الطعام اجلسه عن بينها والشيخ بينها وبين زوجها
 ثم اخذوا يتناولون الطعام ويتجاذبون اطراف الكلام ويسألون
 اسئلة اثنان حتى رفع الطعام فرجعوا الى الديوان ودار بينهم
 الحديث في كل قديم وحديث بخصوص مصر وما احنته عليه
 من المحسن قدما وفي هذا العصر وخصوصية ارضها واعتدال قطرها
 وصفاء هوائها ومن سكنها من القدماء والمحدين ومن تصرف في
 امرها من الاولين والآخرين وتداول الدول في الاخر والاول
 وما اعنورها كل زمن من المحن والمحن وكان من جملة الحاضرين
 رجل قد ناهز السبعين عليه الوقار والمجلالة معظم لدى الحاضرين
 مسموع الكلام عندهم اجمعين طلق اللسان في اللغة العربية فظهر
 للشيخ من كلامه انه مارس كثيراً من المعارف المشرقية لانه رأى
 غالباً كلامه اللغة العربية والفقه وشعار العرب ونواذر الادباء
 ورأه حافظاً لكثير من غرر القصائد ومنتخب كلام البلغاء ميزجها
 بنواذر مستظرفات ومقارن بعض لطائف كلام العرب بما يقابلها
 من كلام الافرنج فعجب الشيخ من ذلك كل العجب وطرق من
 منادمه كل الطرق فطال بينهم الكلام وانفسح المقام ودخل معهم
 الانكليزي والحاضرون اجمع منهم من تكلم ومنهم من سع وخاضوا
 بين جد وهزل ومفصول وذي فضل وحوادث البوادي والحواضر
 في الغواير والحواضر الى ان قرب الليل من الاتصال وجاء
 او ان النوم فاستاذن الانكليزي وقام الشيخ والحاضرون وتوعدوا

بالاجتماع فقال ذلك الرجل للخواجا أني أريد ان اشرف بك
 وبمحضه الشيخ الليلة القابلة فاعذر له الشيخ ووعده بان يحضر الى
 منزله في الليلة التي تليها وانصرف كل مسرورا بما حصل له من
 الاuntas من رآه من امثال الناس وذهب عن قلب الشيخ ما داخله
 من الم الاغتراب وفرق وطنه والاحباب وشكرا انكليزي على
 حسن صنيعه به وعلى ما اسداه اليه من البر وتعرفه باحسنه
 الناس فقال يا حضرة الشيخ هذا بعض ما يجب علي "وغاية مناي
 اطمئنان خاطركم بادخال السرور عليكم وقد علمت الليلة سرور
 من اجتمعنا به بحضوركم لاسيا الرجل الهرم فانه الجذب الى حكم
 بكليته فمن الواجب دوام الود بينكم وقد رجاني في ذلك وهذا لا
 باس بعرفته فانه من مشاهير هذا الوقت علما وادبا ومن خيار هذه
 الامة حسبيا ونسبيا وله تأليف عديدة في علوم شتى ومعرفة بلغات
 متعددة فضلا عن كونه رئيس الجمعية المشرقية معدودا من علماء
 اروبا وامريكا ومن اعضاء جمعية الملة واني لارى ان معرفة مثل
 هذا اصل يبني عليه معرفة امراء البلد وآكامبرها

قال الشيخ ومن لي بمثل هذا فاني استظرفت كلامه وعجبت
 لجودة قريحته وذكاء فطنته وتوقد ذهنه مع كبر سنـه
 فقال الانكليزي وكيف رأيته في علومكم قال هو مع غلبة
 العجمية عليه في النطق لبعض الالفاظ العربية ذو قدم راسخة في
 العلوم وله اطلاع على كثير من كتب العرب وتصلع من علم

الادب ولا بد انه ساح في كثير من بلادنا ومارس فضلاء العباد
حتى تكن مما تكن

فقال الانكليزي نعم فانه حكى لي انه اقام بمصر مدة سنتين
وتوجه الى الحجاز واقام بجدة مدة ثم سافر الى عراق العرب ونزل
بغداد وساح تلك البلاد ثم ذهب نحو عراق العجم وسكن تحت
ملك فارس وكل ذلك كان لطلب العلم فجئي منه ثمرات واقتطف
زهارات واما بلاد اوروبا فلم يترك منها بقعة الا وله فيها شهرة
وسمعة حتى جنى من ثمار معارف كل جهة احسنها واقتطف من
ازهار كل فن اطايها وفي مدة تغربه حاز الفضائل من الافاضل
واكتسى الوقار من معاشرة الاماثل وستسبغ غوره متى كثرا المجتمع
وتاكدت علاقته الالفة

المسامرة السادسة والثانون

نعدد الزوجات

ثم وصل محل سكنها فتحي كل صاحبه ودخل الشيخ غرفته
 فتوضاً وصل صلاته وقرأ بعض ادعية ثم دخل فراشه ونام حتى
 الصباح فلما استيقظ من نومه دخل ولده عليه وجلس بجانبه بعد
 تقبيل يديه ثم قال له والده قد آنسنا اهل مجلس الليلة فانهم اذكى
 ظرفاء واظن انك كنت في غاية الانس بصاحبة المنزل فاني ما
 رأيتها فارقتك ولا رأيتكم مللت حديثها وكنت احياناً تحدق النظر
 نحو صواحتها وهن كذلك فغض برهان طرفه وتبسم واطرق
 راسه ولم يتكلم فقال له والده ما الذي دار عليه حديثكم لا بد ان

تخبرني بما جرى بينكم فقال سالتي صاحبة المنزل عن حال النساء
 عندنا وعن والدتي وأخواتي فاجبته بما يليق ثم سألتني أمتزوج أم لا وهل
 والدك معه غير امك أم لا فقلت لها اما أنا فلم اتزوج واما والدي
 فليس معه غير والدتي ولم يتزوج بغيرها فقالت وكيف ذلك مع
 ان المشرقيين يحبون تعدد النساء قلت لها كثير من المسلمين
 لا يتزوجون بغير واحدة وليس التعدد محتوا عليهم وإنما قد تعرض
 للانسان اسباب تلجه الى ان يعدد نسائه والشرع عندنا لا يمنع الا
 ما زاد عن اربع واما ملك اليمن فلا حظر فيه ولو كان ما كان
 فضحت احدى النساء متوجهة وقالت حينئذ يمكن الغني ان يقتني
 الوفا للتمتع بهن قلت لها نعم فقالت حين ذاك لا يعرف لاحداهن
 فضل عن غيرها فاي بلدة تصنع بنسائها هكذا وكيف تكون معيشة
 النساء بها لا جرم انها عيشة غير مرضية ولا شك في ان نسائهم
 لا يقطعهن زفير من المغيبظ الكامن في أنفسهن وإن كل واحدة
 انتهت فرصة من الأخرى تتعلما بها تحظى بزوجها أو سيدها
 دونها وأظن انه اذا كان صاحب عائلة على هذا النسق لا يسر
 خاطره ولا يروق ناظره ويقضي يومه وليلته في دعاوينهن مع بعضهن
 ومعه فتارة يكون خصما وتارة حكما وربما لا يأمن على نفسه وما له
 من عائلته فالعجب كل العجب من هذا الاصطلاح الذي هو منشأ
 الفساد في حياة الانسان وبعد موته فان ما يحصل بينه وبين

عائلته في حال حياته لا بد ان يحصل اشد منه بينهن وبين اولادهن
 بعد ما ته خصوصاً عند قسم التركة أتظن ان هناك قانوناً للزواج
 احسن من القانون الذي عندنا فقلت لها ان احسن قانون واحد
 قانون شريعتنا الغراء فانه قانون الخالق المدبر لامورنا المتكلف
 برزقنا وقد جاء به الانبياء المرسلون المطهرون المقربون عليهم
 الصلاة والسلام وكل ما جاء به الرسول يجب علينا السير بمقتضاه
 من غير زيادة فيه ولا نقص ومن خالق الشرع وتعدي عن حدوده
 استوجب الحمد كما لو خالق افرنجي انجيل عيسى عليه السلام او
 يهودي تورية موسى فانه يعاقب على مقتضى شريعته ولا يسوغ
 لاحد ان يسير بمقتضى عقله ويترك ما وردت به الشريعة فان
 عقل الانسان محل للخطاء وايضاً ليس في النوع الانساني من هو
 اوفر عقولاً من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله فيما نراه من الخلاف
 بين الشرائع عند التشريع حكمة خفية لا تدركها عقولنا ولو اطلعنا
 عليها لرجعنا الى الحق وتركنا ما سوّله الشيطان حتى وقع عند
 بعض العقول موقع قبول واستحسان واما اشتغال البال بالذى
 يحصل من منازعات الضرات فلا يحسن وجهاً للتحسين والتقييم
 فقد يكون هناك من له امرة واحدة وهو منغص العيش من قبلها
 مشوش الفكر بسببها فكل نفس جعل الله لها من هموم الدنيا
 وحظوظها نصيباً على قدرها وقد يحصل التوافق بين زوجات
 ويقسم الحال ويحسن المال

فقالت الجميلة منهن البديعة بيهن ليس للإنسان إلا قلب
 واحد فلا يهوى غير شيء واحد وكيف يقسم بين اثنين فقلت لها
 دوام الحال من الحال فإنه لو تعلق قلب الإنسان بذات من
 الذوات والفها أشد ما يكون من الالفة وتولع بها وهام فلا ثبات
 له هذه الصفة على الدوام بل متى انقضت مدة التعلق قصيرة
 كانت أو طويلة وتخلى القلب عما علق به سكن غيره فيه وأظن أنا
 لو تأملنا لوجدنا هذه الحالة لدى كل الناس لا تخص جهة دون
 أخرى ولا خلقا دون آخرين في قانون شرعنا لوجود الرجل
 بقلبه كراهة لزوجته يسough له فراقها وكذلك هي لها أن تستري منه
 عصمتها أو تطلب منه أن يفارقها ويخلص كل من المكرأة وما
 عندكم فلا حيلة ولا خلاص لأحد الزوجين من صاحبه تخاباً أو
 تباغضاً فتبسمت صاحبة المنزل من قوله وقالت لمن تحداثني قد
 ألمك المصري الحجة فخجلت ولم تتمل بعد ذلك وكان صاحبنا
 الانكليزي معنا وهو المترجم لي وهو مما دار بيننا من الحديث فكان
 يقول حجي فقد فهمت من كلامه أن قال لهن أن بقاع الأرض
 مخالفة لبعضها في أحوالها وكل أمة سكتت بقعة منها كانت أمور
 نظامها وأحوالها على حسب ما تقضيه حال بقعتها تبعاً للنظام
 وتوافقاً بين البقاع وما فيها من الحيوان والنبات والمياه والحرارة
 والبرودة والرطوبة والجفون وغير ذلك وأيضاً فإن المقصود من

الزواج انا هو زيادة النوع الانساني فلو فرضنا انه جار في بلاد
 المشرق كجريانه في بلاد المغرب لحصل الخراب في ارض المشرق او
 العكس لما وسعت بلاد المغرب اهلها فان المولودين في اوروبا
 اكثراهم ذكور والمولودين في الشرق اكثراهم اناث فنسبة الاناث
 المولودين بارض المانيا مثلا الى الذكور المولودين بها كنسبة مائة
 واربعة الى مائة هذا وإن كان من يموت هناك من الاناث صغيراً
 اكثرا من يموت من الذكور فان العبرة في التعادل بين بلغ سن
 البلوغ من النوعين وما زيادة الذكور عن الاناث في ارض فرنسا
 على العموم فهي جزء من خمسة عشر جزءاً بخلاف باريس فان زيادة
 المولودين الذكور عن الاناث بها جزء من سبعة وعشرين جزءاً
 وفي لوندرا نسبة المولودين الذكور الى الاناث كالنسبة بين عددي
 تسعة عشر وثمانية عشر وفي مدينة نابولي من بلاد ايطاليا كنسبة
 اثنين وعشرين الى واحد وعشرين وفي بلاد الفلهنك وما جاورها
 كنسبة ثلاثة وعشرين الى اثنين وعشرين وليس ذلك مجرد قول
 بل كله ثابت بجميع نتائج تعداد هذه الجهات في نحو من مائة سنة
 فظاهر من هذا ان الذكور ببلاد اوروبا اكثرا من الاناث بخلاف
 ارض مصر وببلاد الشوبه وببلاد الشرق فقانون الطبيعة عندهم
 جار على عكس ما عندنا لأن المولود من الاناث عندهم اكثرا من
 الذكور بقدر ثمن عدد الذكور وهذه حكمه ابدية وارادة ازلية وفي

بلاد الصين وياپونيا زيادة الاناث عن الذكور بقدر السادس
 وقانون الفناء جار تقريباً على هذا التناول ففي اوروبا النسبة بين
 الاموات الذكور والاناث كالنسبة بين عددي سبعة وعشرين
 وخمسة وعشرين وفي مصر على مقتضى المداول التي حررتها
 الافرنج تكون النسبة بين من يموت من النساء ومن الرجال
 كالنسبة بين عددي سبعة وعشرين الى عشرين فعنده ان من
 يموت من النساء اكثر ولكنه غير مساواً لكمية المولودين هذا ما آل ما
 فهمته من كلامه معهن ثم ضرب لي مثلاً بمديرية المنيا وبني مزار
 فقال ان الملك الاشرف شعبان بن الملك الناصر محمد كان مسح
 قطر مصر كلها وعد اهل المنيا وجميع قرى المديريه وكان ذلك
 سنة ثمانمائة وخمسة عشر فوجدا ها لي تلك المديريه قريباً من العدد
 الذي وجدته الافرنج حين عدوا تلك المديريه فان رجال اهلها
 كانوا مدة الناصر تسعه عشر الفاً وثمانمائة في ثلاث وثلاثين قرية
 وخمسة عشر الفاً وسبعمائة في ستة وستين كفراً والفين وثمانمائة
 وواحداً وعشرين في ثلاث وعشرين نزلة والفان وستمائة وثلاثة وثلاثين
 في ثمانية وثلاثين نجعاً فمجموع ذلك تسعه وثلاثون الفاً واربعمائة
 واربعة وخمسون رجلاً ويجعل عدد النساء اكثراً من عدد الرجال
 بقدر الثالث كما دلت على ذلك التجارب يكون مجموع النساء اثنين
 وخمسين الفاً وسبعمائة وخمسين فيكون جميع اهالي المديريه من

الذكور والإناث مائة ألف وثلاثة آلاف نفس وثمانمائة وفي وقت
 الأفرنج وجدوا أهالي المديريّة المذكورة مائة ألف واربعة آلاف
 وستمائة وخمسين نفساً فيكون الفرق ما بين مدة الملك الناصر
 وبين عدد الأفرنج لهذه المديريّة أي من سنة الف وثلاثمائة وخمسة
 عشر إلى الألف وسبعمائة وثمانين وتسعين نحو ثمانمائة نفس في ظرف
 أربعين سنة وثلاثة وثمانين سنة وهو شيء يسير جداً لكن يلزم أن يلاحظ
 أنه في تلك الأوقات كان يأتي الطاعون في كل أربع سنتين مرة
 وفراً أنس كثرين بسبب ما كان يحصل إذ ذاك من الجحور
 والظلم هذا ما لاح بفكري وبناء على ما سبق يعلم سبب تعدد النساء
 في بلاد المشرق دون بلاد المغرب وارجوان أسمع من جنابكم ما
 عندكم في هذه المسئلة

قال الشيخ لا شبهة في أن القوانين العامة التي يراد بقاها
 على مرور الأزمان يجب أن تكون ملحوظة الأصول والفرع
 بلواحظ الاستحسان وإن تكون مربوطة بعمل صحيحة وأغراض
 حميدة يفهمها كل أحد ويرى أن لا سداد لمعامله وحسن حاله
 وما له إلا بالركون إليها والتعويل عليها سواء كان القانون من
 الفيض الاهلي الذي لا يكون مسبوقاً باجالة فكر وتدقيق نظر
 وهو المسى وحياناً ولهاماً وحملته الأنبياء والرسل وتسمى تلك القوانين
 باسم الشريعة والدين أو كان القانون باجالة الفكر وتدقيق النظر
 ومقارنة الأحوال وموازنة العوائق فما كان منها أسهل مسلكاً وأعلى

غاية وأبعد من شوائب الفساد واقرب الى الضبط واجع للخير
 انحط عليه الاختيار وتطابقت فيه الاراء واصحاب اوئل القوانين
 يسمون باسم الحكمة وقوانينهم تسمى الحكمة العملية وهي قسمة الحكمة
 العلمية والحكمة العملية منقسمة الى اربعة اقسام القسم الاول سياسة
 الشخص نفسه وهذا القسم هو المسمى بين اهل الاسلام بعلم الاخلاق
 والتصرف الظاهر وقد وضع علماء المسلمين فيه كتابا جمة كثيرة
 القلوب لاني طالب المكي ونصف احباء العلوم لمحجة الاسلام الغزالي
 (ويشرح في هذا العلم ما جبل عليه الانسان من القوى واثارها
 وتقسيمها الى اصول وفروع فيبين مثلا ان الانسان ذو قوة غضبية
 هو من جهتها سبع وقوة شهوية هو من جهتها بهيمة وقوة عاقلة
 هو من جهتها ملك من الملائكة وروح من الانوار المقدسة وان
 كل من القوى توابع هي لها بمنزلة الخدم والعمال والقوة العاقلة هي
 السلطان الاكبر وانه يلزم الانسان ان يكون تصرف قواه تحت
 اوامر القوة العاقلة ونواهيه) القسم الثاني سياسة المنزل يان يعرف
 ما للمنزل وعليه من الحقوق وما لاهله من الوظائف الدائمة
 باشخاصه فيسلم لكل شخص وظيفته بعد ايقافه على حدودها واعمالها
 وغاياتها القسم الثالث سياسة المدينة وهو كالقسم الذي قبله وغاية
 الامر ان المدينة منزل اكبر القسم الرابع سياسة القطر وبالتأمل
 يعلم ان جميع السياسات مرتبطة بعضها ارتباطا متينا كما هو من مقتضي
 النظام الفطري الذي عليه مجموع العالم ازمنة وامكنته اذ لا ريبة

في ان العالم شخص واحد ذو اعضاء و اذا تهدى هذا علمنا انه يجب في كل قانون شرعاً كان او غيره ان ينظر الى عللها التي اسس عليها وغایياته التي يرشد اليها فانها الحافظة له الموجبة لبقاءه المكملة له من القلوب فان مدار امر الحجي على ما يحفظ به حياته اصلاً وتواجع فكل امر له دخل في ذلك فهو محظوظ مطلوب وكل امر اوجب فيه نوعاً من الفساد فهو مبغوض غير انه اذا نظر في احكام المصالح العامة وتأييدها ومتى قواها كانت المصالح الخاصة تابعة لها جارية على منهاجها ومتى كان النظر مقصوراً على المصالح الخاصة نجم الفساد واستحكم ولم يتم امر مصلحة لما يكون في الاستئثار من المبالغة والمشاجنة ومن الامور العظيمة التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها بقانون منتظم امر اجتماع الذكور بالاناث فأنه مع كونه مانعاً من لحوق ما ينشأ عن الامتناع فهو السبب في بقاء النوع وتتكثره وللإنسان بين طبيعته التي يشارك بها سائر الحيوان واسطة تمييزها عنه وهي العقل فهو لا يسعى في تحصيل مقتضيات طبعه الاً تبعاً للأحكام العقلية ولما لم تكن الانظار العقلية والطبع الفطرية كافية في ذلك من "الله علينا بان ارسل لنا انباء تلقينا منهم ما لا تفوي به الانظار العقلية فكان من شريعة موسى عليه السلام ان يجمع الرجل في عصيته ما شاء من النساء فلما جاءت شريعة عيسى عليه السلام نسخت ذلك و اوجبت الاقتصار على واحدة و توسيط الشرعية الحمديه كما هو شأنها في كثير من الاحكام فاجازت

العدد الى الاربع ومنعت ما وراء ذلك كما اجازت فراق واحدة
 واحنياز اخرى وحيث كانت الشريعة الحمدية مبنية على العدل
 والاحسان واجتناب انواع الظلم والعدوان وكسر عادية القوى
 السبعية والبهيمية وقد امرنا باتباعها والاهتداء بانوارها لم يكن امر
 تعدد النساء محدوداً الا في الحال ولا في المال فانه اذا نظر لبقاء
 النوع وتکثیره كما هو المأمور به في قوله صلی الله عليه وسلم تناکحوا
 تناسلاً تکثرواً كان التعدد اعون على ذلك الغرض وانجح وان
 نظر الى المساعدة والمعاونة فالکثرة مع الاشتلاف واتحاد الغرض
 خير من عدمها ولا نظر في الدين لمجرد الشهوافت اذ لو نظر لها
 لوجدنا ان المرأة الواحدة تعجز كثیراً من الرجال واذا كانت النساء
 في بقعة اکثر من رجالها والضرورة داعية الى توزيعهن فتعدد
 الزوجات لازم غير ان استحکام الجھالة والغاء مدارسة الديانة وترك
 بناء الاعمال على احكامها وانقطاع الموعظ الحسنة النافعة المفيدة
 بين الرجال والنساء تولد منه العود الى مقتضيات الطبائع من
 الغيرة والحسدة وحب الاستئثار والاسترسال مع الشهوات
 والدخول في الامور من غير تقدیر للحاجة ونظر للعقاب فاخذ
 قانون الازدواج ولحقه الفساد وقامت المشaqueة فخلاصة القول ان
 جميع الاشياء حسنها وقبحها ومدحها وذمها تابعة لکيفياتها ونتائجها
 فما ظابت کيفيتها وعظمت نتيجتها لم يختلف احد في حسنها . اه .

المسامرة السابعة والثمانون
النعداد او الاحصاء

ثم دخل الانكليزي والشيخ يلقي لابنه هذا الكلام فانتقل الحديث بهم الى مسئلة تعداد اهل الارض وذكر ما في ذلك من الفوائد السياسية وبيان ما وضع له من التقريرات فكان من الانكليزي ان قال لو قلنا مثلا ان النسبة بين الموجودين بارض فرنسا وبين المولودين بها في السنة الواحدة كالنسبة بين عددي واحد وواحد وثلاثين فهم منه معرفة جميع اهل فرنسا تقريباً بضرب عدد المولودين في عدد واحد وثلاثين ومثل ذلك ما لو قدرنا ان النسبة بين اهالي جهة من المانيا والجهات الشمالية وبين المولودين بها كالنسبة بين عددي واحد وتسعة وعشرين وثلاثة والقصد من ذلك معرفة عدد الامة على سبيل التقرير وهذا لا

باس به بل قد يجب على الحكم ليبنوا عليه مقاصد هم في اصلاح
 حال رعاياهم وهذا علم نفيس معتبرني به عند الامم الاوروباوية وله
 فوائد عندهم منها معرفة من يبقى حمن ولد في يوم واحد مثلاً بعد
 مضي عدد من السنين وهم في ذلك جداول يذكرون فيها ان
 بعد ستين الاربع سنة يموت ربع من ولد في اولها ويبقى الثلاثة
 الارباع وبعد اربع سنين الا شهر يبقى ثلاثة اخماس فقط وبعد تسع
 يبقى ثلاثة اتساع وبعد عشرين سنة الى الثلاثين النصف وبعد
 خمس وثلاثين الى اربعين يكون الباقى خمسين وبعد الاربعين
 يبقى الثالث وبعد مضي خمس وخمسين سنة لا يبقى الا الربع ثم بعد
 سبع وستين يكون الباقى ثلاثة اجزاء من عشرين جزءاً من الاصل
 ومتى بلغ العمر سبعاً وسبعين سنة يكون الباقى جزءاً من ثانية عشر
 جزءاً من الاصل وبعد مضي خمس وثمانين سنة يكون الباقى اثنى
 عشر جزءاً من الف جزء من الاصل وبعد اربع وسبعين سنة
 يكون الباقى ثلاثة اجزاء من الفي جزء وبعد مائة وخمس سنين
 وثلاثة اربع السنة يكون الباقى جزءاً من مائة الف جزء ومتى
 بلغ العمر مائة سنة وسبعين سنة يكون الباقى جزءاً واحداً من الف
 الف جزء من الاصل اي انه لو فرض ان الاصل كان المولود
 في يوم واحد الف الف لا يبقى منهم بعد هذه المدة الاً واحد عمره
 مائة سنة وسبعين سنة
 في بهذه الوسائل تكون افكار الحكمتابة لسير الامة في جميع

تقلاطها وحركاتها نحو السعادة والقر والقوة والضعف والكثرة
 والقلة فعلى مقتضي ما يرونها يخون نحو ما فيه الاصلاح
 فقال الشيخ من المعلوم ان الاخرج لم يقيموا بصر غير ثلاث
 سنين وهم في قتال دائم فكيف تفاصوا هذا التفاص واستكشفوا هذا
 الاستكشاف مع انها بقيت في يد غيرهم اعواماً وقرروا ولم يجدوا من
 ذلك شيئاً

قال الانكليزي لا غرابة في ذلك فان الاعمال تابعة للنيات
 فمن سبق على الاخرج كان لا يشغله عن شأن نفسه شأن وما كان
 يحصل عليه كان كافياً لما يلزمها واما الاخرج فكانت نيتهم غير نية
 من سباقهم وباختلاف الاغراض تختلف الاعمال انظر الى المرحوم
 محمد علي باشا حين ولتها بعد الاخرج فاحدث فيها اموراً عجيبة
 وجلب اليها من البلاد الاجنبية كل صنعة غريبة ثم تبعه في ذلك
 من بعده حمن ورثها من ولده فترها بعد ان كانت في زوايا النسيان
 مهجورة العبران لا ذكر لها بين الامصار قد كساها التمدن حلل
 الفخار فقصدها العافون من كل واد وغلت مزارعها واضحت نزهة
 للنااظرين وبساتينها عقود جحان رصعت بالدر الثمين وما من سنة
 تأتي الا ويستجد بها من المنافع ما يفوت الحصر من فوائد جديدة
 ومحاسن عديدة والمغارس تزداد والثمرات تنمو وبعد ان كان
 كثير من ارض الزراعة بها قد استحوذ عليه العدم وصار لا يثبت
 من طفو ماء البحر الملح عليه او تغطية الرمال له حصل الالتفات

في مدة و مدة اولاده فصلح أكثرها وزرع و ظهرت الثرة لاهلها وقد
كان بالجهات البحرية من مصر مناقع مياه متعددة وبها كثير من
الخشائش فكانت بطول مكث الخشائش وركود الماء يحصل منها
تعفن و امراض يترب عليها تلف للاهالي فصارت الان لا يرى لها
اثر و تبدلت حشائشها بالزراعات النافعة كالارز والقطن والخنطة
وغير ذلك

فقال الشيخ ان ذلك متوقف على العلم بما كان عامراً وغامراً
بصريدياً فلو عرفنا ذلك امكن الحكم بتفضيل احد الحالين وتفاوت
ما بين الزمانين فان من المؤرخين كابن اياس من يقول ان
المزرع من ارض مصر من المسعودي اعني في حدود القرن الرابع
كان مائة وثمانين الف فدان ويبلغنا الان عن بعض
صيارة البلاد ان جميع المزرع من ارض مصر ما بين الاربعة
الاف الف والخمسة الاف الف تكون نسبة ما بين الزمانين
كسبة واحد الى ستة وثلاثين او خمسة واربعين ولا اظن ان
هذا الفرق كان يزرع ثم هجر فلعل في عبارة ابن اياس تحريفاً
و الا فهو خطأ والذي يؤيد ذلك قوله ان في ذاك الوقت كان
لا يجي الخراج على بكرة ابيه الا اذا بلغ عدد من يستغل بالزراعة
اربعمائة وثمانين الف نفس في جهات القطر مع ان الموجود حين
النعداد الذي صار في زمانه ليس الا مائة وعشرون الف نفس
وكان المزرع اذ ذاك رباع الزمام فان اراد الفدان المصطلح عليه

خص كل شخص من المائة والعشرين ثلاثة وخمسة وسبعين فدانًا ولا يعقل زراعة هذا القدر بشخص واحد وإن أراد بالغدان أقل من الذي يستعمله كالقيراط مثلاً فيختص كل شخص من المائة والعشرين ألف نفس حينئذٍ خمسة عشر فدانًا فيكون القدر الذي أراد وضعه ألف الف فدان وستمائة ألف فدان وليس مائة وثمانين ألف الف فدان وإذا كان للشخص الواحد خمسة عشر فدانًا لا يبعد عليه زراعتها وما يدل على أن في عبارة ابن اياس تحريراً أو خطأ ما ذكره في موضع آخر عن المسعودي أيضاً من أن مساحة أرض الزراعة جمجمتها بالقطر المصري مسيرة ستين يوماً فان كانت قصده سعة طولها وعرضها ستين بسيير الإنسان فالمساحة الذاتية الان لا تتفق المساحة الأولى أصلاً والذى يغلب على ظني غلبة ثقرب من اليقين ان الأصل ألف الف وثمانمائة ألف فدان وإن الناسخ لكتاب ابن اياس أضاف صفرًا فحصل منه هذا الخطأ الفاحش

فقال صاحبه الانكليزي قد قلت صواباً فان المساحة التي صارت مدة الأفرنج ومن قبلهم توافق ما ذكرت فقد صار حصر جميع الأرض المضروب عليها الخراج في جميع الجهات وتحرر بها قوائم من طرف صيارات الجهات فوجدت ثلاثة آلاف الف فدان ومائة وثلاثة وستين ألف فدان وستمائة وثمانية عشر فدانًا وقوبل ذلك على ما استنبطه مهرة المهندسين وحرروه من رسم الأرض وهو

ثلاثة الاف الف و مئتان و سبعة عشر الف فدان و مائة و سبعة عشر فداناً فوجد بينها فرق قليل نسأً من اختلاف طرق الحساب بين مساحي الأهالي والممديسين و حيث ذكر في هذا المقدار اعتباره صحيح لا شك فيه فإنه موافق لما وجد في دفاتر المساحة زمن الملك الناصر سنة ٧١٥ هجرية الموافقة لسنة ١٣١٥ ميلادية وهو ثلاثة الاف الف ومائة واثنان وسبعون الف فدان و مائة و ستة وثلاثون فدانًا ولا عبرة بما بينها من الفرق لأنه ناشئ من اختلاف طرق الحساب والقياس

ثم قال ولا يخفى على حضرتكم ما حصل في القطر المصري بعد زوال ملك الفراعنة واستيلاء الأغраб عليهما من الأسباب التي أوجبت تأخيرها وعدم انتظام حالها ونسأً من ذلك تلف كثير للارض بتركها واهماها وفرار اهلها حتى خرب كثير من البلاد فمن ذلك يعلم ان ما وجده الأفرنج مزروعاً بواادي مصر ليس جميع ما كان يزرع في الازمان السابقة بل لا بد من اضافة ما كان قابلاً للزراعة ولم يزرع في ايامهم وكذلك الترع والجسور التي انشئت وارض البلاد التي استجدهت وما اتلفه البحر الماح بعد تلف الجسور وترك المحافظة وضمه الى ما كان يزرع زمن الفراعنة وهذا الامر لا صعوبة فيه من بعد ما حرروه من الرسوم وقد امكن بسببه معرفة مساحة القطر وما اشتمل عليه بغاية الدقة كالمبين

ادناه

فدان

ارض مشغولة بالسكن	٧٣٠٥٨
مساحة المزرع والقابل للزراعة	٣٣١٦٧١
غير الصالح للزراعة	٧٤٩١٤.
جزائر النيل	٣٦٦١٣
ترع وخلجان وجسور	١٢٠٥٦٣
اماكن السكن والخراب	١٦٣١٦
مساحة محجرى النيل المشغول بالماء	١٥٨٩٤١
البحيرات والبرك	٩٤٣٨١.
الارض الرملية	٣٣٧١٣٤
جملة ذلك	٥٥٢٤٣٥.

أي خمسة الاف فدان وخمساً وسبعين وعشرون ألفاً
ومائتان وخمسون فداناً من الفدان الذي مساحته خمسة الاف
وتسعمائة وتسعة وعشرون متراً مربعاً وهذا القدر يعادل من
الفراسخ المربعة التي كل فرسخ منها يدخل في الدرجة الأرضية خمساً
وعشرين مرة الفا وستمائة وثلاثة وستين فرسخاً مربعاً وثاثي فرسخ
تقريباً والمزروع من ذلك يعادل تسعمائة وخمسة وستين فرسخاً
مربعاً ونصفاً فان أضيف الى ذلك
٣٣٤٨٧ مساحة الخرس وهي

ومساحة الجزائر المتروكة وهي	١٠٩٩
ومساحة ما عدم من الجسور والترع وهي	٨٣٩
ومساحة التلال والخراب وهي	٢٦٨٢
ومساحة الرمال من ارض الزراعة وهي	٦٨١٨
ومساحة ما تلف بسبب البرك وهي	٣٣٠٠
ومساحة ما غطته الرمال وهي	٤٩٠

— ٢٢٠٦ —

كان المجموع

اي ان الذي كان يظن زرعه في عهد الفراعنة الفان ومائتان فرسخ مربع تقريباً منها في الوجه القبلي الف وخمسة فرسخ وفي الوجه البحري سبعمائة فرسخ ومتتفع به من ذلك الان قريب من الفين وخمسة فرسخ مربع والمتروك مع امكان زرعه وانتفاع الاهالي به عند قدرتهم وثروتهم سبعمائة فرسخ مربع وهذا موافق لقول ابن اياس بعد التصليح الذي ذكرنا بذلك انا اذا ضربنا المزارع في وقته وكان قدر ربع ما كان يزرع قدماً في اربعة يحصل سبعة الاف الف فدان ومائتا الف فدان وهو عبارة عن الفين ومائة وخمسة وخمسين فرسخاً مربعاً والفرق بينه وبين ما قدرته الافرنج قليل جداً فبناء على ما ذكرنا يكون ما يزرع في الايام السابقة قريباً من سبعة الاف الف فدان وما كان يزرع مدة الافرنج اقل من النصف وكذا ما كان يزرع مدة الملك الناصر

فقال الشيخ اذا كان ما يزرع لان نحو خمسة الاف الفدان
فيكون قد زاد عما كان يزرع ايام الفرج نحو الثلث وهذا مما
يفيد التقدم بلا شك

فقال صاحبه الانكليزي حصول التقدم بصر امر غير منكر
وارض مصر قابلة لان يزرع بها ضعف ذلك واكثر واذا التفت
الى قطر مصر امكن ان يزرع به كل ما كان يزرع سابقا وان
يرجع ما كان له من الثروة القديمة والذي يغلب على ظني ان في
هذا التقدير خطأ فان قدر الفدان المستعمل في جباية الاموال
لان سبعة عشر قيراطا من الفدان الذي كانت الافرج قدرته يعني
انه ثلث وربع الفدان القديم واذا لاحظنا ذلك وجدنا ان الخمسة
الاف الف هي ثلاثة الاف الف وخمسين وثلاثة وستون الف
فدان ومائة وثلاثون فدانانا فيكون الفرق عن مدة الافرج ثلاثة
واربعة وخمسين الف فدان فقط وهذه نتيجة اعظم من النتيجة
الحاصلة من ابتداء الملك الناصر الى دخول الافرج وهذه مدة
تقرب من اربعين مائة وثلاث وثمانين سنة حصل فيها نقص ثانية
الاف فدان وخمسين وثمانية عشر فدانانا باعنبار المقرر في قوائم
الصيروف ودفاتر الخراج

وعمار قطر مصر ليس الا بتقدم الزراعة فكلما حصل زيادة
الالتفات الى الزراعة واتسعت ارضها زاد تعداد اهالي القطر وكما
حصل اهمال في الزراعة وضاقت ارضها نقص التعداد في الازمان

السابقة كان تعداد الاهالي كثيراً جداً لان الفراعنة كان لهم اعنى
 باامر الزراعة وقد بلغ عدد الاهالي في زمنهم الى مقدار عظيم وان لم
 تتفق المؤرخون على قدر معين فان هيردوط وهو اقدمهم قال انه
 كان بمصر في وقت امزيس نحو عشرين الف مدينة وقرية وفي
 زمن بطليموس وديودور الصقلي اقتصر على ثانية عشر الفاً وجعل
 عدد الاهالي سبعة الاف الف نفس في زمان الفراعنة وفي زمنه
 تقص الى ثلاثة الاف الف وكانت جيوش الفراعنة الف
 الف نفس وعدد العساكر التي ساقها سيزوستريوس من مصر في
 محارباتها ستمائة الف من المشاة واربعة وعشرون الفاً من الخيالة
 خلاف سبعة وعشرين الف عربة حربية ويتوكريت فاق الجميع
 وجعل العدد ثلاثة وثلاثين الفاً في زمن بطليموس فيلدولغوس
 وغيرهم قدر ان تعداد المدن ثلاثة عشر الفاً فقط ومن قول يوسف
 الاسرائيلي يؤخذ انه لم يتعد تعداد الاهالي في قطر مصر عن سبعة
 الاف الف خلاف الاسكندرية التي جعل عدد اهاليها ستمائة
 الف وقال انه كان في مدينة بيلوز عساكر للمحافظة على القطر من
 جهات الشرق يبلغ عددهم مائتين وخمسين الفاً
 ومؤرخو هذا الوقت لم يكتفوا في عدد المصريين ببيانه من
 سبقهم من المؤرخين الذين ذكرناهم بل زادوا عليهم بما لا يتصوره
 العقل فنهم من قال ان عدد الاهالي سبعة عشر الف الف و منهم
 من قال سبعة وعشرون الف الف و منهم من قال اربعون الف

الف و مبالغة الجميع ظاهرة لانه لا يتصور في بلدة نسبتها الى
 فرنسا كنسبة جزء الى اثني عشر جزءاً ان يعيش بها هذا القدر
 و نحن و ان كنا لا ننكر كثرة اهالي مصر مدة الفراعنة لكن
 لا يمكننا ان نقول انهم يزيدون عن سبعة الاف الف فان سعة
 ارض القطر حسب ما قدره الاقدمون الفان و مائتا فرسخ وهذا
 موافق ايضاً لما هو الان ولتقدير الارض بعد رسمهم سطح الارض
 جميعه ومن القدر هذا مدينة طيبة ومنفيس وباقى المدن وهو مع
 وروده عن اقدم المؤرخين الذين ساحوا ارض مصر في زمان
 يقرب من الزمن الذي زال فيه ملك اهلها و انحط فيه مقدارها
 مناسب لسعة ارضاها الزراعية التي بها حياتهم وما قاله بعض
 المؤرخين يمكن ان نبرهن عليه ولا مانع من انه كان الموجود بها
 ثانية الاف مدينة و قرية وكفر كما قال بعضهم لا كما قال ديودور
 من انه كان بها ثانية عشر الف مدينة لأن في الجزء الاخير من
 البطالسة كان عدد القرى والكافور والمدن ثلاثة الاف وكانت
 ارض الزراعة اقل من نصف ما كان يزرع سابقاً ولا مانع من
 ان عدد البلاد كان قدر ذلك مرتين ايام كانت القوانين العدلية
 القديمة هي المتسلطة و ذلك قبل دخول الاغرب من العجم واليونان
 وغيرهم هذا القطر و خراب ارضه و هدم بنائه

فقال الشيخ اني سمعت ان مدينة طيبة كانت اكبر مدن
 الدنيا عاراً و انها كان لها مائة باب كل باب يسع مائتي فارس

فإذا كان كذلك فلا شك أنها تشغّل سعة من الأرض عظيمة
وأنها كانت مسكونة بخلق يزيدون عن ساكني القاهرة الآن بمرار
كثيرة

قال الانكليزي ولوان ايدي الزمان وصروف المحدثان
غيرت معالمها ودرست رسومها واعفت مبانها واختت على مفاخرها
الآن ما بقي الآن من اثارها دال على ان شكل المدينة في الزمن
القديم كان عبارة عن اربعة اضلاع عظيمة الامتداد وان احدى
الزوايا تنتهي الى الحل المعروف الان بكفر جرجس والثانية الى
الشاطئ الايمن للنيل والثالثة الى شاطئه الايسروتسى لأن تل الايسر
عند تل قبور الملوك والزاوية الرابعة الى المعبد او البرني الصغيرة
الموجودة على الميدان الكبير فكان بناء على ذلك يمتد الضلع البحري
بالقرية المعروفة بالتحناني وبجزيرة الورزية وينتهي قريب القرية
والضلع القبلي كان يمتد في قربه مائة عمود قاطعاً لجزيرة الجديدة
وخراب الكربك كان يوجد على بعد سبعمائة متر من الضلع الجنوبي
ومساحة الأرض المحددة بهذه الحدود تقارب من سبعة الاف
فدان مصرية

وطول اعظم قطر في هذه الاربعة اضلاع احد عشر الف
متر ومحيطه ستة وعشرون الف متر فإذا استنزل من ذلك مساحة
مجرى النهر وهي خمسائة فدان تقريباً مع مساحة الميدان الكبير
وخراب السراي الملكية الموجودة في جنوب الأقصر على بعد ثلاثة

الاف متر كانباقي ما كان مسكونا من هذه المدينة في الازمان
السابقة وقدره خمسة عشر الف اورور او خمسة الاف فدان مصرية
كبيرة

وإذا قارنا تخت مصر القديم بختها الان وهو القاهرة فلا يكون
أهل طيبة في الزمن السالف اقل من سبعمائة الف نفس لان
محيط القاهرة ثلاثة عشر الف متر وخمسمائة متر بدون اعتبار
الاعوجاج الداخل والخارج وباعتباره يبلغ محطيها اربعة وعشرين
الف متر ومساحتها الفا وخمسمائة وثمانين فدانا تقريباً وهو ربع
مساحة ارض باريز وعدد اهلها بالتفصيات التي صارت مدة الافرنج
يقرب من مائتين وستين الفا وذلك سنة الف وسبعين وثمان
وتسعين ميلادية فعلى ذلك يكون قد خص الفدان الواحد مائة
واربعة وستون شخصاً بادخال ارض المساجد والخانات والميادين
وغيرها وقياسا على ذلك تكون اهل طيبة ثمانمائة وعشرين الف
نفس او سبعمائة الف بالأقل وما تقدم يعلم ان اهل القطر المصري
كانوا كثيرين ولذلك كانت اشجار الثروة والرفاهية باسقة
الاصول مورقة الافنان وكانت ارضها لما استملت عليه من البر
والاحسان هي المشار إليها باطراف البنان وكانت ارباب الحاجات
ما بين قاصدها وآلات وكانت وفود التجار يأتونها ليلاً ونهاراً
ومتراث العلوم تجني من مدارسها بواسطة ما بها من العلماء واستمر
ذلك اياماً مديدة وأعواماً عديدة حتى دخلها الفرس وبددوا شملها

فحلىت باهلهما المصائب واحاط بهم الظلم من كل جانب فاخذل نظام
 احوالهم القدية وذلت علماؤهم واحتقروا فرجع بسعدهم التهوى
 وفارقت زراعهم ارضها ومن كثرة الفتن الشائرة بين المصريين
 والفرس تلف اكثير الاثار الشهيرة وهدمت المباني الفاخرة ثم استولى
 على الاقليم البطالسة فأخذوا في رد كل شيء لاصله لكن لم يتم
 ذلك فانه ان كان يحصل من بعضهم ما يوجب التقدم يجيء
 الوارث فيفعل ما يوجب التاخر فبقيت حالة التاخر الى ان
 استولت الروم وضمت مصر الى ملك القياصرة وجعلت طعمه لرومته
 فنهبوا اموالها وغيروا احوالها ثم وقع الفشل بين الرومانين وبعضهم
 فزاد الخطاط قدر مصر وذهب ما يبقى من فضلها وما زال اهلها
 كذلك يتناقصون الى ان تولى عليها عمرو ابن العاص من قبل
 الخليفة عمر بن الخطاب فكان تعداد اهلها حينئذ لا يزيد عن اربعة
 الاف الف وستمائة وثلاثين الف نفس بناء على ما ذكره المؤرخون
 فقد نقل ابو الحسن عن ابن خطير انه ضرب على اهل مصر
 خمسين الف الف يدفعونها على ثلاثة اقساط متساوية اذا كان
 النيل وافيا وبلغ حده المعلوم اذا نقص عن حده يتقص من
 المضروب عليهم على حسابه ومن يرضى من الروم وغيرهم بالشروط
 المعقودة مع اهل مصر يعامل بما يعاملون به ومن يأبى من الاهالي
 دفعها اسقطوه من العدد فلو امكن معرفة ما دفعته المصريون
 وما ربط على كل نفر لم يصعب معرفة عدد الاهالي ويتوصل

لذلك ما ذكره مؤرخو العرب في هذا الخصوص
 فمن قول ابن عبد الحكم يعلم ان في مدة الروم كانت الأرض
 منقسمة الى اربعة وعشرين قيراطاً وكان المجعول على الفدان من
 الخراج ارباب قسم ووبيتان من الشعير
 وهذا غير فردة الرؤس فانها كانت تدفع نقداً وان عمرو بن
 العاص ابقى الخراج على ما كان عليه في مدة الروم
 وذكر القدوري انه جعل على كل غني في كل سنة ثانية
 واربعين درهماً وعلى كل اجير اثنى عشر درهماً وانها كانت مضروبة
 على اليهود والنصارى ما عدا عبدة الاوثان من العرب دون
 المرتدين والنساء والاطفال وذوي العاهات والفقراء والمساكين
 ومن يدخل في دين الاسلام وعلى هذا كانت الجزية اخذة في النقص
 بزيادة من يتدين بدین الاسلام الى ان اعطيت التزاماً في زمان
 القاضي الفاضل اي سنة ٨٧٥هـ وكان مقدارها اذ ذاك واحداً
 وثلاثين الف دينار ثم نقصت بعد ذلك كثيراً الى ان صارت
 سنة ٨١٠ أحد عشر الف دينار واربعمائة
 مع انها كانت في زمن عمرو بن العاص اثنى عشر الف الف
 دينار وفي زمن الموقوس عشرين الف الف
 وفي زمان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حصل
 عبد الله بن سعيد عامله من مصر اربعة عشر الف الف
 وفي زمان المقرئي نقصت نقصاً كلياً فكانت تدفع منفردة تارة

وتضم الى الخراج اخرى وكانت في زمن عمرو بن العاص لا تؤخذ
 الا من بلغ الحلم وكانت النساء والاطفال معافاة منها وكان قدرها
 اربعين درها من الفضة او عشرة دنانير خلاف اردب من البر
 ويؤخذ من قول يزيد وابي الحسن ان الذي كان مضروباً على
 كل رجل من القبط ديناران ولا بد ان هذا كان الحد الوسط
 يعني ان البعض كان مضروباً عليه اربعة والبعض ثلاثة والبعض
 اثنان والبعض اقل كما صار ذلك في توزيع ما ضربته الافرنج على
 اهالي القاهرة سنة ١٧٩٨ ميلادية فقد ضربوا عليهم تسعمائة ألف
 حصة جعلوها منها تسعة الاف على الاغنياء قيمة الحصة اربعمائة
 واربعون ميدياً وثمانين عشر الف حصة على من يليهم في الثروة
 قيمة الواحدة مائتان وعشرون ميدياً وثلاثة وستون الف حصة
 على من يليهم كل حصة قيمتها مائة ميدي وعشرة ونسمة بين
 هذه الحصص كالنسبة التي كانت في زمن القدورى
 والذي يدل على ان الدینارين الحد الوسط ما نقله المقرىزى
 عن حسين بن شالى في الكلام على القرن الاول من الهجرة من
 ان اهل اسكندرية كانوا ستمائة الف خلاف النساء والاطفال
 حين استيلاء عمرو بن العاص عليها وانه ضرب على كل رجل
 من اهل القطر دينارين الا اهل الاسكندرية فانهم دفعوا الفردة
 زيادة عن الخراج لانها اخذت عنوة فمن جميع ما نقدم يفهم ان
 الخمسين الف الف التي ضربت على اهالي القطر هي دراهم

ولا بد لنا الان من معرفة قيمة الدينار لانه تغير بتغير الازمان
فانه كان مدة الحماكم بامرا الله يساوي اربعة وثلاثين درها وبعده
بزمن صار يساوي واحداً وثلاثين ثم ستة وثلاثين ثم ثانية عشر
درها وكان الدينار المصري يساوي خمسة عشر درها ونصفا ثم
صار يساوي ثلاثة عشر درها ونصفا وفي الصدر الأول كان
الغالب في المعاملة الدينار ثم صارت الغلبة للدرهم ثم الميدي فلو
فرض ان قيمة الدينار كانت خمسة عشر درها لكان مبلغ الخمسين
الف الف درهم عبارة عن ثلاثة الاف الدينار وثلاثمائة وثلاثة
وثلاثين الف دينار فاذا اخذنا نصف ذلك كان عدد الرجال
الذين كانوا يدفعون الجزية اي الف نفس وستمائة وستة
وستون الف نفس وقد يمكن معرفة عدد الاطفال وغيرهم من
جدول وضعوه لامة مركبة من عشرة الاف الف نفس مثلا ومن
هذا الجدول يعلم ان بعد احدى عشرة سنة ونصف لا يبقى الا
ثلاثة اربعاء اصل ونصف سدس قيراط

وبعد ست عشرة سنة يكون الباقى سبة عشر قيراطا وثلث
سدس قيراط

وبعد عشرين سنة يكون الباقى اربعة عشر قيراطا ونصفا
وبعد خمس وعشرين سنة يكون الباقى اثنى عشر قيراطا وثلاثة
وبعد ثلاثين سنة يكون الباقى عشرة قرارات ونصفا

وبعد سبع وثلاثين سنة يكون الباقى ثانية قراريط ونصف
سدس القيراط

وبعد ثلاث واربعين سنة ونصف يكون الباقى ستة قراريط
وبعد خمس واربعين يكون الباقى خمسة قراريط وثلثي
قيراط

وبعد ثمان واربعين سنة يكون الباقى أربعة قراريط الا
سدس سدس القيراط

وبعد ٥٥ سنة يكون الباقى أربعة قراريط الا سدس سدس
القيراط

وبعد خمس وخمسين سنة ونصف يكون الباقى ثلاثة قراريط
وبعد ثمان وخمسين سنة ونصف يكون الباقى قيراطين وثلثا
وبعد ستين سنة ونصف يكون الباقى قيراطين وربع سدس
قيراط

فإذا تقرر ذلك علمنا عدد من وصل من الأطفال إلى سن
الحادي عشرة سنة من أمة عددها عشرة آلاف الف بطرح الباقى
بعد الحادى عشرة وهو ثلاثة أرباع ثقريبا من الأصل الذي هو
عشرة آلاف الف فيكون الباقى هو عدد من بلغوا في العمر الحادى
عشرة سنة وكذلك لو أردنا معرفة من بلغ عمره عشرين سنة إلى
خمس وعشرين نسقط المقدار المقابل للخمس والعشرين وهو الإثنى
عشرين قيراطا وثلث قيراط من المقابل إلى العشرين وهو أربعة عشر

قيراطاً ونصف قيراطاً فيكون التفاضل ويكون الباقى قيراطين
وسدس قيراط وهو تعداد من بلغ العمر المذكور ولا بد من
الملاحظة في قسمة العشرة لاف الف الى اربعة وعشرين قيراطاً
ولاجل استعمال هذا الجدول في معرفة عدد اهل مصر زمن عمرو
بن العاص نقول حيث كانت الاطفال معافة من الجزية فيخرج
العدد المقابل لسن الاحدى عشرة سنة وهو خمسة قراريط وثلثا
قيراط ونصف سدس قيراط فيكون ذلك بالنسبة للعشرة لاف
الف الفي الف وثلاثمائة وأثنين وسبعين الفا وثمانمائة وأثنين
واربعين والباقي وهو سبعة الاف الف وستمائة وسبعة وعشرون
الفا ومائة واحد وخمسون هو عدد الرجال والنساء معاً فعلى
تقدير ان عدد النساء مثل عدد الرجال يكون نصف الباقى وهو
ثلاثة الاف الف وثمانمائة وثلاثة عشر الفا وخمسمائة وتسعة وتسعون
هو عدد الذكور ثم تنسب نسبة بان نقول نسبة عدد الرجال الى
العشرة لاف الف كنسبة العدد الذي وجدهناه من حساب الجزية
وهو الف الف وستمائة وستون الفا الى العدد المطلوب ايجاده
وبالحساب تجده انه اربعة الاف الف وثمانمائة وتسعة وستون الفا
فيضافة ثمن هذا القدر لزيادة النساء عن الرجال وباضافة جزء
قليل في مقابلة القراء والمساكين يعلم ان عدد الاهالي اربعة
الف الف وستمائة وثلاثون الفا تقريباً

الاسلام مصر نقص تقاصاً كثيراً عن المدة القديمة خصوصاً في المدة
 الاخيرة من ا أيام المتصر بالله فان في وقته تصرفت ايدي العدوان
 وزادت اسباب الطغيان وانتهـ الحـكمـ اـيرـادـ الحـكـومـةـ وـاهـلتـ
 السياسـةـ بـتـولـيـ غـيرـ المـسـتـحقـ عـلـيـهاـ لـاحـفـالـ وـالـدـةـ الـخـلـيفـةـ وـقـعـدـ
 بـطـائـفـةـ الـعـبـيدـ فـاـشـتـعـلـتـ نـيـرـانـ الـفـتـنـ اـشـتـعـالـاـ اـضـرـبـاـهـالـيـ القـطـرـ وـطـمـتـ
 الـجـدـاوـلـ وـالـخـلـجـانـ وـعـجـزـتـ الـاهـالـيـ عـنـ زـرـاعـةـ اـرـضـهـ لـانـهـ كـانـ اـذـاـ
 عـلـاـ النـيـلـ غـرـقـتـ وـاـذـاـ لمـ يـعـلـ شـرـقـتـ لـعـدـمـ اـجـراءـ الـطـرـيقـ الـلـازـمـ
 لـلـرـىـ وـتـصـرـيفـ الـمـيـاهـ فـاـدـىـ ذـلـكـ اـلـىـ صـيـرـورـةـ كـثـيرـ مـنـ الـارـضـ
 مـنـاقـعـ مـاءـ وـخـربـ كـثـيرـ مـنـ الجـهـاتـ الـبـحـرـيـةـ وـاسـتـمرـتـ هـذـهـ الـاحـوالـ
 بـلـ زـادـتـ زـيـادـةـ فـاحـشـةـ فـيـ زـمـنـ الـبـاشـاـوـاتـ الـذـيـنـ كـانـواـ مـنـدـوـيـنـ
 لـسـيـاسـةـ الـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ فـاـنـ مـنـ أـنـيـ مـنـهـ كـانـ لـاـ يـشـتـغلـ فـيـ السـنـةـ
 الـتـيـ يـقـيمـهـاـ الـأـجـمـعـ الـمـالـ لـنـفـسـهـ صـارـفـاـ اوـقـاتـهـ فـيـ التـمـعـ وـالـلـذـاتـ
 جـاءـ عـلـاـ زـمـامـ الـحـكـومـةـ بـيـدـ مـنـ يـوـافـقـهـ عـلـىـ اـغـرـاضـهـ مـنـ الـبـيـكـوـاتـ
 وـبـهـذـاـ السـبـبـ كـانـ الفـشـلـ مـسـتـدـيـاـ وـعـصـاـ الـخـلـافـ بـيـنـهـمـ مشـقـوـقةـ
 وـكـثـيرـاـ ماـ يـكـونـ السـبـبـ فـيـ ذـلـكـ الـبـاشـاـ نـفـسـهـ الـذـيـ هوـ مـنـوطـ
 بـادـارـةـ الـأـمـوـرـ فـنـشـاءـ مـنـ هـذـاـ مـضـارـ اـضـعـافـ مـاـ صـارـ مـنـ قـبـلـ
 وـامـتدـتـ اـيـدـيـ الـجـنـدـ وـالـعـربـ لـنـهـبـ وـالـسـلـبـ فـيـ الجـهـاتـ الـبـحـرـيـةـ
 وـالـقـبـيلـةـ فـلـمـ يـنـجـ منـ شـرـهـ الاـ مـنـ دـخـلـ فـيـ حـىـ قـبـيلـةـ مـنـ الـعـربـ
 فـحـصـلـ مـنـ هـذـاـ نـقـصـ كـثـيرـ وـبـداـ بـالـقـطـرـ خـلـلـ كـبـيرـ وـمـاـ يـؤـيدـ ذـلـكـ
 قـوـلـ الـعـلـامـ الـمـقـرـيـزـيـ اـنـهـ فـيـ زـمـنـ الـمـتـصـرـ بـالـلـهـ كـانـ اـيـرـادـ مـصـرـ مـنـ

جوالي وخارج الف دينار في مبدأ أمره وبعد مدة من حكمه
 وصل الى ثمانمائة ألف دينار ثم نقص فوصل الى خمسائة ألف
 دينار الى ان عجز عن تأدية مرتبات الجنود فاين هذاما ضربه عمرو
 بن العاص وعبد الله بن سعيد وما كان في زمن الخليفة المامون
 والخليفة المعتصم فانه بلغ في ايامها اربعه الااف الف ومائتين وسبعين
 وخمسين ألف دينار اذا بلغ النيل حد الوفاء وهو سبعة عشر
 ذراعا وعشرة قراريط وكان خراجها ايام الحاكم الفي الف دينار
 وثمانمائة ألف دينار ولما تولى بدر الجمالي وكانت ولاته سنة ٤٨٥
 بلغ ثلاثة الااف ألف ومائة ألف دينار وفي زمن ابنه الافضل
 بلغت خمسة الااف الف دينار ولم ينقص عن هذا القدر
 زمن صلاح الدين وكانت مرتبات جنده ثلاثة الااف الف وستمائة
 وسبعين الفا وخمسائة دينار ومرتب المتقاعدين الف الف دينار
 وفي زمن الملك الناصر بلغ الخراج تسعة الااف الف دينار وخمسائة
 واربعة وثمانين الف دينار ومائتين واربعة وستين ديناراً بالدينار
 الحبسني الذي قيمته ثلاثة عشر درهما منها ستة الااف الف ومائتان
 وثمانية وعشرون الفا واربعمائة وخمسة واربعون ديناراً تجي من
 الجهات البحريه وثلاثة الااف الف وثلاثمائة وخمسة وخمسون الفا
 وثمانمائة من الجهات القبلية

فقال الانكليزي يا حضرة الشيخ ان تعداد اهالي مصر وقت
 دخول الافرنج ارضها كان الفي الف وستمائة وثمانية عشر الف

نفس وتسعمائة وخمسين نفساً وكان عدد اهالي كل مدينة هكذا

عدد

اهل رشيد	١٥٠٠٠
اهل دمياط	٢٠٠٠٠
اهل محلة الكبرى	١٧٠٠٠
اهل سكندرية	١٥٠٠٠
اهل اسيوط	١٣٠٠٠
اهل قنا	٠٥٠٠٠
اهل جرجا	٠٧٠٠٠
اهل بني سويف	٠٥٠٠٠
اهل قليوب	٠٤٠٠٠
اهل بلبيس	٠٣٠٠٠
اهل المنصورة	٠٧٠٠٠
اهل طنطا ومنوف	١٥٥٠٠
اهل المنيا وملوي	١١٠٠٠

فعلي هذا تكون اهالي المدن مائة وسبعة واربعين الفاً وسبعمائة وخمسين نفساً واما اهل القاهرة نفسها فكانوا مائتين وثلاثة وستين الفاً وسبعمائة نفس وكان اهل القرى والكافور والعزب والنزلات الذي الف وسبعة وسبعين الف نفس وخمسائة فيكون اهل القطر

جميعهم الفي الف نفس وستمائة وثمانية عشر الف نفس وتسعمائة
وخمسين وذلك اقبل ما كان زمن دخول عمرو بن العاص بالف
الف واحد عشر الفا وخمسين نفساً

وكان عدد قرى الوجه القبلي وكفوره وعزبه خمسائة وخمسة
عشر وعدد قرى الوجه البحري الف وسبعمائة وتسعة وسبعين
فسكون جميع البلاد بالوجه البحري والقبلي الفين ومائتين واربعة
وسبعين على مقتضى ما وجد في دفاتر الخراج وأما على مقتضى ما
وجد على الخريطة فهو ثلاثة آلاف وستمائة والفرق بينها أنها حصل
من كونهم في بعض الجهات يعدون عدة كفور بلدة واحدة
فيقيد في الدفاتر كذلك ويقرب من هذا العدد ما كان في زمن
الملك الناصر لانه كان الفين ومائتين وتسعة وخمسين بلداً منها
خمسائة وأشترأ عشرة بلدة في الوجه القبلي في ثمان مديريات وهي

بلاد

٠٥٠ بلاد مديرية شرق اطفيح

٠٩٧ بلاد مديرية الفيوم

١٥٦ بلاد مديرية البهنسا

١٣٣ بلاد مديرية الاشمونيين

بلاد مديرية منفلوط

٠٣٣ بلاد مديرية اسيوط

٢٦. بلاد مديرية أخيم
٤٨. بلاد مديرية فوص

والف وسعمائة وسبعين واربعون في الوجه الجري في ثلاثة

عشر مديرية

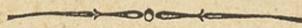
بلاد

- | | |
|-----|--------------------------|
| ٠٣٠ | ضواحي القاهرة |
| ٥٩ | بلاد مديرية قليوب |
| ٣٨٠ | بلاد مديرية الشرقية |
| ٢١٧ | بلاد مديرية الدقهلية |
| ٠١٣ | بلاد مديرية دمياط |
| ٤٧١ | بلاد مديرية الغربية |
| ١٣٣ | بلاد مديرية منوف |
| ٠٤٦ | بلاد مديرية آيا وبني نصر |
| ٢٢٣ | بلاد مديرية البحيرة |
| ٠٣٦ | بلاد مديرية فوه |
| ٠٠٦ | بلاد مديرية نستروية |
| ٠٠٨ | بلاد مديرية سكenderية |
| ٣٥٨ | بلاد مديرية البحيرة |

فن ذلك يعلم ان اهالي القطر في القرن العاشر من الهجرة

كانوا قریباً من الف وخمسمائة ألف وهو قريب من عددهم
مدة الألفين وبناء على ذلك يمكن مقارنة الأزمان القديمة
بالأزمان التي تلتها ومعرفة تقدم أمة مصرية كل زمن
وتاخرها

والكلام على مصر كثير فلنقتصر منه اذن على ما ذكرنا
وكان قد دعا الانكليزي بعض احتجته ينزله نفسه في جناته



المسامرة الثامنة والثانون

الفلاحة والزراعة

فقال للشيخ قد دعانا أحد المحبين لأن نتروح في روضة له
 خارج المدينة بمسافة يسيرة واني مستصوب قضاء بقية هذا اليوم
 عنده في تلك الروضة ولنغمتم بهذه الطريقة روؤية جنينة فرنسا
 وسرائرها ونعم نظرنا بروؤية بعض ضواحي المدينة وطيب هواء هذا
 اليوم وصحو السماء ولطافة شمسه ولتحقق هذا اليوم باسمه وصاحب
 المنزل من الذين اجتمعوا عليهم بالأمس وهو من اعضاء الجمعية
 المشرقية ورئيس مجلس الزراعة وَوْلِي من عهد قريب نظارة الجفالك
 المعه لتجربة اخبار النباتات الغربية وطرق نجحها في ارض فرنسا
 وله ممارسة تامة في امر الفلاحة وتتنوع طرقها في جهات مختلفة وله
 في فن الزراعة كتب مفيدة واختراعات جديدة واقوى باعث لي

على اجابته كون بيته في نفس الجفالك فنطلع هناك على تخبراته
وظرفه التي يستعملها مع استنشاقنا الهواء النقي والنظر لضواحي هذه
المدينة وقد ارسلت يعقوب ليجهز لنا ما يلزم من الاكل وامرته بان
يحضر العربة بعد ذلك

قال الشيخ هذا ما قام بتفكيرى فكانك عالم بسري فما تم
كلامهم الا ويعقوب قد حضر قال للخواجا ان هناك مسافراً
يسئل عنك ققام الانكليزى متوجهها اليه وغاب قريباً من ساعة ثم
رجع واخذ بيده الشيخ وتبعها ولده فقال له الشيخ من هذا قال هذا
صاحبنا الذى اجتمعنا به في مرسيليا وقد حضر منذ يومين بالمدينة
ولأن جاء الى منزلنا يسلم علينا فاخبرته بما عزمنا عليه فطلب ان
يكون معنا فقال الشيخ قد اصاب فانه من خير الاحباب وتم به
انسنا ثم ساروا حتى دخلوا منزلهم وكان المسافر قد سبقهم اليه فقام
لهم وسلموا عليه ثم حضر الاكل فاكلوا وشربوا وكانت العربات
حاضرة فركب الشيخ وصاحبه والمسافر واحدة ويعقوب وولد
الشيخ اخرى وساروا الى ان وصلوا سكة الحديد فنزلوا جميعاً في
عربة واحدة واخذ الحديث بينهم يدور فيما للدنيا من الاحوال
والامور الى ان وقفوا ببور بعد ربع ساعة فنزلوا بالقرب من
محطة وجدوا صاحبهم الذي دعاهم عندها يتظرهم فسلم على الشيخ
وولده وعلى صاحبيه ثم امر بتقديم العربات فركبوها وبعد بعض
دقائق نزلوا قريباً من قصر مشيد عالي البناء يحيط بشلالات جهات

منه بساتين فيها من جميع انواع الاشجار المتوجة باحسن الازهار
ووجدوا بباب التصر صاحبة المنزل وولدها ومعها بعض النساء
اترابها فلما اقبل زوجها بالشيخ ومن معه قابلتهم بالتحية واجرت ما
يلزم كعادتهم وبعد ذلك اخذ بيدها حضرة الخواجا الانكليزي
ودخلوا الى ديوان بمحض المنظر فيه احسن انواع الفرش فمكثوا به
برهة ثم قال الانكليزي لصاحب البيت انا جئنا هنا لنرى سراي
فرسائي وما بارض حضرتكم ليطلع حضرة الشيخ على محسن مبتدعاتكم
في فن الزراعة

قال ذلك قصدي ولكن ارى الباقي من النهار قليلا والذى
اراه ان تقيموا عندنا الليلة ليتم لنا الانس بكم وفي غد نذهب جميعا
واطلعكم على ما اعلمه من امر هذه السراية منذ انشئت الى الان
وما مر عليها من الاحوال

قال الانكليزي الرأى ما رأيت ولكن فيم نضي بقية هذا
اليوم فقال بالانس بمحض الاستاذ والاطلاع على ارض التجربة
وانواع آلات الفلاحة القديمة والجديدة

قال الخواجا نترجمكم السماح في المبيت هذه المرة فان عندي
بعض اعذار ولا بد لي من العود

قالت صاحبة المنزل انا ممنونون لك حيث احللت الانس
بساحتنا وشرفتنا بمحضه الشيخ وحياتكم ان تفضلتم بالمبيت عندنا هذه
الليلة تم انسنا وانبسطت بكم نفوسنا فشكر الشيخ فضلها ثم دعا لها

وقال الأيام بينما والعود احمد ثم انقعوا على المحضور في يوم غير
 هذا وقاموا لينظروا محل التجارب فلما وصلوا اليه وجدوه مكاناً
 متسعاً يبلغ نحو ثمانين فداناً مقسوماً الى اقسام معتدلة بطرقات
 كذلك حسب الاتظام طولاً وعرضًا كل قسم مربع محاط باشجار
 في بعضها انواع الخضراءات وفي الآخر انواع من نبات الاقوات
 كل نوع في حوض ويعرف نبات كل جهة من اوراق ملصوقة
 في قطع من الخشب قائمة في زوايا الحيضران مكتوب فيها قدر
 البذر وعمره وسعة الارض التي هو بها والبلد التي ورد منه ووقت
 بذرها ومدة مكثه وهكذا فكان هناك قسم مصر الاحمر والابيض
 وقمح بلاد العرب وقمح المسكوب وببلاد اخرى كل صنف في حوضه
 في غاية الاتظام والاحكام بحيث تراها متساوية خصراً نصراً اعوادها
 متساوٍ ما بينها من بعد قوية غليظة الساق طويلة الاوراق فيها
 شدة خصراً تدل على قوة ارضاها وكان صاحب الارض يقف
 عند كل حوض ويبين لهم حسن نباته وصفاته وفوائده والبلاد
 المحببة منها وقدر غلتته وقدر الزيادة عن البذر ويبين نسبة ذلك
 المحصول لغيره من جنسه في البلاد التي يزرع فيها والاسباب التي
 نجح بها وهكذا كل صنف الى ان وصلوا الى قصر صغير في باب
 البستان فجلسوا هناك قليلاً ليستريحوا ثم دخلوا البستان فرأوا فيه
 اصناف الازهار وانواع الفواكه والاشجار وغير ذلك مما يسر العقول
 وجميعها محلوبة من بلاد متنوعة وكانوا كلما وصلوا شجرة غريبة بين

لهم ما يتعلّق بها إلى أن تمت نزهتهم ثم سار بهم إلى المكان الذي به
 آلات الزراعة مثل المحاريث ذات العجل والآلة البذر والمحصد
 والدرس فكانت أنواعاً منها القديم المتروك باختراع أحسن منه
 ومنها المستعمل من مدة وعلمت تجربته ومنها ما هو جار تجربته
 وجميعها مخالف لما يعلمه الشيخ في مصر ثم عادوا إلى الفصر وجلسوا
 فيه ينظرون من شبابيكه إلى البستان وما حوله فرأوا الغابات
 على أحسن شكل وصورة الأرض في غاية البهجة وأنواع المزارع تسر
 الخاطر وتروع الناظر فعجب الشيخ كل العجب واستحسن نظام ما
 رأى وأثنى على الخواجا كل الثناء ومدحه كل المدح على اهتمامه
 بهذا الشأن وصرف أفكاره في تطبيق قواعد علم الفلاحة النظرية
 على العمل واجراءها بالفعل وقال له إن ثواب اعمال الإنسان
 على قدر ما يتيح للخلق من الفائدة خصوصاً في الفلاحة فإنه أكثر
 الفنون فائدة وأعمها للناس فنعا من يحسن طرقه ويعمم نفعه ويكثر
 فائدته يكون ثوابه أكثر فاي أمة تتبع ضوء مصباحه وسلكت
 سبيل نجاحه عظم ثوابها واشتهر بين الناس فضلها وأما الام التي
 لا ارض لها تزرعها كعرب البدية وكذا التي لم تستغل به لجهلها
 بأمره فتلهمها كمثل الحيوانات العجم سواء بسواء وهذا الفتن اقدم
 الفنون جميعاً وبه استغلت الام قبل الطوفان وعندم اخذ من
 بعدهم يؤيد ذلك ما في الكتب المقدسة ان نبي الله نوح عليه
 السلام زرع بعد خروجه من السفينة ومنه تعلم ذريته حتى

انتشر في كثير من بقاع الارض بعد تبليل الاسن وتفرق اولاده
وكذلك كان معروفا عند قدماء المصريين وغيرهم كاهل الهند
والصين وبابل وما يدل على فضلته معرفة الانبياء له كنبي الله
اسحاق عليه السلام في ارض فلسطين ونبي الله ابراهيم وكيعقوب
واولاده عليهم السلام لانه ارسلهم الى مصر لشراء غلال في زمن
اجدبته فيه ارضهم فحسبك فضلا بغير اشتغلت به الانبياء ولعمري
ان فضلته لا يعادل ونفعه لا يماثل وهو اصل التقدم وكل الصنائع

فرع له .

فقال له صاحب البستان هذا من حسن اخلاقكم ولطف
طبا عكم ثم قال له الشيخ وهل يحتاج في معرفة فن الفلاحة الى كثير
من الاعمال ويلزمه كثير من الممارسة

فقال ليس من الفنون يحتاج الى ما يحتاج اليه والمتفكرون
فيه الممارس له لا يعرف كيف وصل الاقدمون الى معرفته وطرقه
المتشعبة المتنوعة سينابات الاقوات واستنباته والذي يزيد المرأة حيرة
اهتداؤهم الى حبة القمح من بين سائر انواع الحبوب التي تزرع
وكان بعض الناس يزعم ان جميع الحبوب المغذية كانت تشتمل
على خواص وصفات وتكرار زرعها هو الذي صيرها اقوانا وهذا
القول لا عبرة به فان تقليل الصنف بالزرع وان غير بعض
صفاته لا يغير حقيقته بالكلية فالم الصحيح ان جميع الحبوب على اختلاف
اجناسها من ابداء الامر بالهيئة التي نراها عليها الان وقد شوهد في

جهات كثيرة جميع انواع الحبوب يخرج من الارض بطبعه من غير استنبات وعدم مشاهدتها في بعض الجهات ربما كان من عدم الدقة في البحث او غير ذلك وعلى كل حال ففن الزراعة انا وصل الى اليونان من المصريين ثم منهم الى الرومانين ومن ذلك يعلم ان فن الفلاحة لم يدخل اوروبا الا بعد وجوده بافريقيا وآسيا بزمن طويل ولذلك كانت سكان اوروبا في تلك الحقب تسكن الاجام والفلوات وتسبح كالحيوانات في الغابات للحصول على الاقوات فبالضرورة كانت متوجحة خشنة مع ان كثيراً من جهات افريقيا وآسيا في تلك الحقب كان محفوفاً بالنعم مشهور بالتقدم

ولما ما يوجد في عصرنا هذا من المعرفة بالزراعة فجزء من فنها والذي يدل على ذلك انه لما تفرق الناس وتبليلت الاسن بعد الطوفان وانتشروا في بقاع الارض فمنهم من وجد نفسه بارض سهلة الزرع كثيرة الخصوبة فاستعملوا فيها ما تعلموه من اصولهم ومنهم من وجد نفسه بارض ليست كذلك فلم يجدوا سبيلاً الى استعمال ما يعلمونه من فن الفلاحة فمن صادف الارض السهلة زرع وتعيش ومن لم يصادفها هرع الى الاجام وتوحش وربما صادف بعضهم جهات فيها جميع انواع الحيوانات فاخترع طرقاً لتكتيرها ليقتباتها بها وعلى مقتضى كثرة ما يلزم لفن الفلاحة يوحذ ان من استعملها بقى مدة يستعملها بحالة بسيطة فلم يكن عندهم محاريث ولا كانوا

يستعملون الحيوان في الحرف بل غاية الامر انهم كانوا يستعملون
قوى انفسهم كما شوهد ذلك في كثير من بقاع الارض فانه لما
استكشفت امريكا كان اهلها يستعملون قواهم فكانوا يسكنون بآيديهم
الله ينكتون بها الارض ويقطون بها البذر تسى في بلاد مصر
بالمعزة وللان جهات كثيرة لا تعرف غير الطرق القديمة فسكن
جزيرة فرنسا الجديدة يحرثون ارضهم بالآلة جميعها من الخشب
 وجهات اخرى ليس عندهم غير المعزقة وجهات لا يستعملون في
شق الارض غير نوع الفوس وفي جهات من افريقيا على شواطئي
نهر جابني قوم اذا ارادوا حرف الارض اجتمعوا اربعة اربعه او
خمسة خمسة وشقواها بسيوفهم وكان سكان الکانادا في الزمن السابق
يشقون الارض بقرون الحيوانات وفي المدة التي كانت اکثر الام
غارقة في بحار الجهل كانت مصر منيعة البال ممتعة بالخيرات فان
الفلاحة كانت عندهم على ما نراه الان لم تغير فكان عندهم الحرف
والملوطة وباقى الالات ومما يؤيد ذلك احترامهم للثور المسمى ابيس
وما ذاك الا لما رأوا فيه من المزية

قال الشيخ وهل يعرف اول من اخترع آلات الفلاحه
قال نعم ورد عن المؤرخين ان اول مخترع للحراف احد
فراعنة مصر المسمى اوزريس وهو الذي علم سكان ما وراء النهر
استعمال الثور في الفلاحه ولا ينكر استعمال الحراثة بصر زمن

يوسف عليه السلام ولا استعمال الثور بارض العرب زمان ایوب
عليه السلام

وكان المحراث في الاصل مركبا من قطعتي خشب احدهما
قصيرة منبسطة على الارض تسمى المسخة وفي طرفها حديدة عريضة
تسمى السلاح وهي التي تشق الارض والثانية طويلة متعددة الى امام
تسمى القوس وعند زاويتها الحادة حديدة عريضة لتشبيتها ببعضها
تسمى البليحة وعند موخر الخشبتين ثالثة طولها نحو ستة اشبار تسمى
الرمح وهي التي تكون بيد المحراث يزن بها المحراث حيث شاء وبقي
له اجزاء اخرى غير ما ذكر كت اسفع بها من اربابها وهذا هو
الذى كان يحرث به اليونان والرومانيون واما بعض
جهات امريكا فكانت آلات حرثهم عبارة عن قطعة خشب
معوجة ثم عملوها فيما بعد من قطعتين ويؤخذ من قول ديودور
ان اليونان كانت تحرث على الحمير وان موسى عليه السلام نهى
عن ذلك

فقال الشيخ في بعض جهات الوجه البحري كالشرقية يستعملون
الى الان آلة تسمى المعزقة فيجتمع اربعة رجال او اكثر ويد كل
واحد منهم معزقة وينكتون الارض بعد بذرها فيتغطى البذر
والتلويط الى الان مستعمل في الوجه القبلي وهو عبارة عن امرار
قطعة خشب من نخل او غيره على وجه الارض اذا كانت كثيرة
الوحل بعد بذرها ولست اعرف طريقا ابسط من ذلك واظن ان

جميع الارضي التي تزرع بهذه الكيفية هي اول الارض عماراً
 واستنباتا لان هذه الكيفية اول ما يخطر بالبال وليس فيها كلفة
 فقال الخواجا جميع الطرق المستعملة بصرى الى الان قديمة
 جداً ومرسومة في البرابي وهي عشر طرق ذكر منها قدماء المؤرخين
 طرقه وهي ان بعض الجهات بعد القاء الحب في الارض يأتون
 بالخنازير ويدورون بها حتى يتوارى الحب ولم تكن عقولهم قبل
 الطوفان قاصرة على معرفة الحرف والقاء البذر بل كانوا يعرفون
 ايضاً كل ما يزيد لها في صلاح الارض كتشيدها بالرماد وارواح
 الحيوانات وكتميمها بالمياه الكدرة كما هو جاري بصرى الى الان وذكر
 المؤرخون ما لقدماء المصريين من الاعمال الجسيمة مثل بحيرة
 مورس التي بارض الفيوم والجسور العظيمة التي انشأها فراعنة
 مصر لحفظ الارض من الغرق وقت فيضان النيل وكالمجادول
 التي بواسطتها تفرق المياه على جميع الارض وهذا اقوى دليل على
 ان الفلاحة وتشييد الارض كان امراً معلوماً عندهم ويلزم من ذلك
 معرفتهم كيفية الحصاد وان كان لا يدرى الزمن الذي اخترع فيه
 الآثار المعوجنان المعروفتان عند المصريين بالمنجل والشرشة
 ولعلم كانوا قبل اختراعهما يقلعون النبات بآيديهم لوجود ذلك الى
 الان في جهات كثيرة واما الدرس الذي يستعمل الان لفصل
 الحب من عوده فلا بد انه تاخر زمنا طويلا لان معرفته تحتاج الى
 زيادة تقدم لما فيه من الصعوبة والذى ~~كان مسعلاً عند المصريين~~

وغيرهم في هذا الامر هو جعل الزرع بعد حصاده حزما ينقلونها لارض متسعة منتظمة اعدت لذلك ويديرون البهائم فوقها حتى ينفصل الحب عن غيره وبعض الناس كان يأخذ قطعاً من الخشب ويسمى فيها احجاراً ويدورونها فوق تلك الحزم فينفصل الحب من غيره واهل فلسطين كانوا يستعملون عجلات ثقيلة فيدورونها بالبهائم وهذه الكيفيات باقية الى الان في جهات كثيرة من ارض فرنسا وغيرها واما الصينيون فكانوا يستعملون مهرسة من رخام وكيفية التذرية لتمييز الحب عن التبن بواسطة الهواء باقية عند اغلب جهات الشرق وارض مصر واغلب البلاد الحارة وآلة التذرية المسماة بالمندرى قديمة جداً لا يعلم وقت اختراعها ولا شك ان اختراعها من يوم اختراع الفلاحة فهو واصل اليانا من تقدم على الطوفان وبالجملة فجميع انواع الفلاحة وكذلك آلاتها وانقاذها انا حصل تدريجاً على حسب دقة الصنعة وكثرة لوازمهما ومن ذلك جعل الحب خبزاً والاقتنيات به فانه يتوقف على اعمال كثيرة كالغربلة والطحن والخل والعنجن ثم نقطع العجين وتسويته الى ان يصلح للأكل فان لكل عمل من هذه الاعمال آلات وكل آلة متوقفة على غيرها وغيرها متوقف على غيره وهكذا فلا بد انه مضى على النوع البشري زمن وهو جاهل بجميعها ثم اضطرته الضرورة الى اختراعها شيئاً فشيئاً الى ان عرفها جميعها الاّ اتنا لا ندرى كيف اهتدى الاقدمون لمعرفة ما في القمح من المادة الغذائية

وان كان ذلك لا يمنع من عزو هذه الفنون الى من كان قبل الطوفان فانهم حين رست بهم السفينة وانتشروا على وجه الارض منهم من وقع في ارض قحمة لا تنبت شيئاً فاكتفى بما يجده في وهادها من الكلاء وما يقدر على صيده من نجودها وما يقذفه البحر من السمك ونحوه ومنهم من صادف ارضاً صالحة فزرعها ونقوت بما يخرج من نباتها من غير طحن ولا خبز فان ذلك مما اهتدوا اليه على ما حکاه بعض الفلاسفة مما رأوه من فعل الاسنان بالحب حتى يصير كالدقيق ثم تلويك اللسان له حتى يتزوج بالمريق ثم ازدراده وبلغه فلما رأوا ذلك اتوا بمحرين كالرحي ووضعوا الحب بينهما وداروا احدهما عليه ثم اخذوه ومزجوه بالماء ثم وضعوه في النار ليجف ويصلح للغذاء الى ان اهتدوا الى ما يلزم له من الالات كالمخمل والغربال والتنور كما ذكرنا

فقال الشیخ وما يؤید ذلك ما يفعله عرب الbadia خصوصاً في اسفارهم فانهم لا يتزودون بغير الدقيق فإذا ارادوا الاكل عمدوا إلى جانب منه فلتوه بالماء ثم اضرموا ناراً وصبروا عليها حتى يهدأ لهمها فإذا هدأ وضعوا عليها العجين حتى يجف بعض جفافه فياخذونه وييسونه ثانياً بما تيسر لهم من اللبن او العسل هذا دأبهم في اسفارهم ومنهم من يقليل الحب ويستفيه ومن المقربين من يلدهم بالنار قبل صلاحته ويدخره للطهي ويسمى عندهم بالفربك

قال الانكليزي وكذلك قبائل كثيرة من السودان
 لا يعرفون غير ذلك وكانت هذه الطريقة كثيرة الاستعمال في
 بلاد الهند بناء على قول هيرودوط ولكن هذه الطرق اخذت في
 الاندثار لتقديم الناس كل زمان فعلموا ان الغرض من الزراعة
 السنوية والانتفاع بها مدة السنة وان هذه الطريقة لا ينتفع بالبر
 بواسطتها الا مدة قليلة كشهر مثلا فلا بد انهم بحثوا عن الطرق
 التي تعم النفع ولكن يلزم انهم لم يصلوا اليها الا على التدرج وحيث
 كان في اكل الحب بخلافه عسر ونفس تألف منه فلا بد ان
 اول شيء استغلوا به انفصال القشر عن لبه وان اول شيء استعملوه
 لذلك التجميس لأن جميع القبائل المتوجهين من افريقيا وامريكا
 تستعمله الان واجمع المؤرخون على ان اول صنف اقتات به
 الاقدمون الشعير وحيث كان قشره لا ينفصل عنه الا بالطحن
 وكانوا وقتئذ لم يعرفوا التجميس لذلك والسياحون الى
 الان في بلاد الحبش لا يتزودون بغير الشعير المحمص وكانت
 الناس قبل اهتمامهم الى اختراع الرحي والطواحين تهرسه في
 اهوان فكان التجميس يسهل عليهم ذلك واما كيفية نقعه في الماء
 وتصفيته فقدية وقد كان اليونانيون والرومانيون يستعملون ذلك
 ويتعذرون به كما يفعل اهل الشرق بالارز وللان كثير من
 الناس تستعمل ذلك مثل قبائل الكلموكيين فانهم لا ينقوتون
 بغير الشعير فيضعونه في الماء اولا الى ان يلين ثم يعصرونه ليتميز

عنه قشره ثم يضعونه في قدور ويوقدون النار تجنه إلى أن يقل
 ثم يتناولونه بآيديهم وليس لهم قوت بغير هذه الكيفية
 ومن اليونان والرومانين من كان يهرس الحب في أهوان من
 خشب أو من حجر لخارج الدقيق وفصل اللب من قشره وقد
 بقيت هذه الطريقة إلى الان عند خلق كثيرين وقال هيرودوفط
 ان سكان جزائر الانكليز كانوا لا يستعملون غير هذه الطريقة
 فكانوا يفركون السنابل بآيديهم لينفصل الحب ثم يهرسونه في أهوان
 ثم يعجنونه ويأكلونه نئما وأما أهل بيرو من أمريكا فكانوا يحفونه
 أولا على النار ثم يدقونه ويتناولونه بقطعة خشب كالملعقة لا يفصلونه
 من قشره وعلى ذلك كثير من المتوحشين إلى الان وأما عند تمدن
 الخلق فكانوا قبل اختراع صنعة المخل المعروف يعمدون إلى بعض
 اغصان دقيقة فينسجونها وينخلون بها و منهم من كان يخل بخرق
 من القماش المخلل النسج وما يشبهه قال بولين ان مخل اليونان
 والرومانين كان من السماء و مخل اهل الاندلس من الغزل و مخل
 الجول من شعر الخيل وكانوا جميعا يعجنونه ثم يلعقونه نئما كما
 يفعل بعض سكان جزائر الانكليز ولم يهتدوا إلى كيفية اضاجه
 بالنار الا بعد زمن طويل و منهم من كان في ذلك الوقت يمزج
 الدقيق بالماء كالعصيدة وبوضعه على النار حتى يغلي ثم يأكله
 و منهم من كان يضع فيه لحمة ثم يسويه و ذلك كان قوت قدماه
 الفرس والرومانين واليونان و اهل العراق كما قاله بولين و منهم

من كان يقطع اللحم قطعاً ثم يلقيه في الدقيق ويسويه على النار
فيعلم من ذلك فلة اتفاعهم وقتئذ بالبرلان تمام فائدته لا تكون
الاً بعد عجنه وخبزه وذلك يحتاج الى فكرة كبيرة وأعمال كثيرة
لم يهتدوا اليها الاً بعد زمن طويل وإن كانت تلك الصنعة
 بالنسبة الى زمننا قديمة لما ورد في التوراة من ان ابراهيم عليه
السلام قدم لضيوفه خبزاً مرققاً

قال الشيخ هكذا خبز اهل الباادية الى الان ولم في تسويته
آلة من فخار يسمونها النيغة يخبزون فيها اذا حلو ويختملونها اذا
ارتحلوا فإذا ارادوا الاكل عجنوا الدقيق ثم قطعوا قطعاً صغيرة
ورققوه باليديهم على الواح من خشب ثم أوددوا النار تحت النيغة
حتى تحرر من داخلها فإذا انقطع الدخان اخذوا ما رققوه شيئاً
فشيئاً ووضعوه على النيغة حتى ينضج

قال الانكليزي هذه الكيفية لا باس بها وربما دلت على
تقدم او تمدن اربابها وما القدماء فنهم من كان يضع العين على
احجار محمأة ثم يغطيه بالرماد الحار ولعل ما قدمه ابراهيم الخليل
لا ضيافه من هذا القبيل وعلى ذلك بعض اهالي اسيا الى الان الاً
انهم يلفون العين ببعض حشيش وقاية من الرماد وربما وضعوا
فوقه حمرات كبيرة ومنهم من يضعه بين حجرين ثم يدفنها في الرماد
الحار ومن التمار من يعجنه كالعصيدة ويضعه في آناء ويوقن تخنه
ناراً حتى يغور ثم يتناوله الى غير ذلك منها لا حصر له وذلك

كله لا ينافي قدم النور المسي بالفرن ونقدمه على زمن ابرهيم عليه
 السلام وذكر بعض المؤرخين ان اول من اخترعه رجل مصرى
 يقال له عنوس واما ما حكاه حضرة الشیخ عن العرب فليس خاصا
 بهم بل ذلك طريقة قبائل كثيرة من التركمان وغيرهم الا اننا
 لا ندرى متى كان اختراع الخميره واستعمالها والظاهر انها من
 الامور الاتفاقية كأن يكون عند بعض الناس قطعة عجين حامضة
 فاضافها الى عجين جديد ثم سواه فوجده اذن من الاول طعمًا
 واسرع هضمًا فاعتداده واخذه عنه من بعده وان كان كثير من اهل
 اسيا وافريقيا وامريكا لا يستعملونها الى الان وقيل انها كانت موجودة
 على عهد موسى عليه السلام وروي انه نهى قومه عن اكلها حين
 خروجهم من مصر واول آلة استعملها الانسان في طحن الحب
 المحجارة ثم الرحى ثم الطاحون وبين اختراع كل آلة والتي تليها
 زمن طويل ونحن وان كنا لا نجزم بوجود الرحى زمن ابرهيم الخليل
 عليه السلام لكن نجزم بوجودها من ايوب عليه السلام وباستعمالها
 هي والطواحين عند المصريين كما يظهر ذلك من التوراة فانه ذكر
 فيها منع بني اسرائيل من ان تأخذ حجر الرحى الا برهن وكان
 الذي يديرها الخدم والعييد وكانت مستعملة عند اليونانيين
 والرومانيين وجميع الامم الماضية

قال ناقل الحديث وكانت العربات قد اعدت للجماعة على
 الباب فركبوها وساروا بهم نحو فرساي وهم يتحدثون يامر الزراعة

والفلاحة وما ينشأ عنها من تقدم البلاد واهلها الى ان جزم الشيخ
 بان مدار العارة على الزراعة فوافقه الجميع على ذلك وقال
 الانكليزي ان هذا هو القول الحق فانه لا تخل الثروة بجهة الا اذا
 تقدمت فيها الزراعة ففي ارض فرنسا مثلا تقدمت الزراعة تقدماً
 جيدا حين بحثت الحكومة عن هذا الخصوص وذلك التقدم من
 ابتداء سنة ١٧٩٠ الى سنة ١٨٤٦ فكان محصول زراعة القطر
 سنة ١٧٩٠ ميلارين ونصفا وفي سنة ١٨٤٦ وصلت قيمته ضعف
 ذلك وفي العشرين سنة التالية لسنة الف وسبعين وتسعين كان
 الربح غير محسوس لكن من ابتداء سنة ١٨١٥ شعر ان الربح ثلاثة
 مليونا في السنة الواحدة ومن خمسة عشر الى ست وأربعين صار
 يزداد حتى بلغت الدرجة المتوسطة ستين مليونا كل عام
 وبسبب هذا الفرق زادت اهالي القطر فان عددهم من سنة
 ١٧٩١ الى سنة ١٨١٥ كان يزيد في كل سنة عن التي قبلها مائة
 وعشرين الف نفس ومن سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨٤٦ مائتي الف
 نفس واما من سنة ست وأربعين الى خمس وخمسين حصل
 تأخير فلم تبلغ زيادة كل سنة غير ستين الف نفس
 واما بالنسبة للمحاصولات فقد وجد ان صنف الغلال ضوعف
 من سنة ١٨١٥ الى خمس وأربعين فكان في سنة ١٨١٥ اربعين
 مليون اكتوليتر وفي سنة ٤٥ ثمانين مليونا ومحصول البطاطس
 ضوعف ايضا حتى وصل الى خمس عشرة مرة زيادة عما كان في

سنة خمس عشرة وكذلك نوع الحيوان فقد بلغ عدد الحيوان الكبير تسعة ملايين الى عشرة وعدد الخيل من مليونين الى ثلاثة وعدد الضان ما بين اربعة وعشرين مليونا وست وثلاثين مرة من الملايين

وفي سنة ١٨١٢ كانت قيمة الاراضي المملوكة ومنها العقارات الفا وخمسين مليون وفي سنة خمس عشرة بلغت الفين وثمانمائة وثلاثة واربعين مليونا ومع هذا فقد زادت قيمة الارض في قريب من ثلاثين عاماً قدر خمسين في المائة هذا وان كان حسن الارض وارتفاع قيمتها لا بد له من نعمات الا اننا يمكننا تقديرها ولو على وجه التقرير فنقول على فرض ان فائض المائة عشرة في كل سنة تكون ستون مليونا التي هي فائض ستمائة مليون مصروفه على الارض فلوزعت على الارض المنزرعة بالقطر لوجد انه صرف على كل اكتار من المساحة اثنى عشر فرنكا عشرة منها في اصلاح الارض واثنان في اصلاح حال الزراعة

وبعد ان كانت قيمة الاكتار سنة ١٧٩٠ لا تزيد عن خمسين فرنك صارت الان تساوي الف فرنك فمقدار قيمة ارض الزراعة بالقطر خمسون ملياراً وكانت قيمة موجود الزراعة لا تزيد عن الف مليون فصارت الان خمسة امثال ذلك نصفها قيمة حيوانات ولات زراعة والنصف الآخر قيمة بذر وما يتبعه من سباح وغیره ومن هنا يعلم ان ربع الزراعة من ابتداء سنة ١٧٩٠ وصل الى اربعة

امثال ما يصرف عليها واجرة العمال وان زادت الا انها لم تبلغ
 ما ينجزها وحيثئذ يلزم من يسوس الام ان يجعلوا عدد الاهالي
 قاعدة لجميع ما يدبرونه وان يجتهدوا في ما به زيادة عدرهم ليتحصلوا
 على زيادة البركة والطريق في ذلك سهل لأننا نعلم ان الله سبحانه
 لما خلق الخلق اودع فيهم اسراراً ينمون بها ويملؤن الارض وجعل
 تلك الاسرار متعلقة بالاقوات كما هو مشاهد فانك لو قطعت عن
 اي شيء مادته التي يتغذى بها لاخذ في الجفاف ثم مات فيلز
 الاعنة بالامر الذي منه القوت وهو الفلاحة لاجل نو الاهالي
 ولذلك ترى بعض الناس اذا رأوا امة قد اضمحل حالمها وتقص
 عددها قالوا ان ذلك ناشئ من كثرة الرهبانية فيهم ومحاربة
 الجيوش البرية والبحرية لهم فترأه في تلك الاوقات يكثرون من
 البحث على الزواج وربما ساعدوا من عجز عن مؤنه وعاقبوا من
 اصر على العزوبيه ومع ذلك لا يحصلون من مقصدهم على كبير
 فائدة لأن ما ظنوه سبباً ليس بسبب فيكون مثلهم كمثل من يعاني
 بدواء من غير وقوف على اصل الداء فانهم لو امعنوا النظر وقارنوا
 امور امة الحاضرة بالماضية لظهر لهم ان اسباب الفساد ليس الا
 اهال فن الفلاحة وميل الكثير الى الزهو والتعلق به وكثرة ما
 يستهلك ويصرف على القليل من الناس واثبات ذلك بان يقول
 لو سلمنا ان ازيد ايد اي نوع بخصوصيته ليس الا لوجدنا فوق الارض
 ذئاباً اكثر من الغنم لأن الانثى من الذئاب تلد عدداً كثيراً في

بطن واحد ويتكرر ذلك منها في السنة الواحدة والغنم ليست كذلك سبباً والعادة جارية بخصائص كثيرة من ذكرها وذبحها وليس ذلك جارياً في الذئاب فلو كانت خصوبة النوع في ذاتها سبباً في كثرته لكان عدد الذئاب لاحد له وربما ملا الأرض مع أن الأمر ليس كذلك فانا نرى الغنم تزداد مع استمرار الاخذ منها وما ذلك إلا لكثره مرعاها وقلته للذئاب

ومن ذلك بعض متواحشى أمريكا وأفريقية فان حالتهم كحالة الذئاب لأن تعيشم ليس إلا من الصيد والقنص فترى العدد القليل منهم شاغلاً لمساحة عظيمة من الأرض بحيث لو زرعت وخدمت حق الخدمة لكيفت اضعافهم ومع هذا لا تقطع الخصومات بينهم وليس عندهم رهبانية ولا عفة وما ذلك إلا لقلة القوت عندهم وقد ثبت في كتب التاريخ ان الفدان الواحد عند الرومانيين يكفي العائلة الكبيرة مع ان المتواحشين لا يكفي لقوته اقل من خمسين فданا حيث كان جل همه الصيد والقنص فمن هذا تكون الالاف فدان مزروعة كافية لالاف شخص وغير مزروعة لا تكفي خمسين من المتواحشين فظهور بذلك ان كثرة الاهالي تابع لاتساع دائرة الزراعة فكلما حصل لاجتهداد في خدمة الأرض واصلاحها ازداد المحصول وكثير الجنس وكلما اهللت وتركتم قلت الاقوات ونقص العدد وإن كل ما يستهلك في امر الزهو مضاد لمنفعة الامة

فيلزم مدبر امر الامة ان يصرف جميع هبته في توجيه افكارها نحو
البساطة والقناعة

وفي سنة ١٨٤٠ بلغت قيمة محصول الزراعة في ارض دولتنا
خمسة الاف مليون فرنك منها الف وستمائة مليون قيمة محصول
اللحم والمصوف واللبن والفراخ والباقي وهو ثلاثة الاف واربعمائة
مليون قيمة محصول الحبوب والخشاش وغيرها وكانت موزعة
بالنسبة لعارة الارض المضروب عليها الخراج شخص كل اكتار
في الجملة مائة فرنك وايضاً بالنسبة لتفاوت الاهالي قلة وكثرة في
الجهات فكان ربع الارض يتحصل منه مائة وخمسون فرنكاً ونصفها
مائة فرنك وربعها خمسون فرنكاً فقط وسبب هذا الفرق ان
الربع الاول كان في كل مائة اكتار منه مائة نفس واما النصف
فكان لا يوجد في المائة اكتار الا خمسة وستون نفساً وكذلك
الربع الاخير كان لا يوجد في الاكتار منه الا اربعون نفساً وجهات
العار في الغالب تكون بالقرب من التخت والمدن وشواطئ البحر
والمجهات القليلة العمار الجنوب والوسط ونهاية العمار جهات الشمال
ويوجد في المائة اكتار منه مائتا نفس ونهاية القلة في العمار جهة
جبال الالب فلا يوجد في المائة اكتار هناك أكثر من عشرين
نفساً ولو جعلنا الدول مرتبة على حسب تعداد الاهالي نجد ان
بلاد الفلهنك ينحص كل مائة اكتار منها مائة وخمسة وعشرين شخصاً
وببلاد الانكليز تسعين ومالانيا وايطاليا ثمانين وفرنسا ثانية وستين

واسبانيا وبرتغال اربعين والدولة العلية خمسة عشر وكذا
المسكوف .

ثم قال الانكليزي ان بلادنا وان كانت بعد الفلك في
الدرجة المذكورة لا أنها مشهود لها بزيادة الاعتناء بامر الزراعة
والفلاحة ولذلك كان محصول ارضنا اكثرا من محصول ارض
فرنسا وليس ذلك من جودة ارضنا وانما هو من جودة الطرق التي
نستعملها والتفات الحكومة لما يحصل منه زيادة المنفعة والربح للاهالي
وان حصل في هذه الايام تقدم كبير للزراعة في فرنسا عن السابق
لكن بين المحصول عندنا وعندهم بونا بعيدا وها انا اوضح لحضرتكم
طريقة كل من الدولتين واقارن بين الطريقتين ليظهر الفرق
و قبل كل شيء اقول من المعلوم ان اهم الامور القوت فان به قوام
البنية الادمية وهو انواع ف منها ما هو جيد للغذاء مفيد لقوة الانسان
ومصلح لبنيته ومنها ما هو غير ذلك وحيث كانت الانواع المتعددة
من دقيق الحبوب ليست كافية لقوام البنية وصحتها فيلزم ضم اللحوم
الىها لانها احسن شيء في هذا المعنى وحيث نعلم ان كل بلدة يكون
بها زيادة عن الحبوب قدر ما يلزم للغذاء من اللحم وهو عبارة عن
مائة درهم لكل شخص كما استدل على ذلك الباحثون من ارباب
الدراسة فإذا ثقرر ذلك نقول قد نتج من الاحصاءات الرسمية التي
اجريت في بلادنا ان كل انسان من الانكليز يخصله كل يوم خمسة
وسبعون درهما ما يذبح واما الشخص الواحد من فرنسا فلا يخصله

غير تسعه عشر درها فتكون النسبة بين ثقدم الفلاحة عند الانكليز
 والفرنسيين كالنسبة بين خمسة وسبعين وتسعه عشر
 وهذا يدل على ان اعناء الانكليز باقتناه الحيوانات ازيد من
 اعناء الفرنسيين وان علمهم بالقاعدة الاساسية لتقديم الزراعة اكثر
 لانه اذا ازداد الحيوان امكن الحصول على احسن الغذاء واخصب
 الارض بواسطه السماد الموجب لازدياد المحصول والمرعى ومن
 زيادتها تزداد الثروة فاذا نظرنا لصنف الاغنام مثلا عند الامتين
 وجدنا عند كل واحدة منها خمسة وثلاثين مليونا مع ان ارض
 بلاد الانكليز ليست مساحتها الا ٣١ مليونا من الاكتار بخلاف
 ارض فرنسا فانها ثلاثة وخمسون مليونا فيخصوص كل اكتار من
 ارض الانكليز رأسان ومن ارض فرنسا راس واحد وتحصل من
 الصوف عند الانكليز ستون مليون كيلو جرام وعند الفرنسيين
 كذلك ومن صنف اللحم كل عام عند الانكليز ثلاثة وستون
 مليون كيلو جرام وعند الفرنسيين مائة واربعة واربعون مليونا
 وبهذا يعلم ان نسبة اللحم المتحصل عند الانكليز الى اللحم المتحصل عند
 الفرنسيين كالنسبة بين عددي ثلاثة وستين ومائة واربعة
 واربعين وهذه المقادير هي مقادير التوسط لجميع جزائر الانكليز
 اي ايرلندا وايكوسا وبريطانيا فلو نظرنا الى بريطانيا وحدتها
 لوجدنا في كل اكتار راسين من الغنم مع انه لا يوجد في الاكتار

من فرنسا غير ثلثي رأس هذا ومحصول الرأس الواحد في بلاد الانكليز ضعف محصوله في فرنسا فيعلم من هذا ان ربع الفلاح الانجليزي ضعف ربع الفلاح الفرنسي في هذا النوع وعلى ذلك نقاوس ارباح البقر في كل من الجهتين وقد احصى ثمن الجبن المبيع بمديرية شيسفيت خاصة في السنة الواحدة فيبلغ خمسة وعشرين مليونا من الافرنكات وبين بقر جميع فرنسا لم يبلغ الاّ ألف مليون لير وثمان ليلتر عشرة فرنكات واما المخصل من بقر الانكليز فضعف ذلك قدرًا وثمنا فعلى هذا يكون ربع الفلاح الواحد من الانكليز اربعة امثال ربع الزراع من الفرنسيس وغرب من هذا تفاوتهم في عدد البقر بالنسبة لارضهم فان بقر الانكليز مثانية ملابين في واحد وثلاثين مليونا من الاكتارات وبقر الفرنسيس عشرة ملابين في ثلاثة وخمسين مليونا منها فلو نسبنا بقر كل قوم الى ارضهم لكان بقر الانكليز بالنسبة لارضهم اكثر من بقر الفرنسيس بالنسبة لارضهم وان كانت ذبائح الفرنسيس اكثر عدداً لانهم يذبحون من البقر في كل سنة اربعة ملابين فيها من اللحم اربعاء مليون كيلوجرام واما الانكليز فلا يذبحون من البقر الاّ مليونين الان فيها من اللحم خمسة مليون كيلوجرام فاذا ناملنا ذلك علمنا ان ما يذبحه الفرنسيس وان كان في العدد ضعف ما يذبحه الانكليز الاّ انه يتقص في اللحم نحو الربع وسبب ذلك ان الانكليز لا تذبح الصغير ولا المهزول وذلك لامرین الاول كونه غير مستوف لشروط

الغدا والثاني ان ذبحه حينئذ يكون كصياع راس المال من قبل
 تربیجه سوء بسواء بخلاف الفرنسيس فانهم يذبحون من العجول
 الصغيرة اکثر ما يذبحونه من الكبيرة ولقلة هذا النوع عندهم
 لا يمكنهم الصبر الى ان يكبر الصغير فتضيع عليهم بذبحه فائدتان
 الاولى جودة اللحم والثانية الاتفاص به وايضاً فان الانكليز من عادتهم
 اراحة البقر من الاشغال وتسعيمها واما الفرنسيس فانهم يستعملونها
 في جميع الاعمال الشاقة ولا يذبحون الكبير منها الا اذا هزل لحمه
 وضعفت قوته مع انا لو تاملنا فيما يكتسبونه من استعماله وفيما يضيع
 عليهم به لوجدنا ان استعماله واستثاره ارجع لهم من استعماله لانه
 بالبحث عن ذلك وجد ان قيمة البالانها بفرنسا نحو مائة مليون من
 الافرنکات وقيمة اللحوم اربعين مليون وما يقابل شغلها مائة
 مليون فيكون جميع ايراد البقر بفرنسا سبعين مليون
 واما الانكليز فان ثمن البالان بقرهم اربعين مليون من
 الافرنکات وقيمة اللحوم خمسين مليون فجمعيه تسعمائة مليون فترى
 ايراد هذا النوع عندهم قد زاد على ايراده بفرنسا مائتي مليون وان
 اعتبرنا ربع كل من الجهتين على حدته وجدنا مجموع ايراد الفلاحة
 بفرنسا خمسة الاف مليون من الافرنکات منها قيمة اللحم ثمائة
 مليون وقيمة الخنطة ستمائة مليون فباعتبار هذه المقادير تكون قيمة
 اللحم في فرنسا نحو السدس من ايرادها مع ان قيمته عند الانكليز

تبلغ ثلث ايرادها ثقريياً وما ذاك الاَّ تكون احوال الزراعة عندهم متقدمة تقدماً زائداً

فقال صاحب المنتزه ان ما ذكرتهو صحيح ولكن قد نفطنت
الخلق الان لامر الزراعة ونماها لوجود الخلطة العامة وحصول الافلة
الثامة فانا نجد كل انسان قد تحصل على ما فيه منفعة له ولو كان
على بعد منه سهولة السفر وقرب المسافة بما حدث من الآلات
البخارية براً وبحراً فجميع الآلات التي كانت لا توجد الاَّ عندكم قد
صارت موجودة عندنا وربما تحسنت زيادة عما عندكم فتقدمت
الزراعة واتسعت اصناف البضاعة وان كان تخير الزراعة اسباب
كثيرة واقواها تاثير الاحتقار باهل الفلاحة وعدم الالتفات اليهم
وترك التبصر في احوالهم وارتكاب ما تضيع به ثمرات الفلاحة من
تسخير اهلها بالعسف والقهر والتعدى عليهم بما يهقر حالم ويفسد
عليهم اعمالهم وكالتغالي في الزينة والزهو والاكباب على اللعب
واللهو خلافاً لما يزعمه اخسأ العقول من ان ذلك من لوازم الثروة
فان بطلانه لا يخفى على كل ذي بصيرة لانا لو اخبرنا ما كانت
 تستهلكه اي امة في الزمن الغابر وما تستهلكه في الزمن الحاضر
 وقارنا بين الزمين لوجدنا بينهما فرقاً عظيماً مثلاً النور كان لا
 يوجد بمدينة باريز الا في بعض اماكن منها كالذى يخص رب
 المنزل واما الان فترى جميع اماكن البيوت مضيئة وعلى ذلك لا
 شك انه يلزم لها الان استصحاب اكثراً منها كان يلزم لها في سالف

الزمان ولا يتيسر الحصول على ذلك الا بزرع ارض له زائدة عما
 كان يزرع في الاول وذلك لا يكون الا بنقص جزء منها كانت
 تزرعه لقوتها وفي ذلك من الضرر ما لا يخفى فضلا عما يلزم
 جلبه الى المدينة من رجال الزراعة وحيوانات الفلاحة وما يلزم
 لهذه الحيوانات من زرع ارض لرعاها ينقص بقدرها من ارض
 الحبوب فإذا تقصرت ارض الحبوب نقص القوت فينقص عدد
 الاهالي فان قيل لا يلزم ما ذكر لانه كان فيها مضى غابات مهلة
 وبرك ومناقع كثيرة معطلة وقد عمرت الان وزرعت فهلا تكون
 عوضا عنها نقص من ارض الحبوب قلنا ذلك مسلم لو كان عاما
 في جميع الجهات فانا نجد بعض الجهات كانت عامرة بالخلق فلما
 زرعت فيها هذه الاصناف وتقصرت مزارع حبوبهم نقص عددهم
 فحيثنى لا شك ان الاكثر من الزينة وانواع التفاخر موجب لنقص
 ارض الاقوات فاما ان تم من الخارج والا هاجرت الاهالي وتعطلت
 فضرر حب الزهو والفخر كضرر المحاربة بل اضر لان المحاربة وان
 كانت تضر بارض الزراعة لا تضر بالامة وان اضرت فضررها
 وقتي واما يؤيد ذلك انك ترى بعض الجهات وقع فيها محاربات
 كثيرة وهي الان احسن مما كانت قبل الحرب لان الغالبان
 الحرب اذا كانت في جهة وانتفت منها شيئاً زاد عمار الاخري
 بقدر ما تلف من الاولى وقد يتبينه الجميع بعد انتصاراتها في تكون
 الرفاهية فيعودون الى احسن مما كانوا فعلمنا من ذلك ان

الحروب وكذا الامراض الوبائية ليست السبب في تدمير الام اصلا
 بل السبب فيه جب الزهو والزينة ليس الاانا لو فرضنا ان فرسا
 واحدا دخل مدينة للخيلاء به لا لعمله لم نشك انه يأخذ من ريع
 تلك المدينة مؤنته ما يعدل مونة اربعة من نوع الانسان وهذا
 فرس واحد فيها بالك بافراس او ما بالك بغيره من الحيوانات
 التي لا فائدة فيها الا النظر لذاتها او التأمل في الوانها وهيئتها ولا
 يقال ان اقتنا الحيوانات وان كثرة مؤنتها لا ضرر فيه لما يترب
 عليه من تسميد الارض بروتها فتزيد في محصولها بقدر مؤنة الدواب
 والحيوانات التي بها لان ذلك انما يقال في الدواب والحيوانات
 التي بالقرى ولارض الزراعة ولاما الحيوانات التي بالمدن فلا لان
 روثها بها لا قيمة له بل قد يصرف عليه دراهم لاخراجه من محله
 مع ما يلزم لذلك من تعطيل اشخاص من اهل الفلاحة لخدمتها
 وجلب مؤنتها وقد توهم بعضهم ان كثرة الامة وقتلها تابع لما
 يستهلك قلة وكثرة اعني انه كلما كثر المستهلك كثرت الامة وكلما
 قل قلت وهذا التوهم لا يسلم به الا لو اقتصر على ما لا بد منه
 والواقع غير ذلك فانا نرى القليل من الامة يصرف اضعاف ما
 يصرفه الكثير منها فاذا تاملنا ذلك وجدنا ان معيار الثروة وعدمها
 تابع لكثرة المشتغلين بالزراعة وقتلتهم فكلما كثروا اخسسو وكلما
 قلوا اجذبو فاي قوم لم يستغلوا بامر الزراعة وتبعها كانوا وبالا
 على الامة عموما وعلى المشتغلين بها خصوصا فحيث ذكر يجب على ولاة

الامر التنبه لذلك وحمل اهل البطالة على العمل ولا سيما الشاذين
 الذين اخذوا التكف صنعة فانهم يتغدون في الحبلى ويتعللون با
 تسله لهم انفسهم من العلل فلا يضي على الواحد منهم زمن قليل الا
 وقد تحصل على جزء من المآل فمثل هولاء يجب منعهم وامرهم
 بالتكسب لثلا يتدى بهم من يميل الى البطالة والكسل ليستغنى
 بهذه الصنعة الخبيثة عن التكسب بالعمل فاذا تمد هذا علمنا ان
 فن الفلاحة والزراعة هو الاصل بل هو اساس ثروة البلاد وعمارها
 واصل رفاهية اهلها فيجب على كل حاكم احترام المستغلين بها
 والالتفات اليهم كل الالتفات ومساعدتهم بانواع المساعدات وتطيب
 قلوبهم والرأفة بهم والا كان كمن هدم اساس بيته بفاسه لان مثل
 كل ملك مع رعيته كمثل شكل هرمي الملك كراسه والرعاية
 كقواعدته وأسه ورجال الدولة ما بين ذلك على قدر درجاتهم
 فكما ان كل جزء من اجزاء هذا الشكل حامل لشلل ما فوقه
 وهكذا الى الطبقة السفلی تكون هي التي عليها شلل الجميع كذلك
 ارباب الحكومة السياسية على اختلاف درجاتهم كلما فسدت درجة
 سرى ضررها الى من دونها وهكذا حتى تجتمع جميع المضار على
 الضعفاء واهل الفلاحة فلو قصر الملك نظره على من يليه من
 رجال دولته وصرف عن دونهم نظره فسد نظامه واحتلت مملكته
 واحكامه فكما انه لا بقاء للشكل الا بقواعدة كذلك لا بقاء لملك
 الا برعيته فان تنبه الحاكم وانصف من نفسه عرف كيف يصون ولايته

من الخلل بان يشمل بنظره جميع رعيته لا يفرق بين الاجانب منهم
وذوي قرابته ولا بين ضعيف منهم وقوى وخاص من بينهم اهل
الفلاحة بمزيد العناية والالتفات لانهم الحاملون لانتقاله القائمون
بصاحبه واعماله اذ لو لاهم ما كان للملك قوام ولا تم له نظام وحيث
كانت الارض لا تفید الا بقدر ما تستفيد لا فرق عندها بين
عظيم فتكرمه ولا فقير فتحرم بل ان قام صاحبها بما يجب لها
وخدمها انتفع بها والا عدمها وهي على اختلاف انواعها لا يخلو شي
من اجزائها عن فائدة حتى الرمل الذي لا يصلح للزراعة لوضع
منه شي في الارض السجنة او البرك الملحقة لاصلحها وكذلك اخراص
الارض لو نقيت منها الحجارة للمباني العظيمة ذات الاسوار فما
من انسان اقام في اي مكان وتيسرت له اسباب الراحة وانتفت عنه
الموانع الا تيسر له منه اضعاف قوته وتحصل على ما لا يحصل عليه
غائص البحر لياقوته ولو فرض ان فدانًا غرس اشجاراً الا ثمر وترك
الي نحو عشرين سنة لكان فيه من الخشب واللحم ما يقوم به بالعزم
مع انه لم يلزم له الا قليل من العمل والعمال فما بالملك لو غرس
اشجاراً ذات ثمر ولو فرضنا ان ذلك الفدان بعينه كان في المدة
المذكورة يزرع حبوبًا لكان فوائده اكثراً منها في الحالتين السابقتين
فعلم من ذلك ان الناس نابعة للزراعة كثرة وقلة ولو كان ذلك
الفدان بعينه في ضاحية من ضواحي المدن قد هباء له صاحبه

محابس لريه وغرس فيه اشجاراً واجرى اليه انهاراً وجعل فيه عروشاً
 أما كان بذلك يساوي اضعاف مثله من ارض المقرى والارياف
 وما ذاك الا لكثرة عمالة واحتفاف الناس به فهذا دليل ايضا على
 انه كلما كثرت الناس بارض زاد مخصوصها وان الانسان لو خلي
 ونفسه لجعل من الارض المحبرية بساتين وكروم لا ترى ارض
 مرسيليا فانها كانت اولا جبالا ورمالا فاجتهد اهلها حتى حفروا
 فيها خنادق وطموا ارضاها بالتراب واجروا اليها الماء ثم غرسوا فيها
 من انواع الفواكه والاشجار ما يستغل منه اموال عظيمة فلوا حصينا
 عدد قرية وفرضنا انهم قائمون بخدمة ارضهم حق القيام لكن عدد هم
 دائمًا في زيادة لان الجميع عليه عند ارباب الفلاحة ان الارض
 كلما خدمت زاد مخصوصها فليس مخصوص المحروث مرة كخصوص
 المحروث مرتين ولا مخصوص الارض التي تسقى بماء المطر والتي
 تسقى بماء العيون ولا مخصوص الارض التي سقيت كخصوص الارض
 التي لم تسقى وهكذا من محسنات الزراعة فالفلادة لا شك انفع
 الصنائع اذا توفرت اسبابها وافتقت الموارد عن اربابها خلافا لقوم
 ذمودها واستبعدها وعدلوا الى دماء الناس واموالهم فاستباحوها مع
 علمهم بان فوائد الفلاحة لا تعد لها فوائد وادرار ارزاقها دائمًا
 متزايد وهم الآتينيون وسكان آسيا فكانوا يزعمون ان الفلاحة
 والتجارة مما يوهن القوى البدنية ويورث الذل للذرية فتركوا جميع
 الصنائع ولم يلتقطوا لما فيها من المنافع وعدلوا الى نهب الاموال

واسر ما قدروا عليه من نساء ورجال وعم ذلك جميع اوروبا
 فانتع خرابها وفسد العمار الذي كان بها وكان المقطع لل فلاحة
 وقتئذ الارقاء ومن يأوي اليهم من الغرباء فارتخت عنهم حينئذ
 الفسائل الدثريه وقد كانت بقعتهم عين منبعها ومرج مرتعها وانظر
 الى الرومانين وما كانوا فيه من الخمول والتتوحش فلما افاقوا
 من خمولهم وتفتتوا في الفلاحة علت شهرتهم وقويت شوكتهم ثم ثقادم
 بهم الزمن واهملوا امر هذا الفن واستغلوا بالمحاربات فآل امرهم الى
 الخراب وضعفت دولتهم وانحطت صولتهم وانتهى بهم الحال الى
 ان ثقاصم ارضهم مُتبررون وبالجملة فلم تر جهه اهلت فيها الزراعة
 الا حل باهلها التحط والمجاعة

فقال الشيخ احسنت الا انه بغير العدل لا يتم صلاح اذ لواه
 ما قدر مصل على صلاته ولا عالم على نشر علمه ولا تاجر على
 سفره وهو صفة في الذات تقتضي المساواة وهذه الصفة اكمل
 الفسائل لشمول اثرها وعموم نفعها واليها الاشارة قوله صلى الله عليه
 وسلم بالعدل قامت المساوات والارض وتوضيح الكلام يحتاج الى
 مقدمة في هذا المقام ذلك ان الله تعالى لما خلق الارض ودحها
 واجز منها ما عليها وبيث فيها من كل دابة فكان فيما خلق
 نوع الانسان ولعلمه انه ليس كغيره من سائر الحيوان احوج بعضه
 الى بعض في ترتيب معاشة ومؤنه وتحصيل ملبيه ومسكنه لانه
 ليس كسائر الحيوانات التي تحصل بنفسها ما تحتاج اليه من غير

صنعة بل خلقه ضعيفاً لا يستقل وحده بامور معاشه
 ثم مسست الحاجة بينهم الى ساييس عادل وملك عالم عامل
 يضع فيهم ميزاناً للعدالة وقانونا للسياسة توزن به حركاتهم وترجع
 اليه معاملاتهم وكان مبادرة هذا الامر من الله تعالى بنفسه من
 غير واسطة على خلاف ترتيب الملكة وقانون الحكمة فاستخلف
 عليهم من الانبياء خلائق وضع في قلوبهم العلم والعدل ليحكموا
 بها بين الناس حتى يصدر ترتيبهم على قانون مشروع وتحبّم كلّتهم
 على امر متبوع ولا تتحقق العدالة الا بعد العلم باوساط الامور المعتبر
 عنها بالصراط المستقيم ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره الا ان
 اثرت اولاً في نفسه اذ التأثير في البعيد قبل القريب بعيد قال
 تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فلن عدل في حكمه
 وكف عن ظلمه نصوه الحق واطاعه الخلق وصفت له النعاء واقبلت
 عليه الدنيا فهنيء بالعيش واستغنى عن الجيش وملك القلوب وأمن
 الحروب ولم يخلق الله تعالى احلى مذاقاً من العدل ولا امر من
 الجحور لان اسر الملكة واركانها وثبات احوال الامة وبنائها
 العدل والانصاف سواء كانت الدولة اسلامية او غير اسلامية فها
 قاعدة كل مملكة واصل كل سعادة ومكرمة
 فالواجب على الملوك وولاة الامور ان لا يقطعوا في حكم الا
 من القانون المصنوع لهم سواء في ذلك العادات والزوابع والاوامر
 والمعاملات لأنهم متصرفون في ملك الله وعباد الله بشرعية الله

ولذلك قالوا صنفان اذا صحت الامة وادا فسدا فسدت
 الملوك والعلماء وقالوا اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله
 التنصي في اهل مملكته وفي كل شيء حتى في التجارات والزراعات
 وادا هم بالخير او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته وفي كل
 شيء حتى في التجارات والزراعات فلا يصلح لهذا المنصب الا من
 قطع من الطبع امله ووافق قوله عمه وكذلك عماله ونوابه ولا
 كان كما قيل

ومن يربط الكلب الغور ببابه
 فعمر جميع الناس من رابط الكلب



المسامرة التاسعة والثانون

فرسای

وما وصلوا الى هذا المقام من المقال حتى وقفت بهم العربية
 على باب الجنينة التي قصدوها فنزلوا وقصدوا القصر او لا يروا ما
 فيه من العجائب فدخلوه ولم يتركوا محلا منه حتى نظروه فرأوا فيه
 صوراً وتماثيل واشياء كثيرة من هذا القبيل منها ما هو على صورة
 عساكر مصطفة ومنها ما هو على صورة طير كأنه يناغي الفه ومنها
 ما هو على صورة نساء في غاية الجمال ومنها ما هو على صورة خيل
 مسوّمة وكأنها متهيئة لنزال او هجوم

ومنها ما هو على صورة بعض الملوك الاول ورجال الدول
 فكانوا كلما مروا بصورة شرحها الخواجا للشيخ ولو لم يسأله عنها
 فلما خرجوا قال الانكليزي للشيخ ايها الاستاذ كيف ترى فيما فعلت

حوادث الزمان وخطوب الحدثان وتحول الاشیاء عما كانت عليه
وخروجهها عن موضوعها

فقال الشیخ كيف ذلك وما الذي خطر بیالك فقال ان
هذا الفصر كان محلـا للملوك لا يصل اليه شریف ولا صعلوك فلما
تقلبت به الايام وامتدت اليه يد الزمن عاما بعد عام اضـحل حاله
والـى ما ترى مـاهـه والـى الذي وضع فيه الصور والرسوم التي رأـتها
هو لوـي فيـلـيـب فـلـورـأـيه قـبـلـ قـيـامـ الفـرنـسـيـسـ حينـ كانـ مرـكـزـ دائـرةـ
الـحـكـوـمـةـ وـمـحـلـ فـصـلـ كـلـ مشـكـلةـ وـخـصـوـمـةـ فـكـانـ غـاصـاـ فـيـ النـهـارـ
باـصـاحـبـ الـحـاجـاتـ وـالـلـيـلـ باـنـوـاعـ الـمـلاـهـيـ وـالـمـسـلـذـاتـ وـلـوـمـ يـضـعـ
فـيـهـ هـذـهـ الرـسـومـ ماـ جـنـحـ اليـهـ اـحـدـ

فـقـالـ الشـیـخـ لـیـسـ ذـلـکـ مـنـ الدـهـرـ بـعـیـبـ وـلـاـ عـنـ اـرـبـابـ
الـمـعـارـفـ بـغـرـیـبـ فـکـمـ لـعـبـتـ الاـيـامـ بـثـلـهـ حـتـیـ اـرـالـهـ مـنـ اـصـلـهـ کـمـ
قاـلـ

هيـ المـقـادـيرـ تـحـبـرـيـ فـيـ اـعـنـثـهـاـ
فـاصـبـرـ فـلـیـسـ هـاـ صـبـرـ عـلـىـ حـالـ

يـوـمـاـ تـرـیـكـ خـسـیـسـ العـقـلـ تـرـفعـهـ
اـلـىـ السـماءـ وـيـوـمـاـ تـخـفـضـ العـالـیـ
اـذـ مـنـ الـمـلـوـمـ اـنـ الدـهـرـ لـاـ يـقـيـ علىـ حـالـهـ بـلـ لـاـ بـدـ لـهـ مـنـ
اعـطـاءـ وـمـنـعـ وـخـنـضـ وـرـفـعـ وـحـرـکـةـ وـسـکـونـ وـظـہـورـ وـکـونـ وـصـحـةـ

وعلة ويسار وقلة فلا يدوم على حال الاَّ الكبير المتعال
 وأما الكون أجمع وما حوته جهاته الأربع فلا يخلو عن
 صحة وفساد وضلال ورشاد على حسب ما اقتضته ارادته العلية
 ودبرته حكمته الخفية فترى الشيء قد كسي حلل البها وعلاه رونق
 الحسن والأزدها وعن قريب تراه قد حل به القضا كل ذلك
 حكم وأسباب منها ما علم ومنها ما ضرب دون العلم به الحجاب
 ومن تصفه تواريج الام وتبعد اخبار الناس من عرب وعجم وجد
 ان كل زمن لا بد فيه من تغيير ومحن ومن يطلع لآن على هذا
 المكان ويتأمل في بنائه واتساعه وانقاذه وما أخذه من الارض
 يحكم على واضعه بالغرور ولكن هكذا دأب الأنسان على حمر
 الدهور فانه كلما تمنى حالة وبلغها تمنى أعلى منها وهكذا الى ان
 يأتيه هادم اللذات ومشتت الجمادات فيجده غريراً في بحر غفلته
 فيجذبه من بين اهله واحبته فهناك تنقطع عاليق اوهامه وتتبث
 حبال اغتراره بأيامه ولترك لآن الكلام في هذا الشأن وادخل بنا
 البستان نريح المخاطر باستنشاق ارجه العاطر وفتح الناظر بزهره
 الظاهر فساروا حتى دخلوا فكأنوا كلما مرّوا بنوع من ازهاره او
 ناحية من نواحيه او شجرة من اشجاره ساله الشيف عنها فيطنب له
 في وصفها وخصوصها ولطفها الى ان وصلوا كهفا حوله اشجار يسمع
 منه تغريد اطياف فوجدوا عنده مصطبة من حجرجلوس كل من

در فجلسوا وانفق ان ذلك اليوم كان يوم فتح مجاري المياه يجتمع فيه خلق كثير من اهل باريز وغيرهم فحصل عند الشين من العجب ما ذهب به كل مذهب فسال صاحبه الانكليزي عن اصل هذا المكان وعمن زخرفه واتقنه هذا الاتقان

فقال له الأولى ان تسأل في ذلك صاحبنا الفنساوي لانه ادرى باحوال بلاده فقال له الفنساوي هذا من حسن اخلاقكم والا فتاريخ هذه البقعة مشهور بين الخاص والعام من اهل اوروبا لان له حوادث جسمية في ازمنة مختلفة ترتب عليها تقلبات كثيرة فيغلب على ظني انها بعض معلوماتكم ولكن هكذا يكون الظرف عند ربابه فاقول ان هذا المكان لم يكن في الاصل كما تراه الان بل كان بقعة لا توelf ولا تسكن ما بين مخفض وعال ومجاري المياه وتلال لا شيء بها سوى غابات ولا يأوي اليها الا الحيوانات وكذلك المدينة التي تراها على ما تراها عليه لم تكن الا عبارة عن كفر صغير مشتمل على قليل من البيوت كالعشش لا يسكنه الا اوغاد الناس وطغامهم هكذا كان اصل هذه البقعة ثم في القرن السادس عشر من الميلاد انشئ به كنيسة ثم مارستان لمعالجة من يمرض من خدمتها لانهم كانوا رهباً لا مأوى لهم سواها فبقيت كذلك مدة واعظم محل كان بها في ذلك الوقت بيت لاحد البروتستانيين الذين نجوا من القتل في واقعة

برتلي ثم قبض عليه وقتل واستولت الحكومة على جميع ممتلكاته
وانعم بيته على بعض من يلوذ بالملك الى ان تولى لويس السادس
عشر فأخذ ارض ذلك البيت واضاف اليه ما بحوزه من الارض
وانشأ في الجميع قصراً وحدائق

قال الشيخ اذا كان هذا المكان في الاصل على ما ذكرت
من الصفة فما الذي اعجبه منه حتى الفه

قال الفرنساوي لا شيء الا انه كان يهوى الصيد وكان
ذلك المكان بطريق غابة مشهورة بالحيوانات الغريبة ولم تكن
سلك الحديد وقتئذ موجودة فاتفق انه ذهب مرتاد ليصطاد
فامضى عليه الوقت فبات فيه في طاحونة مهجورة وامضى عليه
الوقت مرتة اخرى فبات في خماره فاشترى تلك الارض وما يجانبها
ووضع فيه ما يلزم له لیأowi اليه اذا حصل له مثل ذلك ثم لما
اتم القصر والحدائق شرع في عمل سكة الحديد بين قصره وباريز
واجتهد في تصفيته هوائه فجمع العمال من الرجال وازال ما كان
حوله من التلال وطم المخضص وردم المناقع فألفه الناس وانخدوا
لهم به مساكن فاتسعت عمارته وتغيرت صفتة ثم مرض الملك
مرضاً شديداً فوكل امر الملك الى امه ماري ميديسي فاسأت
التدبير ولم تعول في امر المملكة على وزير ولا مشير بل سلكت
طريق العسف ففسد ما بينها وبين رجال الحكومة خصوصاً
ريشليو وكان من اعيان رجال الدولة واقر لهم الى الملك فانها

فعلت معه ما لا ينبغي فعله مع مثله فلما برأ الملك من مرضه
 وجلس مكانه رأودته أمه في طرده وطرد من ينتي إليه فلم يوافقها على
 ذلك بل أرسل إليه ليرده إلى ما كان عليه فوجده متأنياً للخروج
 من البلد خوفاً على نفسه من سعاية أم الملك به فامته فعدل عنها
 كان عازماً عليه وحضر إلى الملك وترجاه في أن لا يعود إلى
 الخدمة أثلاً يقع بين الملك والدته شيء بسببه فلم يقبل عذرها
 بل الزمه المقام معه لعلمه بصدقته وكفايتها فلما لم يجد له مخلصاً
 من المقام معه قال له إن كان لا بد من ذلك فأول ما أشير
 به عليك أن تعلم طريقة تأمن بها شرهولاء المفسدين إشارة لقوم
 ساهم وفيهم والدة الملك فقال له الملك هذا رأي سديد وكلما
 أشرت به في حorem قريب غير بعيد فقال ينبغي نفي فلان وفلان
 حتى والدة ففعل كما قال وامر بتنفيذ في الحال حتى والدته
 فلم تعد للملكية بعد ذلك وجعل المحلى والعقد بيد ريشليو
 فنفذت كلامه وقويت شوكته وقام بتدبير الملكة وحده وبلغ
 من نفوذه الأمر وحسن الرأي حداً لم يبلغه أحد قبله ولا بعده
 فاكتسبت هذه البقعة في تلك المدة من الرونق والبهاء ما يجعل
 عن الإحصاء ثم لما مات الملك وجلس محله ابنه لويس الرابع
 عشر احتفل بها وصرف فيها أموالاً كثيرة حتى نقلها إلى حال
 أحسن من حالها الأول فكان هو الذي انتهت هذا الاقتان
 وجعلها على هذه الصورة التي تراها الان فان الملوك الذين

اتوا بعده وان كان لهم بها اثار الا انها ليست شيئاً بالنسبة
 لما ابتدعه هو كما هو ظاهر فجميع ما تراه فيها مما يسر الناظر
 ويشرح المخاطر ليس الا من اتقان الملك المذكور وكان الذي
 اغرى على هذا المكان حتى ابرزه في غاية من الحسن والاتقان
 عشقه لاحدى توابع الملكة وكان لا يمكن من منادمتها الا في هذا
 المكان فما اغرى واغواه الا داء الحب الذي اعتراه ففصل هذه البقعة
 تفصيلاً غير تفصيلها الاول وجمع فيها الرسوم الهندسية وصور
 الحيوانات وغرس حول بعض الاقسام ازهاراً وحول بعض اخر
 اشجاراً ورتب في كل جهة فساقى وحيضاناً ونواصي وخلجاناً ومغارات
 وصخوراً ونحو ذلك من كل ما له نظير في البراري والجور
 وجعل فيها اماكن لمن اراد ان يستريح من التعب واماكن لمن
 اراد اللعب واماكن للحيوانات البرية ومثلها لانواع الطير وكان
 يجعل بها في بعض الاوقات ولا يصرف فيها ما لا يصرفه ايام الموسم
 ولما رأى ان ماء البرك المجاورة لها لا يفي بما انشأه فيها من الفساقى
 والخلجان وستقي الاشجار جمع المهندسين وامرهم بعمل طريقة لتكثير
 الماء بها فصنعوا لها آلات جسمية تنقل الماء من نهر السين اليها
 وصرف على ذلك اموالاً عظيمة حتى وصلت اليها فلم يكتفى بذلك
 بل جمع العساكر والعمال وامرهم بحفر النهر المعروف بنهر الاور
 فاقاموا في حفره مدة كابدوا فيها انواع المشاق ومات كثير منهم
 ومع ذلك كان لا يرى لهم ولا يرأف بهم بل كان يتهدى

المأمورين ويتوعدهم ويعاقب كل من تأخر عن العمل
 قال بعضهم انه اجمع في حفر هذا النهر ما ينفي على
 ثلاثين الفاً واما قدر ما صرف على القصر فلم يتحقق الا أنني
 رأيت بعض اوراق تدل على ان ما صرف فيه مائة وتسعمون
 مليونا وقتعه هذا ومع قيام الحرب واستعمال نارها كانت العملية
 في القصر مستمرة ما بين نقاشين وبنابين ومصورين الى ان اشرف
 الملك على الارتحال وقربت اليه اوقات الزوال فبني كنيسة رتب
 فيها قسسا وخدمها فكان يحضر اليها كل يوم احد وخميس فقلده
 في ذلك اتباعه وخواصه فكان اذا حضر اليها تبعوه وازدحموا عليها
 واذا تخلف لم يحضر منهم احد وكان غالب ايمان ذلك الملك مصروفه
 في تنظيم هذا المكان فكان يقسم اوقاته فيجعل وقتا لنومه ووقتا
 للمطالعة في اخبار دولته وقومه ووقتا لخلوته واجماعه باحبه
 ووضع بجانب سريره لoha عليه رسم صورته وصورة امه وزوجته
 فاذا اتبه من نومه كانت تلك الصور اول ما يقع بصره عليه وكان
 اذا جاء وقت قيامه من نومه دخل عليه الموكل بخدمته فينبهه ثم
 يخرج ويدعو بالحكيم ومن يلوذ به فيغمرون رجليه ويلقون عليه
 بعض عبارات غزلية وكلمات هزلية حتى يعود اليه نشاطه ونتراجع
 اليه حواسه ويتم انبساطه ثم ترفعستارة فيدخل عليه احد خواصه
 ومعه كتاب الدعوات فياخذه منه ويدخل به خلوة فيمكث فيها
 ما شاء ثم يعود الى مكانه ويلبس ثيابه وينخرج فيجد القسس والعمال

في انتظاره فإذا وقع بصره عليهم وقعا له ساجدين ثم يامر كلا من
عماله بالانصراف الى اعماله فينصرفون ويبقى هو مع بعض خواصه
يتحدثون في حيل الصيد وانواع المصيد هكذا كان دابه فانظر الى
هذه المدينة بعد ان كانت في اول امرها كفراً لا يذكر كيف صارت
احسن مدينة في الدنيا وما ذاك الا لاقامة الملوك بها واحتفالهم
بسأنها وتنظيم شوارعها وجمع انواع الملاهي في مرابعها فعمرت
ضواحيها وملأت الخلق نواحيها وانشى بها خامير كثيرة ومحلات
مزخرفة لمبيت الاغرب وورد اليها الخلق من كل جهة خصوصاً
ايم اطلاق المياه وغلت اجرة البيوت بها غلوا لا يخطر ببال وقل
ان يوجد بها محل الاجرة خال فكانت فرساي مدة جلوس لويس
الرابع عشر على التخت محل انس وانشراح وولائم وافراح ثم اتى
ولده من بعده فلم يجر على سنن والده في تقسيم اوقاته على ما قدمنا
بل صرفها جميعها في حظوظه النفسية ما بين مخادنة نساء وفحور
ولعب وهو وشرب خمور حتى كان من شدة اكيابه على المنكر مع
احبابه يجعل له آلة توصل اليه ما لزم من غير احتياج الى خدم
فافقيل عليه المفسدون من كل حدب وحسنوا له القبيح من الشهوات
واغروه بسائر المنكرات فعم الفساد وانتشر بين العباد ولا تسأل عما
كان يهديه الى النساء فإنه ما يجيء عن الاحصاء وقد بلغني من
فعله القبيح واسرافه انه اهدى مرة الى بعض صواحبه قلادة ثمنها
مليون وستمائة الف فرنك فانظر كيف كانت هذه البقعة مدة

لويز الثالث عشر و مدة من جاء بعده وكيف صارت مدة لويز
 السادس عشر من حسن حالها واستقامة احوال نساعها ورجالها
 حيث كان حسن السيرة ممدوح الفعل والسريرة يحب العلم واهله
 ولم يرتكب شيئاً مما ارتكبه من كان قبله الا ان الزمن الذي كان
 تصرّم في الفساد قد الزم الرعية وكذا الحكومة بدبيون لا يرجى لها
 سداد فشكوا اليه ذلك فرق لحالم و اخذ يجمع ما تشتت من شملهم
 ويهون عليهم الامور و يعدهم وينهيهم بما يجلب لفلوهم السرور
 وكان الذي قبله قد شرع في اعمال جسمية نافعة كبناء مينا شربور
 وحرف خليج سربوني مع خلو خزينة الملكة من الدرهم والدينار
 واضطرار الرعية الى من يتضرر في احوالهم اشد اضطرار فجتمع النواب
 وكل من اشتهر من رؤساء الطوائف فكانوا الفا و مائتين واربعة
 عشر و جعلم ثلاث درجات

الاولى القسيسون ومن يليم فكانوا ثلاثة وثمانين
 الثانية اعيان المدينة ووجوها فكانوا مائتين وثمانية وتسعين
 الثالثة اعيان الزراع وعرفاء القرى وارباب الضياع فدانوا
 ستمائة وسبعين وامر بتهيئة محل لهم يجتمعون فيه فهيسوا لهم المكان
 الذي هو مدرسة ابتدائية الان وعينوا يوماً لافتتاحه فحضر الملك
 وكان عن يمينه اهل الديانة وعن يساره وجوه اهل المدينة وجلس
 الوزراء على قدر مراتبهم وكانوا جميعاً في ذلك اليوم قد حضروا
 وعليهم ملابس الزينة الموسأة بالذهب وغيره ما عدا الاهالي فكانوا

بهأتم المعتادة وبعد ان كان هذا المجلس يسمى ب مجلس النواب
 ابطلوا هذا الاسم وسموه ب مجلس الملة وما كان من عادة امثالهم في مثل
 ذلك ان ينزعوا برانطم ويظلوا واقفين ولم ترتع تلك العادة في
 ذلك الوقت قال بعض الحاضرين هذا خروج عن العوائد
 الرسمية وخلل في القوانين السياسية وأكثروا من الكلام في ذلك
 فلم يلتفت الملك إليهم وشرع في مقالة تلاها عليهم فذكر فيها مسئلة
 الدين وعدم انتظام عوائد الفردة ونحو ذلك من الامور التي تضرر
 منها الاهالي ثم ختمها بامر النواب بالاتفاق على طريقة لاصلاح
 خلل هذه الابواب ثم قام ناظر الخاصة وتلا مقالة بين فيها ما
 اجله الملك في مقالته فذكر ان قدر الدين ثلات مليارات وتسعون
 مليونا وان الایراد لا يقوم بالمنصرف بل ينقص عنه في كل سنة نحو ستة
 وخمسين مليونا وخمسائة الف فرنك وان قدر الایراد خمسائة
 واحد وثلاثون مليونا واربعمائة واربعون الف فرنك وان من
 العدل والانصاف ان تكون وجوه الناس كغيرهم في الفردة وان
 جميع ما يلزم للحكومة يوزع على جميع النفوس من غير تمييز بين رئيس
 ومرؤس ثم قال فاما ان تتقوا جميعا على كلمة واحدة واما ان
 تبدى كل طائفة ما يظهر لها وعلى كل لابد من اعمال الفكر في
 تخلص الحكومة من ورطة هذا الامر ثم اذن لهم بالانصراف
 فانصرفوا فلما كان اليوم الثاني حضروا فقالوا الصواب صرف
 النظر عن اراء رؤس الطوائف وان يؤخذ رأي كل شخص على

حدته فنـ كـانـ اـكـثـرـ عـلـمـ بـرـأـيـهـ فـنـفـرـ بـعـضـهـ مـنـ هـذـاـ الرـايـ فـلـماـ بـلـغـ
 الـمـلـكـ ذـلـكـ اـمـرـ بـعـدـ تـغـيـرـ الـمـعـتـادـ وـنـهـىـ عـنـ الدـخـولـ فـيـ كـلـ اـمـرـ
 يـوـقـعـ بـيـنـ النـاسـ الـفـسـادـ وـاـذـنـ لـهـ بـالـاـنـصـرـافـ فـاـنـصـرـفـواـ وـاـغـلـقـتـ
 الـاـبـوـابـ فـنـشـأـ مـنـ ذـلـكـ اـمـرـ لـاـ يـحـصـرـهـ لـسـانـ وـلـاـ يـحـيـطـ بـهـ جـنـانـ
 كـاـهـوـ مـذـكـورـ فـيـ تـوـارـيخـ الـاـمـةـ الـفـرـنـسـاـوـيـةـ فـتـرـتـبـ عـلـىـ ذـلـكـ تـدـوـينـ
 الـاـحـکـامـ الـسـيـاسـيـةـ وـالـقـوـانـيـنـ الـفـرـنـسـاـوـيـةـ وـظـهـرـ نـاـبـلـيـوـنـ بـوـنـابـرـتـ
 وـتـعـصـبـ الـدـوـلـ عـلـىـ الـاـمـةـ الـفـرـنـسـاـوـيـةـ فـاـنـتـصـرـ عـلـيـهـمـ وـسـتـكـلـمـ عـلـىـ
 مـاـ وـقـعـ بـيـنـ هـوـلـاءـ الـقـوـمـ فـيـ يـوـمـ بـعـدـ هـذـاـ يـوـمـ

المسامرة التسعون

المجولوجيا

او علم طبقات الارض

ثم ركبوا سكة الحديد وتوجهوا الى باريز فصادف دخولهم
 غروب الشمس فاستأذن صاحبهم الفرنساوي وتوجه الى منزله وبقى
 الشيخ مع صاحبه الانكليزي ولما لحق كلا منهما من التعب من كثرة
 المشي طول يومه استأذن كل منهما صاحبه ودخل محل نومه وعند
 الصباح اتى الفرنساوي الى الانكليزي فاخذه وذهب به الى الشيخ
 فلتلقاها بالقبول واحسن لها في القول ثم قال الفرنساوي للشيخ
 كتبت الى صاحبنا الانكليزي كتاباً برجوته فيه تبليغ السلام
 الى حضرتكم وان يترجمكم في قراءة دروس لنا في علم العربية
 بالمدرسة المشرقية وقد سألته البارحة عما تم عليه الامر فأخبرني انكم

قبلتم رجاءه فارسلت الى اعضاء الجمعية ابشرهم بذلك فسروا جميعا
غاية السرور و كانوا يظنون ان اجابكم الى ذلك من ابعد
الامور

فقال الشيخ قد نجحت مقاصدكم لا خاب قاصدكم وكيف امتنع
من ذلك والعلم بمن اهله ان يمنعه اهلها وها انا مستعد لما ترجمون
ومتهيئ لما ترغبون ولم يكن البايع ثلي على اجابكم ما ذكرته في
المكتوب الذي حررتنه بل اقول كما قال انا موصول بنعمة من
حبله بالولد موصول ثم اتقوا على اليوم والساعة وقام الفرنساوي
مع الانكليزي واذا بابن الشيخ دخل عليه وقبل على عادته يديه
فاخبره والده بما صار وبما اخطط عليه القرار وانه عازم على انجاز
الوعد ومتوجه اليهم في بعد غد

فقال له ولده ان يعقوب اخبرني حين استشعر بهذا الخبر ان
له رغبة في حضور هذا المجلس ولكنه يخشى ان لا يأذنوا له
فقال له الشيخ قل له عني لا عليك من ذلك ولا مانع من
حضورك معنا هنا لك ثم أذن لابنه بالانصراف وحذر من تضييع
الوقت اذا اراد الطواف وكأنها كانت كرامة للشيخ فان يعقوب كان
قال له قبل دخوله على والده ان هنا مكانا على نحو ساعة من
باريز يعمل فيه في مثل هذا اليوم كما يعمل في الموالد في بلادكم
وفيه ما يشرح الخواطر ويسر الناظر فلما خرج من عند والده
فاخبره بما قيل في شأنه تم انساطه وتبه نشاطه وقال له هل لك

في الذهاب الى هذا المكان لنرى ما فيه وتنشق نسات هاتيك
الجتان فلم يجد له بدا من الموافقة عملا بقولهم شرط المرافقة الموافقة
فركبا عربة وسارا فقال له ابن الشيخ اذكر ايام كا راكين البحر
حين كان نرى دخانا صاعدا الى السماء فكتنا راه في الليل كانه
مختلط بشهب ولهب وكان الخواجا يقول لوالدي انه خارج من
جوف الارض فاظن ان هذا من ذلك وذلك يقضي بوجود حرارة
شديدة في جوف الارض حتى تذوب منها هذه المعادن والاحجار
وتندفع على وجه الارض وئن سلمنا بذلك فكيف وصل الانسان
إلى جوف الارض حتى علم ما هناك

قال له يعقوب قد سألت عن مسائل مشكلة والاجابة عنها
على مثلي معضلة ولكن على حسب الامكان اذكر لك ما يحضرني
فيها الان مما سمعته من بعض العلماء واطلعت عليه في كتب
الفلسفه الحكماء انما يجب ان تعلم اولا انه لا ينبغي للانسان ان يبحث
على الاشياء بظواهرها وانها كانت كذلك من اول امرها فان
الارض التي تراها مكسوة باصناف النبات مملوءة بانواع الحيوانات لم
تكن قبل ذلك كذلك حتى المدن التي تراها الان عاليه البناء
معهودة بالسكن لم تكن كذلك بل لا بد وان يكون قد تداول
عليها ثلبيات منها ما اوقع اهلها في مضرات ومنها ما يسمى ثياب
ثروة وسعادات فاذا كان هذا فيما على ظاهر الارض فلا مانع من
ان يكون ما في باطنها كذلك فانما لو نزلنا الى ما في جوفها من مغارات

عميقة كمغارات الفحم الحجري مثلاً لوجدنا حرارة باطنها أشد من حرارة ظاهرها وهكذا كلما نزلنا ثلاثة وثلاثين متراً نجد حرارة أشد مما فوقها وأيضاً فان الأرض مركبة من طبقات ومعادن بعضها فوق بعض منها المستقيم وغيره وقد يكون بعض الطبقات مفصولاً عن بعضه بادة ليست من جنسه وغير ذلك مع اننا لو نزلنا الى باطن الأرض وامتنا النظر لوجدنا في خلال مادتها بعض عظام واثر بعض نبات فمن اين كان هذا النبات والحيوان واي حيوان كان ومنى كان في هذا المكان أفلأ يدل ذلك على وجود تقلبات مضت في الاعصر والأزمان التي انقضت وقد اعني علماء كل زمان بالبحث عن هذه العظام فظهر لهم انها عظام حيوانات كانت في ازمان مضت ثم انقرضت عن اخرها

وحيث كانت تلك العظام غائرة في جوف الأرض وعلى بعد عظيم من سطحها ينبغي القطع ببرور تقلبات عظيمة وادوار مختلفة او جبئ بلاها وامتزاج ما بقي منها بالمواد المعدنية والمحجرية فقال له ابن الشيخ واي علم يشرح هذا الحديث وهل هو قديم او حديث

فقال يعقوب العلم الذي يذكر فيه ذلك يسمى باللغة الفرنسية علم الجيولوجيا ومعناه علم طبقات الأرض او علم تكوين الأرض وهو علم حادث لم تؤسس قواعده ولم تنشر فوائده إلا في القرن السابع عشر من الميلاد ومستنده المشاهدات والاطلاع على ما خفي من

طبقات الارض فكانوا كلما كشف لهم شيء اثبتوه واستنبطوا منه
غيره ولذا ترى هذا العلم دائمًا يتسع شيئاً فشيئاً وهو علم نفيس اذ
به يمكن نسبة كل طبقة من طبقات الارض الى الزمن الذي
 تكونت فيه وخشى ان تكلمت معك فيه ان تسام من طول
المقام او كثرة الكلام

فقال قل ما شئت ولا تصر في الاوضاح ولا تجل بالافصاح
فاني لكلامك سامع

فقال يعقوب اذ قد الزمتني بالاجابة وان اين لك خطاء
الرأي وصوابه فاقول

اعلم ان علماء هذا الفن يقولون بغير ظاهر الارض وباطنها
اما تغير ظاهرها فيما هو مشاهد لكل احد واما تغير باطنها فقد استدلوا
عليه بشيءين احدهما وجدوه في خلال طبقاتها من الاثار
الحيوانية والنباتية والثاني الانقاد والاشتعال الذي وجدوه في
باطنها كالذي رأيناه حين كما بالبحر فلما رأوا ذلك قالوا لا بد
ان يترتب على هذا الانقاد فوران وغليان يوجب تعدد
الطبقات وارتفاع كل طبقة على التي فوقها وان تخخل بعض
اجزاء الطبقات السفلی بين اجزاء الطبقات العليا ومن ذلك
العظم ونحوها وكارج البحث عن هذا الامر في اول الزمن
مجهولاً فكان بعض القدماء اذا رأوا اثر حیوان او نبات اكتفوا
برؤيته ولم يبحثوا عن سببه وبعضهم يعده جزء من اجزاء الارض

وبعضهم ينسبة الى ما يشبهه من الحيوانات الا انه كان يخترع له بعض حكايات خرافية واقوال وهيبة فينقلها عنهم من يأتي بعدهم ثر من بعدهم وهكذا فمن ذلك ما نقل عنهم وكانوا قد رأوا عظماً يشبه بعض اعضاء الانسان فنسبوه اليه وقدروا له طولاً وعرضًا غير طوله وعرضه المعروفي

وأول من تكلم في هذا الفن العالم الشهير الفرنساوي المسى بيرنار باليس وكان في القرن السادس عشر من الميلاد فالف في ذلك كتاباً بين فيه ان جميع الآثار النباتية والحيوانية التي توجد خلال الاحجار لم تكن الا بقايا حيوانات وأشجار كانت مخلوقة في قيungan الجمر وحملها الان هو الذي كانت خلقت فيه من قديم الزمان ثم اتى من بعد هذا العالم في القرن السابع عشر علماً ايتاليون فاقتتفوا اثره وقالوا برأيه وصاروا يكتبون كلما رأوه من الآثار وينسبونها الى اصولها ومن ذلك العهد اتسعت دائرة هذا العلم وكثير اهله ثم انهم اتقسموا قسمين قسم ينسب تكوين الارض الى النار وقسم ينسبة للماء وكل اقام على مذهبة دليلاً اسس قواعده واثبت بالبراهين فوائده مع اجماعهم على ان جميع ما يوجد من آثار الحيوانات والنبات كان له اصل في الخلقة وطريق الاستنباط من هذه الآثار طويل لا حاجة لنا به الان فعلى اي حال لولا وجود هذه الآثار واستعمال اهل هذا الفن بها اثناء الليل واطراف النهار لكان هذا العلم الى الان في حيز الامال كعلم قدماه المصريين فانه بقي زماناً

طويلا لا ينفت اليه وكان كثير من الناس يظنه مجرد نقش وصور ولا يخطر بباله انه من عظيم الاثر الى ان ظهر شامبليون الفنساوي فتأمل في اصوله وقواعد واظهر المخبأ من فرائه حتى وقف على تاريخ المصريين وعلم كثيرا من حوادث الاقدمين فكذلك هذا العلم فان العالم الشهير المسي كوفي الفنساوي ما تكلم على تكوين الارض والتقلبات التي استترتها من بدء الخلق الى زمانه والتي تتعريها الى الان لا من تبعه تلك الاثار وامتحانها ونسبتها الى ما يشبهها ولما اشتعال المواد وانقادها في تخوم الارض فكان الاقدمون يقولون به فوافهم على ذلك المتأخرون وبنوا ذلك على امور منها ازدياد الحرارة كلما تعمق الانسان وتغلغل في جوف الارض فانه كلما نزل ثلاثة وثلاثين مترا زادت الحرارة درجة كما تقدم ومنها البركان والمياه النابعة من جوف الارض ومنها البخار الذي يصعد من جوف الارض في بعض البقاع فهذا كله دليل على وجود الحرارة

وبناء على ما قلنا من زيادة الحرارة درجة في كل ثلاثة وثلاثين مترا تكون الحرارة في المركز ١٩٥ درجة وعنده ذلك تكون جميع المواد التي في هذه الدرجة تامة السيلان ويؤخذ منها اسلفنا ان الطبقة الظاهرة التي تجمدت بتأثير البرودة كانت قبل ذلك سائلة بتأثير المواد السائلة والابخرة المحبوبة تحت الارض فلما اثرت البرودة في القشرة الظاهرة جمدت المواد المقذوفة المهاسة

لها وتفص حجمها نحو العشرة كما هو شأن كل مائع تجمد
 وحينئذ تكون الطبقة الارضية التي هي ظرف اوسع من
 مظروفها فربما كان بينه فضاء وقد يمتلاً واذا حصل في الظرف
 انخفاض وارتفاع تكون من على ظاهره ما يسمونه سلاسل الجبال
 وقد ينفتح الظرف فتحات فتخرج منها مواد سائلة فترتفع الى الجو ثم
 تسقط على سطح الارض فيكون منها هذه الجبال الشائخة الموجودة
 في جميع جهات الارض هذا اذا كانت الفتحات واسعة فان كانت
 ضيقة عادت المواد المقذوفة منها اليها فكان ما يسمونه العروق
 المعدنية او الحجرية وقد يكون الخارج من تلك الفتحات مواد
 معدنية او حجرية فيتحلل منها مواد ملحية او جيرية او غير ذلك فاذا
 اخلطت بالبخار كان من املاحها ما يسمونه ارض الرسوب فاذا
 تقرر ما ذكرناه من احوال القشرة الارضية وما يعرض لها علمنا انه
 مغير لصورتها ومبدل لهيئتها وانه ناقل للبخار عن مواضعها ولكن
 لا يكون ذلك الا بعد مضي ادوار من الزمن طويلاً تسكن الارض
 وتستقر في كل دور منها فتنقل المواد السائلة منها الى مواضع
 قريبة او بعيدة عنها على اختلاف نأثير الماء قوة وضعفاً فاذا استقرت
 كان ما يسمونه الارض المنقوله وما ذكرته لك في بيان اصل
 الجبال والصخور والبركان والعروق المعدنية وتوج الطبقات
 الارضية وقذف المواد السائلة في باطنها الى ظاهرها وتخلل بعضها
 بين طبقاتها وبيان ارض الرسوب والارض المنقوله اما هو على سبيل

الاختصار ولا فالكلام على ذلك بعید الفرار
 وقد جعل علماء هذا الفن جميع المواد المقدوّفة التي تكونت
 منها كرّة الارض ثلاث طبقات
 الأولى الطبقة التي كانت سائلة ثم جمدت بالبرودة وسموها
 الارض المتبلورة
 الثانية المواد التي في قرار الحجار كالرمال ونحوها وسموها
 اراضي الرسوب

الثالثة الارضي البركانية وتسى المتبلورة ايضاً الا ان تلك لها
 صفات تميزها عن غيرها كالاثار النباتية والحيوانية وهذه تحدث من
 تأثير المواد الكامنة تحت الارض وهذه الطبقات الثلاث وان كان
 بعضها فوق بعض الا انها ليست على نسبة واحدة ولا كانت معرفة
 علم تكوين الارض سهلة لا صعوبة فيها اذ بتواتي فعل البراكين
 وقد فرقها بانواع مختلفة في مواضع وازمان متعددة تكون الطبقات
 التي تحدث ما يقذف تارة متقطعة وتارة تستحيل الى نوع ارضي
 الرسوب ويبدل النوع بغيره فحيثئذ لا بد لكل من اراد ان يقف
 على حقيقة اي ارض ان يعرف اولاً ما قبل فيها ومن اي نوع هي
 ثم بعد ذلك يحكم عليها

فقال ابن الشجاعي عليك امور ذكرتها ولم تأتِ لها ببرهان
 قلت ان هناك حرارة مركزية ولم تذكر سببها وهل هي سابقة على
 التكوين ام حصلت بعدها وذكرت ان البرودة توثر في الارض

ونسبت إليها تجاهد الطبيعة الارضية السطحية حتى حبسه تتجاهلها
المواد الداخلة وانه يحصل في الطرف بواسطة البرودة ارتفاع في
بعض المواقع وانخفاض في بعض اخر فتحدث الوهاد وسلال
الجبال ولم تبين اسباب هذه البرودة وكذلك ذكرت المياه ولم
تذكر سبب جريانها هل هو تلك المواد المقذوفة لم غيرها وعلى كل
فأين كانت مواد التكوين قبل وجود الكون

قال يعقوب لا تعجل علي " فاني اعلم انك ستسألني عن ذلك
كله وإنما اخترت بيانه لضرورة تعميم الكلام على المقدمات التي سمعتها
فإذا ثبتت في ذهنك اتبعتها بذكر المقصود من هذا العلم وهو معرفة
مادة الأرض وكيف كانت قبل ان تكون بهذه الكيفية واي شيء
اثر فيها حتى صارت في هيئتها الحالية وجرت فيها المياه وعمرت
بالإنسان والنبات وسائر انواع الحيوانات فاقول لا يخفى عليك ما
تقدم ان درجة حرارة مركز الأرض كبيرة جدا لا يقاومها شيء ولو
كان في غاية الصلابة فعلى هذا بلزم ان تكون جميع مواد الكون
في ذلك الحين بخارية وإن يكون حجمها وقشذ قدر حجمها جامدة
الفا وثمانمائة مرة ولذلك قالوا ان حجمها كان قريبا من حجم
الشمس الذي هو قدر كرة الأرض الغامرة ولكن بدوران المادة
الارضية في الفضاء البارد الحبيط بها من جميع جهاتها كانت تبرد
باتدرج الى ان انتقلت من الحالة البخارية الى حالة الميوعة ثم الى

الصورة الكروية التي يقبلها كل مائع وتوضح ذلك يعلم من علم
يقال له علم تحريك الأجسام

وحيث كان للارض بدورانها حول محورها حركة خاصة
بها يترب عليها تعاقب الليل والنهار كما هو مذكور عند اهل
هذا العلم حصل لها وقت ان كانت سائلة من الانفاس والاستدارة
ما يحصل لاي مائع دار حول محوره با ان علت وانتفتحت من وسطها
وهو المنطقة المسماة بخط الاستواء وانبسطت وهبطت من طرفيها وها
المحلان المعروfan بالقطبين فتغير شكلها وبعد ان كانت بخارية
صارت مائعة ولم توثر البرودة في جميع المواد بل منها ما بقي على
حالتها الاصلية فكان منه جو عظيم السعة له اشعة منتشرة في الفضاء
يتحلل منها الجرة الماء والمواد الارضية واما لم تتحدد لان حرارة الجو
في ذلك الزمن كانت شديدة حافظة لبقاءها على حالتها البخارية
ولان ضغط الجو على الكرة في ذلك الزمن كان اقوى من ضغطه
عليها لان لقله بما فيه من الابخرة المائية والتربوية والمعدنية فلم
تبعد وتنزل لشدة الحرارة والضغط وفتئى ولا شك في ان جميع
ابخرة الجو كانت فوق بعضها على حسب ثقلها وخفتها فكان اثقلها
اسفلها وهي الطبقة التي تلي الارض كالابخرة الحديدية والخاسية
والبلاتينية فكانت هذه الطبقة في غاية التقل والكتافة وفوقها ابخرة
الماء الاقل منها ثقلا وكتافة كابخرة الاملاح المعدنية والكبريتية
والفسفور وفوق هذه الطبقة ابخرة الماء الهوائية الخفيفة الصافية

كنجار الماء والاوكسجين والازوت والاسيد كربونيك وهذه الانجنة
 كلها وان كانت متفاونة ثقلا وخفة لا انها كانت دائما في تقلب
 واستحالة من حالة الى حالة فكان ينفصل منها تيارات وعواصف
 فتیزق ماجاورها من الطبقات وتنفذ منها فيكون لها عند ذلك
 رعد وبرق اعظم مما تسمعه الان وكذاك كرة الارض تتأثر من
 المواد التي في جوفها ف يحدث فيها كذلك تيارات شديدة تدفع تلك
 المواد الى جهات مختلفة فيتولد منها ما يقال له الکربائية فيكون
 لها عند ذلك من الرعد والبرق والاصوات المختلفة فوق ما تسمعه
 الان هذا ما كانت عليه الارض والجو في مبدأ امرها وكانت
 الارض وما يحيط بها سائرة في مدارها في فضاء متسع محيط بها
 من سائر جهاتها وبسبب شدة برودة الفضاء التي كانت بحيث
 لا تنقص عن مائة درجة تحت الصفر كان كلما تقادم الزمن
 وقوى تأثيرها على الارض نقصت ميوعتها واخذ ظاهرها في
 الانجماد شيئاً فشيئاً ولم يحمد دفعه واحدة بل في نقط متفرقة
 وازمنة مختلفة ثم تجمعت واتصلت بعضها حتى سرت الكرة الملتئبة
 ويظهر ان تلك الطبقة في ذلك الزمن كانت رقيقة جدا وان كان
 سمكها الان ثانية واربعين الف متر لان نسبتها لنصف القطر
 كواحد من مائة وثلاثين فلرقتها كانت لا تقاوم المواد السائلة
 داخلها بل تستشقق من بعض المواقع فيخرج من باطنها بعض
 مواد ترتفع الى الجو ثم تسقط وتتجدد ف تكون منها الجبال والعروب

التي توجد خللاً في الأرض في كثير من المواقع كالخاس والتوبينا
 والاتهوان والرصاص وهذه العروق ثانية تكون عمودية وتارة تكون
 مائلة وكثيراً ما تكون على غير انتظام وقد يتفرع من تلك العروق
 فروع ومن الفروع فروع أخرى إلى ما لا نهاية له فـ ذلك
 يظهر أن السطح الظاهري للأرض كان مختلفاً في الاتجاه والارتفاع
 والانخفاض والسرعة والشكل والتضريس وبسبب استمرار التأثير
 الداخلي عليها كانت دائماً تتغير إلى أن وصلت درجة بروادة السطح
 جداً يمكن معه سقوط المواد الجوية من الجو على سطح الأرض
 بصفة الميوعة إنما لشدة حرارة الجو كان الماء الساقط منه وقتئذ
 شديد الحرارة أيضاً لأن حرارته كانت مائة درجة فإذا نزل ووجد
 ظاهر الأرض شديد الحرارة لم يستقر عليها بل يتضاعد ثانياً ويقطع
 طبقات الجو إلى أن يصل إلى الطبقة العليا ويحل في البرودة
 فيستحيل من الحالة الجوية إلى الميوعة وينزل إلى سطح الأرض
 ثانياً في هيئة المطر فتحيله حرارة الأرض إلى بخار ويصعد في الجو
 ثانياً وهكذا كلما نزل ينقلب بخاراً وكلما صعد ينقلب مائعاً إلى أن
 يبرد سطح الأرض فيستقر عليها لأن الماء كلما نزل يأخذ جزءاً من
 حرارتها فإذا برد سطحها استقر عليها ولم يستحيل بخاراً ثم لم ينزل
 يزداد حتى عم جميع الأرض وتسلط عليهما وتتمكن من حبس الحرارة
 في جوفها وإن كانت في بعض الأوقات تتنفس بعض تنفسات
 فيتغير شكل ظاهرها ومن ذلك الوقت ابتدأت الأرض في دور

جديد ومع تسلط الماء على ظاهرها لم يزل الماء الذي في باطنها
 شديد الحرارة ولما كانت الطبقة العليا التي هي ظرف لظاهر الأرض
 مركبة من السليس والاتسيوان والبوتاسي والصودا وكانت هذه
 المواد تتأثر بتأثير الماء والهواء والحرارة حصل لها في تلك المدة
 استحالات اوجبت استقرارها في قرار البخار وصار ينفصل منها جواهر
 دقيقة كالرمل ومواد طينية ومن شدة جريان التيارات المائية كانت
 تأخذها معها إلى موضع فتركتها فيها فترسب فت تكون منها الأرض
 التي تسى بارض الرسوب ومن تأثر المواد الطينية بالحرارة ذابت
 وتجمعت فلما تعطلت الحرارة بردت فت تكون عنها الارض التي تسى
 بالارض الشيسطية اي ذات الصفائح التي منها الاردواز فمن ذلك
 يعلم ان الارض الطينية الاردوازية فوق الارض الطينية وان
 الارض في ذلك الزمن كانت عبارة عن جزيرة صغيرة يحيط بها
 ماء حار من كل جهة وان البخار كان بها طين كثير فرسب
 بازدياد البرودة وعظم به سلك الطبقة السطحية وان المواد الداخلة
 كانت تخرج منها فتكون جبالا وصخوراً صوانية وشستية وان
 البرودة كلما اثرت في الارض نقص حجمها وتفرق سطحها وخرج
 منها مواد سائلة فتحمد وتسجع الى صخور و المياه ممزوجة بمواد وان
 هذه الحوادث تكررت مرات كثيرة لا يعلم عددها الا خالقها وهذا
 نجد في طبقات الارض الاولى وهي التي تكونت في الدور الاول
 عروقاً صخرية متقاربة من بعضها وفي خلاها معادن مختلفة واما

الآثار الحيوانية والنباتية فلم يشاهد منها شيء خلال الصخور التي امتحنت في الدور الاول ولذلك قالوا ان الارض كانت في تلك المدة مجردة عن النبات والحيوان وهذا هو الظاهر لأن الحرارة كانت وقت ذاك شديدة والظلمة مطبة لكثره الابخرة المائعة من وصول حرارة الشمس الى الارض فلما تباع نزول المطر وفتق طبقات الظلمة صفا الجو ودب البرودة في الارض ووصلت اشعة الشمس اليها ومن ذلك الوقت اخذت في الظهور ولكن الحرارة لم تنعد بالكلية لم يظهر في ابتداء الامر الا بعض نبات وحيوانات بحرية محارية فكان كلما ضعفت الحرارة كثرة النبات والحيوان فكان يظهر منها في كل دور جنس فيمكث ما شاء الله ثم غيره فيمكث كذلك وهكذا الى ان وصلت الحرارة حدّاً يمكن معه بقاء نوع الانسان فعند ذلك خلق الله النوع البشري وأسكنه الارض وتمتعه بجميع ما خلق قبله فيها

وقد وجد في الطبقة الطينية آثار حيوان ونبات فاستدلوا بها على وجود هذين النوعين حين تكون هذه الطبقة واجمعوا على ان اول ظهور الاجسام الحساسة اي الحيوان والنبات كان في الماء لانه هو الذي اودع فيه سر الحياة ثم اختلفوا في السابق منها والظاهر انه النبات لان ما وجد من اثاره اكثر ما وجد من اثار الحيوان واني وان كنت اطلت عليك الكلام في هذا المقام فما تركته اكثير ما ذكرته ولعلك فهمت معتقد اهل هذا العلم في اصل تكوين

الكرة الأرضية إلى أن ظهر فيها أصناف المخلوقات وأكتست بانواع
الحيوان والنبات.

ومن جملة معتقدهم قولهم أن سبب الطبقة التي تجمدت وحبت
المواد السائلة ثنائية واربعون ألف متراً وإن تكوينها لم يكن دفعه
واحدة بل كان في أربعة أدوار

الدور الأول وجد فيه الصخر والصوان والسماق والثاني
والثالث وجد فيما باقي الأحجار الرابع وجدت فيه الأرض التي
كانت زمن الظوفان وهي التي نحن بها الان وطريقهم في ذلك كله
الاستكشاف وما عثروا به في خلال الأرض من المعادن والأحجار
وآثار النبات والحيوان

فقال ابن الشيخ لعل هذا كله مبني على ما فهموا وإن كان
الواقع خلاف ما زعموا فإن تدبير الكون وبرازه من عالم الخفاء إلى
عالم الشهود أمر لا يحيط به إلا القادر المفرد بوحدة الوجود والذي
يسعنا في مثل ذلك أن نجعله من جملة الممكن وتباعد عن القطع
فيه بشيء مما يمكن ولكن لا بأس بعلم ما قيل في هذا الفن سواء
المظنون منه والمتيقن لأن معرفة مثل هذه الأمور ربما تفيد العلم
بحقيقة الكون في سابق الدهور فالمرجو من فضلكم استيفاء الكلام
على ما قيل في هذه الأدوار وكيف كان تقلبها إلى أن وصلت إلى
الدور الذي وجد فيه الليل والنهار وعلى الأرض كيف كانت
ومتى كانت ومن أي شيء تكونت وما الذي يتميز به كل دور

عن غيره ولا تواخذني فيما عودتني عليه من كثرة السؤال وطلبي
منك الاطناب اذا شرعت في اي مجال لأن بضاعتي في هذا المعنى

قليلة ومدركتي لفهم مدرككم كليلة

فقال يعقوب لا مواخذة ولا لوم وهل توسمت مني شيئاً من
ذلك في غير هذا اليوم وكيف يكون ذلك مني او يؤثر ما يشعر به
عني ألسنت بمحسوبيكم ولا شغل لي غير خدمة جنابكم وغاية ما أقول
هبوبي امرئاً ان تحسنوا فهو شاكر

لذاك وان لم تحسنوا فهو صافع

ولكن ارى الوقت لا يسع الكلام في هذا المعنى فقم بنا الى
المجتمع لنتظر ما فيه ولا بد ان نعود الى الكلام في هذا الشأن حتى

نستوفيه



المسامة المحادية والسعون

نادرة

وكان المكان الذي جلسا فيه قريبا من الطريق ولكن
 لاستئراه بالشجر كانوا يرون الناس ولا يرؤهم فلم يحصل لأبن الشيخ
 ما كان يحصل له اذا مشى في طرق المدينة حيث كان لا يمر بطريق
 من طرقها الا رأى الناس قد احاطوا به من كل جهة كما هي
 عادتهم اذا رأوا غير ابناء جنسهم او احداً تزيبي بغير زيه ثم قاما
 ومشيا حتى بلغا المحل الذي عيناه للعربة وكانت اوقفة بجوار
 فندق دخلاء وأكلوا فيه وشربوا ثم خرجا وسارا الى الجهة التي
 قصداها فوجدا خلقا كثيرين مجتمعين في فسحة خارج البلد بها
 حوانست من خشب تقلها اصحابها وتذهب بها اي مذهب ووجدا
 بالفضاء المذكور زحاما كثيراً فنزلوا عن العربة ومشيا يطوفان من

جهة الى جهة فلم يجدا شيئاً يستغرب وتنى ابن الشيخ ان لا يكون
 الى ذاك المحل ذهب خصوصاً مارآه وسمعه ما يكدر خاطره وينفر
 طبعه وخشي ان طال المقام ان يحصل له ما يؤذيه او يتغير قلب
 والده عليه فقال ليعقوب ارحل بنا من هذا المكان فاني ما رأيت
 احداً الاً وظننت انه شيطان فخرجاً مسرعين فرأيا في الطريق محلاً
 على بابه مكتوب ما معناه من اراد ان يرى اغاظ امرأة على وجهه
 الارض واطول واقصر رجل كذلك فليدخل هذا المكان
 فقال ابن الشيخ ليعقوب ادخل بنا هذا المكان لعلنا نجد فيه
 شيئاً نتروح به وينسينا ما كان فوافقه ودخلاه فوجداه في غاية ما
 يكون من الانقان وفيه الكراسي كثيرة مصطفة فجلسا في ناحية منه
 فنظر الى صدر المجلس فوجداه خالياً وبجانبه فرجة وعليها ستارة
 وإذا برجل امرد مهول الخلقة مفترط الطول يظهر عليه سن الشباب
 قد خرج من خلف ستارة ومشي حتى توسط المحل ومعه رجل
 يقول للحاضرين هذا الرجل من الهند وطوله يزيد عن مترين
 فقام اليه اطول رجل من الحاضرين ووقف بجانبه فلم يبلغ ثدييه
 فوقف برهة كاد ان يغشى بها عليه فاخذ بيده الرجل الذي كان
 معه واجلسه لانه مع صغر سنه وطول قامته لم يكن فيه قوة للحركة
 اصلاً حتى لو دفعه اي انسان بيده لوقع على الارض ثم خرج
 رجل اخر متناسب الاعضا رخيم الصوت طلق اللسان حسن العباره
 خفيف الروح لا يبلغ طوله هندابسه وله لحية فصار يتصف

ويرقص ويصنع حركات غريبة ويفعل افعالا تدل على قوة عجيبة
 ثم عمد الى فردة من جزمه الرجل الكبير الحجم فدخلها حتى غاب
 عن اعين الناس ثم خرج منها وكان ذلك الرجل كلما خاطبه
 احد فهم بادني اشارة واجاب بافصح عبارة ثم جلس بجانب الرجل
 الاول وخرجت امرأة لم ير اغلظ منها فأخذت تتحرك كأنها ترقص
 وتترنم وتعاني خفة الحركة وغليظ الجسم يمنعها وتكلف السرعة وثقل
 البنية يدفعها فلما انقض الثلاثة من لعيهم خرج ابن الشيخ ويعقوب
 فوجدا بالباب ازدحاما لم ير ياه حين دخولها وقد احاط بها حلق
 كثيرون من كانوا داخل المحل وخارجه فلم ينفذوا من بينهم الا
 بغاية المشقة ثم سارا الى ان وصلا العربة فركبها فقال ابن الشيخ
 يا عجبا لهذه الامة ويا ليت شعري ما اوجب انكابهم هذا الانكاب
 وزدحامتهم علينا حين خروجنا من الباب

قال يعقوب هذَا دَأْبُ الْأَفْرَنجِ خَصُوصًا الْفَرْنَسَاوِيَّةِ فَإِنْ
 لَمْ عَنِّيْبَةَ بِكُلِّ مَا يَرَوْنَهُ مُخَالَفًا لِعَوَائِدِهِمْ وَلَوْرَأْوَهُ الْفَرْمَرَةِ
 قَالَ إِنَّ الشَّيْخَ وَيَا لِيْتَهُمْ أَفْتَصَرُوا عَلَى النَّظَرِ مِنْ بَعْدِ وَلَمْ تَنْتَدِ
 إِلَى ثَيَالِيِّمِنْهُمْ يَدْبِلْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقْبِضُ عَلَيْهَا وَيَتَأْمِلُ فِيهَا وَبَعْضُهُمْ
 يَقْلِبُهَا ظَهِيرًا لِبْطَنَ كَانَهُ يَشْتَرِيهَا فَكَنْتُ اتَّغَافِلُ وَأَغْضَ بَصَرِي
 وَأَتَجَاهِلُ خَوْفًا مِنَ النَّزَاعِ وَالْخَصْوَمَةِ

قال يعقوب ان غالب ما رأيت من اهل الريف وسكان
 الbadia فتجد عقولهم قاصرة وحمائمهم من غير سبب ظاهرة وقد

احسنت فيما فعلت فانك لو خاطبهم لم تامن شرهم وربما كان
يترب على ذلك اكثر مما رأيت

فقال ابن الشيخ حاشـ ان يكون اهل ريف مصر كذلك
فانك لا تراهم الا مشغولين بامر انفسهم ولو رأوا غريباً ببلادهم ولو
كان زيه مخالفاً لزيمهم لا يعنون النظر اليه وان نظروا اليه نظرها
نظر اخلاص بحيث لا يدركه الا قليل من الناس

فقال يعقوب هكذا اقتضت حكمة الملك الديان وانت تعلم
انه ليس في الامكان ابدع ما كان أنسى نصيحة والدك وهو آخذ
بيدك ويقول لك يابني ما نازعني احد في امر الا أخذت في امره
ثلاث ان كان فوق عرفت له فضلها وان كان دوني رفعت قدرني
عن منازعنه وان كان مثلي تفضلت عليه فالاحسن ان تصفع صفح
الكرام وان لا نصيغ وقتنا في تتبع عثرات اوئل الاقوام فاخبرني
عن اي الثالثة الذين رأيتهم كان عندك اغرب

فقال ابن الشيخ اما بالنسبة لمن خلق الذر وفصل له اعضاء
وجعل بعض الدود اسناناً كالمغاريس بل امضى وخلق لانسان
من نطفة ثم من علة واخرج من جوف الصخرة الصماء اضعف
حيوان ورزقه فلا غرابة ولا عجب

واما بالنسبة لعوائد الخلقة فالقصير احق بالاستغراب واولي
لان الرجل الطويل وان كان غريباً في خلقته وطول قامته وعدم
قوته لا يساوي الرجل القصير في ذلك فانه مع فصاحته وطلاقته

لسانه تراه قد بلغ من القصر الغاية ونحافة الجسم النهاية ولكن لا
ادري هل هو من الفرنسيس ام من غيرهم وهل سنه على قدر
جسمه ام لا

فقال يعقوب انك لو التقى بالملك الى كلامه حين خروجه
لعرفت منيته واصل لسانه وقدر عمره وما كان من امره فانه
ذكر عند خروجه انه رجل من جزيرة بالبحر المحيط الجنوبي
وان عمره تسع وثلاثون سنة وانه اقام ببلاد الانكليز وفرنسا
مدة وساح بأكثر بلاد اوربا ولذلك كان يتكلم مع كل
انسان بلغته فقال ابن الشيخ ما اظن خلقا بهذه الصفة الا
ان يكون من ذرية ياجوج وماجوح فان منهم على ما قبل
من طوله شبر ومن طوله شبران وغايتها ثلاثة اشبار
فقال يعقوب وما ياجوج وماجوح وaint موضعهم من
الارض فقال ابن الشيخ هم جيل من اولاد ادم وموضعهم خلف
السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين وذلك انه لما وصل في
سيرة الى مغرب الشمس عند جبل ارمينية واذريجان وجد
هناك قوماً فشكوا له منهم وجعلوا له جعلا على ان يجعل بينهم
وبين ياجوج وماجوح سداً فضربه على احدى وعشرين
قبيلة وبقيت منهم داخل السد قبيلة واحدة فقال يعقوب
لا مانع من ذلك ولكن الذي اعلمك واطلعت عليه في كتب
التاريخ ان الابونيون والسمويد كلهم قصار ولعلها

خاصة في هواء قطرهم وطبيعة أرضهم وإن الملوك في الزمن السابق كانت تخذلهم أضحوكة لهم ويغدقون على من اتى إليهم بوحدتهم حتى قيل ان اهل المشرق لما علموا ان سبب الرغبة فيهم خمارة جسمهم استعملوا طرقاً تمنع الطول فكثروا فكان الرومانيون يجمعون منهم في اوقات سرورهم ويغرون بيئهم حتى يقتل بعضهم بعضاً ثم عز وجوههم في القرون الوسطى وقد كانت الامراء تستعملهم في البريد لتوسيع الاخبار وذكر المؤرخون انه وجد في القرن السابع من الميلاد رجل لم يبلغ طوله ثلثي ذراع معماري فعندي ان كل من كان من هذا القبيل فهو من ذاك

الجبل

المسامرة الثانية والخمسون

المجتمعية المشرقية

وبينا هما في الحديث لم يشعرا الا وهما داخل المدينة فسارا حتى وصلا محل الشيخ فنزلَا عن العربة ودخلَا عليه فوجدا عنده صاحبه الانكليزي فبدأ ابن الشيخ بتفصيل يد والده ثم تحول للانكليزي فصافحه وقعد بجانبه وكان قد حان وقت ذهابهم الى منزل رئيس الجمعية فقال الانكليزي لابن الشيخ هي نفسك فانا متوجهون هذه الساعة فقال ابن الشيخ ان اذن الوالد فسمعا وطاعة ثم انهم قاموا جمِيعاً وركبوا العربة وسارت بهم حتى وصلوا منزل رئيس الجمعية فقابلهم بغاية الاحترام وحياتهم تحية الكرام وكان بالملبس جماعة من مشاهير العلماء ورجال الجمعية المشرقية ووجوه الامراء فأخذ رئيس الجمعية بيده الشيخ حتى اجلسه وقعد بجانبه

وآنسه وكان بال مجلس مع صاحبة المنزل نساء كثيرة فقعد الجميع
 يتجاذبون اطراف الحديث الى ان حان وقت الطعام فقاموا جميعا
 واخذ كل واحد منهم بيد امرأة وجاالت صاحبة المنزل الى الشيخ
 واخذت بيده فتبعها ومشي معها حتى دخلت به محل الطعام
 فجلست والشيخ عن يمينها وصاحب الانكليزي عن يسارها وجلس
 صاحب المنزل في الصف الثاني وابن الشيخ عن يمينه وجلس
 الباقيون في مواضعهم التي رسمت لهم فاكروا ثم رجعوا الى محل
 الجلوس كل ذلك وهم مختلفون بالشيخ اخناف الهالة بالتمر ومحنفلون
 به اخنافهم بذلك مطاع فيما امر و كان كل من خطر بباله شيء يتعلق
 بفن العربية تلطف في ابدائه فيحبه الشيخ بجواب لا يحوم حوله من
 عداه فيعيرون من بلاغة عبارته وعذوبة لفظه وجودة حفظه

المجامرة الثالثة والتسعون

الفرنسيس في مصر

وكان بال مجلس رجل فرنساوي من توجه مع نابليون الى
مصر وشهد وقعته باهلها وانتشار رجاله في اعماقها واطلع على ما كان
من امرائها قبل توجه الفرنسيس اليها فظهر للشيخ من اطراف كلام
ذلك الرجل حبه للمصريين وميله للعائلة المحمدية فقال له أكثت
ببصر ايام حوادثها مع الفرنسيس فقال وقبل ذلك ايضاً
قال الشيخ اني لا اتحقق ذلك لصغر سني اذ ذاك وغاية ما
اخيله اني كت ارى والدي في تلك الايام كل ما دخل وخرج
يقول لوالدتي ماذا ترين في هذا الحرج العرب في البادية تنهب
ولما يلوك تفسد وتخرب والفرنج في الطرق تقتل وتسلب فمن فر
من قوم وقع في يد اخرين ونحو ذلك من الكلام الذي يجيف

الابطال ويزع النساء والاطفال مع اني اعلم طبع المرحوم في تجلده
وتجهده بين اهل بلده فما اضطره الى بث هذه الشبکوى الا فضاعة
ما رأه من عموم البلوى

فقال له ذلك الرجل لو بحثت عن اصل ذلك كله لوجدته
من المالك الذين جعلوا مصر غنيمة لهم وقسموا ارضها وقرابها بينهم
فانهم كانوا يحزبون الاهالي والعرب علينا ويحذرونهم منا بقولهم انه
لا غرض للفرنج من بلادكم الاسلب اموالكم وهتك اعراضكم وصرفكم
عن دينكم ونحو ذلك من المنفات مع ان الفرج كانوا بريئين من
ذلك كله لا غرض لهم الا اصلاح الحال وانتاج الناس من ورطة
هولاء الجهال فلو قدر وبقينا بارض مصر الى الان لكان خيرا لهم
ولكن من سوء حظ المصريين انه حدث بقطارنا بعض حوادث
ترتب عليها عود رئيسنا بونابرت الى البلاد فخرجنا منها بعد ان
غذيناها بفلذ اكبادنا ورشحناها بدم اولادنا ومع ذلك فقد رسينا لهم
بها قوانين جليلة واثاراً عامة النفع جميلة يرجى منها الخير ويتقى بها
الضير كالتربة المالحة والملحوة والقناطر الخيرية والمطابع وتقسيم مصر
إلى اخطاط لكل خط حاكم وعسوس يطوف فيه ليلاً ونهاراً يمنعون
الشروع وأهل الفساد ويحثون على كنس الطرق والشوارع
وتنظيفها ومن محسناتنا الامر بتعليق قناديل على ابواب
البيوت والوكاليل والخانات فكان حكام الاخطاط يطوفون بالليل
فإذا وجدوا بيتاً او خاناً ليس على بابه قنديل سموا للحافظة على

ما فيه فإذا طلع النهار اتوا بصاحبه فيجازونه على حسب ما يرون
 ومنها النساء استناداً له لعلاج المرضى جمع لها من الأطباء والأدوية
 ما يلزم لكل داء وهي فيها بين القاهرة ومصر تسمونها بالقصر العيني
 ومنها الكورنيتات وتعيين محلاتها في كل مدينة وغير ذلك من
 الأعمال التي لم تستغل بها أفكارنا ما كانت خطرت لهم على بال
 لأن شأن المصريين بل سائر المشرقيين الافتقار على حفظ القرآن
 ومعرفة بعض أمور دينية يقفون عندها ولا يتعدون حدودها ولا
 يغوصون في معانٍ الكتب وأسرارها وكذلك حكامهم وكان من
 يلي أمرهم من الملوك ونحوهم لا همة لهم إلا تحلية سروج الخيل
 والأكواب على الملاهي طول الليل وليس السراويل الواسعة الذيل
 والأكثار من الخدم والخدمان واستتباع ذوي الوجوه الحسان وهذا
 كله ربما كان مانعاً من تصرف العقل وزيادة الفدر خصوصاً وهم
 مقتصرون في التفكير في القرآن على ما يظهر من مبانيه ما بين
 الوعد والوعيد والترحيب والتحث على الزهد في الدنيا
 ولذتها والتحذير من التوسيع فيها والاغترار بزهوتها ونحو ذلك مما
 تخاف منه القلوب ويزهد من تامله في كل شيء محظوظ في الدنيا
 ومطلوب حتى يبيع الحاضر بالغائب ويعود نفسه على الرضى بكل
 ما حل بها من المصائب ويدخل عما فيه صلاح معاشة ويهرج
 أسباب ثروته واتعشه
 فقال له الشيخ أما ما ذكرت من نسبة ما وقع بين المصريين

والفرنسيس للملك فمن المعلوم ان المدافعة عن الوطن في ذلك
الوقت كانت واجبة على العموم لا فرق فيها بين مالك وملوك
وشريف وصعلوك وعلى فرض ان الاهالي اثنا قاموا بتعال لرأي
حكامهم الذين هم امراؤهم فهل فعلوا غير ما يلزمهم
فقال الانكليزي ان ما يقول الشيخ حق فان ميل الانسان
إلى اهل ملته ودياته امر فطري الا ترى ان اهل باريز لم يفتحوا
ابواب المدينة للملك هنري الرابع الا بعد ان رجع عن المذهب
البروتستاني إلى مذهبهم مع انه من بيت الملك والجميع فرنساوي
وأصل الدين واحد

قال الشيخ من هنا يعلم ان لا لوم على المصريين في امتناعهم
من الخضوع للفرنساوية والدخول تحت طاعتهم بحسب الميل
ال الطبيعي من عدم الرضى بحكم من خالفهم في الدين والجنس وترك
من هم معهم على ملة واحدة وعوايدهم وقوانيئهم في الاحكام متحدة
قال له ذلك الرجل الشيخ كل ذلك معقول ومقبول
الآن الفرنسيس لما دخلوا مصر لم يجدوا بين المسلمين بدعة على
غير رأي امرائهم وعلمائهم بل ما فعلوا فعلا الا بشورتهم واخذ
رائهم كما يعلم ذلك من المنشورات التي عليها ايات رضاه
واستحسانهم فكانوا معينين لذلك جملة من اكابرهم اهل الحلال والعقد
منهم الشيخ خليل البكري نقيب الاشراف والشيخ عبد الله الشرقاوى
والشيخ محمد المهدى والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ محمد الامير

وغيرهم فبونابرت رئيس الجيوش مع علو هئته وسعة باعه واطلاعه
 وحسن اداريه وسياسته لم يستقل في مصر بارائه ولم يكل حكم
 البلد الى امرائه بل انتخب جملة من كبار علماء المصريين واعيان
 تجارها المعتبرين وفتح لهم دواوين وضم اليهم مترجمين ورتب لهم
 مرتقبات واغدق عليهم بالعلوفات وفوض الحكم اليهم وعول في
 حل كل مشكلة عليهم وبالجملة لم يفعل ما يخل بشرفكم ولا ما
 يضر بقطركم وانظر الى ما حصل منه لما تغلب على جزيرة مالطة
 ووجد بها اسرى كثيرين من اهل الاسلام فانه اطلقهم وجهزهم
 وارسلم محفوظين الى بلادهم واعلن ان لا يؤخذ احد من اهل
 الاسلام من بعدهم اسيراً وقبل وصول جيشه الى مصر ارسل
 يحذرهم عن الفساد والتعرض لشيء ما يأيدني اهل تلك البلاد
 ويقول لهم ما معناه انكم ستدخلون مصر آمنين مظفرین منصوريين
 وتهزمون حكامها المتحدين مع الانكليز فقد قطعوا على تجارنا السبيل
 وبالغوا في ظلم اهل وادي النيل واعلموا ان الامة التي تقصدونها
 امة محمدية وكلتم التي يبني عليها امرديهم لا اله الا الله محمد
 رسول الله فايامكم ان تغيروها عليهم او تصرفوهم عن قوانينهم وعليكم
 ان تكرموا ائتهم وقضائهم ولا تخدعوا شيئاً في مساجدهم وجومعهم
 واعلموا ان عوائد بلادهم ليست كعوائد بلادكم فينبغي ان تستأنسوها
 باهلها وتتطبعوا بطبعهم واياكم ان يدخل احد منكم دار احد او
 يتعرض لامرأة فان ذلك عتدهم منكر فمن فعل ذلك منكم حل به

البأس وعد من ارذل الناس واول بلدة تنزلون بها الاسكندرية
 وستجدون بها من اثار من اسسه ما يروق بالكم به ويقطع عن
 التعليق ببلادكم امالك وما كفاه هذا التشديد وما انذرهم به من
 الوعيد بل صدر منه منشور بقتل من قطع السبيل من العسكر
 او فعل شيئاً من المنكر او غصب من احد شيئاً ولو درها ثم جمع
 ضباط العسكر والاليات وضمن ذلك كله وهكذا كانت افعاله
 واقواله كلها فلم يكن مراده مجرد التغلب وشهر نفسه بالحرب بل
 كان جل غرضه وغاية امله ان يكون الناس كلهم في امان
 ورفاهية حال وان لا يتعرض احد لاحد في عرض ولا مال
 وكان وصول بونابرت بجيشه الى ثغر اسكندرية لخمسة عشر
 يوماً من المحرم سنة الف ومائتين وثلاثة عشر هجرية الموافق لشهر
 حزيران سنة الف وسبعين وثمانية وتسعين ميلادية فلما دخل
 اسكندرية جمع علمائها واعيائها واتخبا منهم سبعة قلدتهم زمام
 الاحكام وما تحتاج اليه البلدة من النظام منهم الشیخ محمد المسيري
 والسيد محمد كريم وقال لهم على مقتضى الحرية لا يلي الحكم الا
 عقلاً الرعية لأن جميع الخلق سواء في العدل والحكم بالحق وقبل
 خروجه من اسكندرية الى مصر عمل دستوراً يتضمن جميع ما مر
 وزيادة كما هو مبين في تاريخهم وكان قد احضر معه من
 الروسية مطابع تطبع باللغة الفرنساوية والعربية فطبع عدة فرمانات
 وفرقها بالديار المصرية ثم شرع في ترتيب ديوان فجمع له ستين

شخصاً منهن أربعة عشر يقال لهم المجلس الخصوصي والباقيون يقال لهم الديوان العمومي كل ذلك اظهاراً للعدل ورفقاً بالرعاية
 فقال الشيخ جميع هذا صحيح مسلم غير انه لا يخفي ان زمن الحروب عادة يكون زمن شدة على الناس وما يقع فيه من المصائب يكون غالباً على غير رضى الروساء وقد تقع امور فظيعة توجب تنفير الطباع مثلاً تخريب المساجد وانتهاك حرماها وقهر العلامة وتحريم التجار كل ذلك قد وقع بصر مدة هذه الحرب مع نهی بونابرت عنه فكان داعياً لنفرة الاهالي

واما كتابة المشائخ الى الاقاليم بالمسالمة فذلك امر واجب عليهم لحقن دماء الناس لما رأوا من قيام العربان واهل الفساد وكثرة التسلل والسلب والنهب وضرورة ان الاحكام كانت قد تغيرت والناس كانوا مضطربين لم يتعودوا على الحكم الجديد والتبعس المفسد بالمصلحة فقصد العلماء تسكين الفتنة وحفظ الانفس والاموال وبالجملة فلم يكن للمصريين داع الى النفرة عن احكام الفرنسيين غير الحمية الدينية مع ما حصل من الشدائيد التي جرت العادة بمحسوها في زمن الحروب وتجديد الاحكام

ثم ان الرجل الفرنساوي انصرف من بيته وقام كل في محل استراحته فقال ابن الشيخ لابيه قد استفدت من ذلك المجلس ان الفرنسيين سبق لهم استولوا على مصر وما كن اظن ذلك ولا خطر ببالي فقال يا بني قد استولوا عليها وحكموا فيها وامرها ونهوا

و فعلوا فيها لا فاعيل لولا ان الله خلصها منهم فقال وما كانت
أحكامهم فيها وقوانينهم وكيف كانت وقائمه في فتح البلاد وقهر
العباد

قال الشيخ يا بني اني كنت وقت حلول الجيش الفرنسي
بصرا صغيرا لا اعي ما يقال ولا ما يفعل ولكنني منذ هاجرت من
بلدي الى مصر طلب العلم كنت اسع بما كان من الفرنسيين
فكنت كلما سمعت عنهم شيئا قيدته حتى جمعت من ذلك كتابا

وجلده

فنـ احكـامـ اـنـهـ ضـربـواـ عـلـىـ الـامـلاـكـ وـالـعـقـارـ ضـرـائبـ فـجـعـلـواـ
عـلـىـ الـاعـلـىـ ثـمـانـيـ رـيـالـاتـ فـرـانـسـاـ وـالـاوـسـطـ سـتـةـ وـالـادـنـىـ ثـلـاثـةـ
وـضـربـواـ عـلـىـ الـمـعاـصـرـ وـالـسـيـارـجـ وـالـوـكـائـلـ وـالـخـانـاتـ فـنـهـاـ ماـ
جـعـلـواـ عـلـىـ تـلـاثـيـنـ وـمـنـهـاـ ماـ جـعـلـواـ عـلـىـ اـرـبعـينـ كـلـ عـلـىـ حـسـبـهـ
وـكـتـبـواـ بـذـلـكـ مـنـاشـيرـ عـلـىـ عـادـتـمـ وـلـصـقـوـهـاـ فـيـ مـفـارـقـ الـطـرـقـ
وـارـسـلـواـ مـنـهـاـ نـسـخـاـ لـلـاعـيـانـ وـعـيـنـواـ الـهـنـدـسـيـنـ لـتـمـيـزـ الـاعـلـىـ مـنـ الـادـنـىـ
وـبـالـغـواـ فـيـ الضـبـطـ وـالـاحـصـاءـ وـتـقـيـيـدـ الـاسـماءـ فـضـاقـ بـالـخـلـقـ الـفـضـاءـ
وـمـنـهـمـ اـسـتـسـلـمـ لـلـقـضاـءـ وـلـمـ تـدـبـرـ الـعـوـامـ فـيـ عـوـاقـبـ فـاـنـتـبـذـ مـنـهـمـ
جـمـاعـةـ وـتـنـاجـوـ فـيـاـيـنـهـمـ وـوـاقـفـهـمـ مـنـ الـمـتـعـمـيـنـ مـنـ لـمـ يـنـظـرـ فـيـ عـوـاقـبـ
الـاـمـورـ وـلـمـ يـتـفـكـرـاـنـهـ فـيـ القـبـضـةـ مـأـسـورـ فـتـجـمـعـ الـكـثـيرـ مـنـ الـغـوـاءـ
مـنـ غـيـرـرـئـيـسـ يـسـوسـمـ وـلـاـ قـائـدـ يـقـودـهـ فـقـامـوـاـ مـتـحـزـبـيـنـ وـعـلـىـ الـجـهـادـ
عـازـمـيـنـ وـابـرـزـوـ الـسـلاحـ وـالـاـتـ الـحـرـبـ وـالـكـفـاحـ وـهـدـمـوـاـ مـصـاطـبـ

الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس في عدة جهات وتنسوا بها
 فلما رأى الفرنسيس منهم ذلك تخيزوا إلى القلاع وكان كبيرهم
 أرسل إلى المشائخ فلم يجيئوه فامر بضرب المدافع والبونيات على
 البيوت والمحارات وتمدوا على الخصوص الجامع الازهر وحرروا
 عليه المدافع والقبر فلما سقط عليهم ذلك نادوا ياخفي الالطاف
 نجّنا ما نخاف وهربو من كل سوق ودخلوا في الشقوق وتابعوا
 الرمي من القلعة والكيمان حتى تزعزعت الأرkan وهدمت الدور
 وسقطت بعض القصور وخرب كثير من البيوت والوكائل وعظم
 الخطب وأشتدَّ الكرb فركب المشائخ إلى كير الفرنسيس ليرفع
 عنهم هذا النازل وينبع عسکره من الرمي المتراسل فعاتبهم في التأخير
 واتهمهم بالتصدير فاعذروه فقبل منهم ثم بعد هجعة من الليل
 دخل الفرنسيس المدينة ومرر في الأزقة والشوارع من غير معارض
 ولا حمان وهدموا ما وجدوا من المتاريس ودخلوا الجامع الازهر
 بالنعال والسلاح وربطوا خيولهم بصحنه ومقصورته وكسروا
 قناديله وسهراته وهمموا خزائن الخدمة والمحاورين وأخذوا ما
 وجدوه به من الكتب والمتاع بل طرحو نفائس المكتب في
 ميضاً ته وتلفوا الوفاً من مجلدات مؤلفاته ثم قرروا على الناس
 فردة أخرى قدرها مائة وستة وثمانون ألف ريال فرانسا مع ان
 الناس ما أدوا الفردة الأولى حتى قاسوا فيها من الشدة ما لا يوصف
 ومات أكثرهم في الحبس وتحت العقوبة ومنهم من هرب وخرج

على وجهه فجعلوا على العقار والدور مائة الف رyal فرنسا وعلى ارباب
 الحرف المستورين ستين الفا وقسموا البلد ثانية اخطاط وجعلوا
 على كل خط خمسة وعشرين الفا و وكلوا ذلك الى مشائخ المحارات
 ومن كان ساكنا بتلك الاخطاط من الامراء مثل المحسن بجهة
 الحنفي و عمر شاه و سوقية السبعين و ضرب الحجر ومثل زين القوار
 جهة المشهد الحسيني وخان الخليبي والغورية الصنادية والشرفية
 ومثل حسن كاشف جهة الصلبة والخلية وما في ضمن تلك
 الجهات من العطف فجعلوها على ثلاث نفر فعلى النمرة الاولى ستون
 ريالا وعلى الثانية اربعون وعلى الثالثة عشرون والزمو المستأجر
 بدفع مقدار ما يدفع المالك والدار التي لا يجدون لها صاحبا
 يأخذون ما عليها من جيرتها ثم نادوا ان كل من لا يدفع ما
 عليه بعد اثنين وثلاثين يوماً من المناداة تذهب داره ويحاط بوجوده
 وتتبعوا نهب الدور باذن شبهة ولم يوجد لهم شفيع قبل شفاعته ولا
 متكلم تسمع كلامه واحتسب كبير الفرسان عن الناس وامتنع من
 مقابلة المسلمين وكذلك قلده عظماوهم وزاد ان عينوا لجمع تلك
 الاموال رجلا قبطيا يسمى شكر الله فنزل بالناس منه بلاء شديد
 فكان يمشي وصحابته عسكرا من الفرسان وجماعة من الفعلة بآيديهم
 آلة للدم فإذا دخل دارا ولم يدفع له صاحبها ما عليه امرهم بهدتها
 واقبض شيء ما فعله باهل بولاق فإنه كان يحبس الرجال مع النساء
 ويدخن عليهم بالقطن والكتان ثم فعل باهل مصر كذلك كل

ذلك في شهر واحد وفي اخره قاموا دفعه واحدة على جميع الخانات
 والوكائل فختموا عليها ثم صاروا يفتحونها واحداً واحداً وياخذون
 ما فيها فيقوّمونه بابنخس الاثنان فان بقي لهم شيء من الغرامه اخذوه
 من جاره وان زاد شيء احالوا صاحبه على جاره وهكذا حتى اخلوا
 جميع الخانات والوكائل من البضائع واخذوها واربابها ينظرون
 وكانوا اذا فتحوا خانة او دكانا ووجدوا به اشياء ثمينة او صرة فيها
 دراهم او دنانير اخذها امناؤهم ووكلاوهم بحضور صاحبها وفي ذلك
 الشهر بعينه حرروا دفاتر العشور فاخصوا جميع الاشياء جليلها
 وحقيرها ورتبوها بدفاتر وجعلوها اقلاما ينفرد من يتعهد بدفع ما
 وضع عليها وجعلوا جامع الازبك الذي بالازبكية سوقا للمزايدة
 في تلك الاقلام فكان يجتمع الاثنان فاكثر في قلم واحد وربما
 تعهد الشخص الواحد باقلام متعددة ثم شرعوا في هدم الحسينية وما
 خرج عن باب الفتوح وباب النصر من الدروب والمحارات
 والمساجد والحمامات والحوانيت والاضرحة فكانوا اذا دهوا دارا
 لدهم لا يمكنون اهلها من نقل ما بها ولا اخذ شيء من اقاضها
 فينبونها ويهدموها وينقلون الايقاص النافعة من البلاط والخشب
 الى عاراتهم وابنيتهم وما بقي من كسارات الخشب تجعله الفعلة حزما
 ويبيعونه على الناس باغلى ثمن لعزه حطب الوقود وقت ذاك
 فتتلف للناس من الاملاك والعقارات ما لا يقدر قدره كل ذلك مع
 مطالبتهم بما تقرر على املاكم ودورهم من الفرضة فكان يجتمع على

الشخص الواحد في الوقت الواحد النب والهدم والمطالبة بالفرضة
 وكان لم في المطالبة بالفرضة امور قبيحة ولما قسموا الاخطاط على
 الامراء ومشائخ المحارات ضموا اليها اعونا والزموا كل امير ومشائخ
 حارات خطه بما خصه من الغرامة فكانوا اول ما يجتمعون
 بديوانهم تبتدئ الكتبة بكتابه التنبیهات وهي اوراق صغيرة باسم
 الشخص والقدر الذي عليه وعلى عقاره وعلى هامش الورقة حق
 طريق المحامل لها ثم يدفعون الى كل واحد من اولئك الاعوان
 جملة من تلك الاوراق فلا يفتح الانسان عينه الا والمعين واقف
 على بابه وبيده ذلك التنبیه فيعده بالوفاء فإذا قبل عذر لا يفارقه
 حتى يأخذ منه حق الطريق وما يفارقه الا وقد اتاه معين اخر
 بتنبیه اخر فيفعل معه كما فعل الاول فإذا سعى الانسان جهده
 حتى ادى ما عليه وظن انه تخلص من ذلك فحالا يجد خلفه معينا
 اخر ومعه تنبیه جديد فيقول له ما هذا فيقول ان الفرضة لم تتمل
 وقد جعلنا على كل عشرة خمسة او ثلاثة او ما سوّلت لهم انفسهم
 وهكذا من الغرامات التي هي اشد من الدواهي
 ومنها انهم قرروا على مشائخ البلاد مقررات يقومون بدفعها
 في كل سنة زيادة على الخراج يجعلوا البلاد اعلى وهي ما كان طينها
 الف فدان فاكثر واوسط وهي ما كان طينها من ٥٠٠ فدان
 الى ما دون الالف وادنى وهي ما كان طينها دون الخمسة
 يجعلوا على الاعلى خمسة رياض وعلى الاوسط ثلاثة وعلى

الدون مائة وخمسين واستملوا اسماء البلاد والكافر من القبط
فاملوا عليهم حتى الكافر التي خربت من مدة سنتين فربما املوا
اسماء من غير مسميات ثم امرؤا بتوزيع مليون على ارباب الصناع
والحرف وهو مائة وستة وثمانون الف ريال فرانسا وان يدفعوها
على ثلاثة اقساط كل اربعه اشهر ثلاثة

هذا انموذج ما كان منهم بصر

قال ابنه وما منعك البارحة في مجلس المحاورة ان تذكر لهم

هذه الافاعيل التي صدرت منهم

قال الشعيب يابني اي فائدة في ذكر ذلك الا المنافسة والمناقشة

خصوصا ونحن بين اظهرهم وقد قالوا

ودارهم ما دمت في دارهم * وحيم ما دمت في حيم

وقيل ايضا

ودارهم في دارهم وحيم * في حيم وأرضهم في ارضهم
لا سيما وهم عارفون بجميع ذلك فلا فائدة في حكايته الا
تغير النفوس ومن يتأمل فيما كان يصدر منهم ما ظاهره العدل
والاصلاح يجد انه لا يخلو من دسية ومحكمة لتحصيل اغراضهم
مثلا اطلاقهم الاسارى المسلمين الذين وجدوهم بما طلة فاما هي
محكمة من مكائد الحرب وذلك انهم حين وصولهم الى ثغر الاسكندرية
كتبو كتابا وارسلوها الى البلاد التي هم قادمون عليها تطينا لهم
لئلا يتنهوا ويحاربون فاوهوم انهم قادمون من قبل السلطان

وارسلوا هذه الكتب مع هؤلاء الاسارى وارسلوا بصحبتهم جواسيس من مالطة يعرفون اللغة العربية ويتكلمون بلغة المغاربة فلم يمتازوا عن اساري المسلمين فلما وصلوا الى مصر صار الجواسيس الذين ارسلوهم يوسمون للناس ويبيطونهم ويحللون عزائمهم عن القتال فكانت هذه ايضاً مكيدة من مكائد الحرب فلما قامت الحرب بين المسلمين والفرنسيين خفي اكثر الاسرى ولم يدرأين ذهباً وما ذهبا في الحقيقة الا الى جيش الفرنسيين ليخبروهم بما سعوه وما شاهدوه من المسلمين

ومن افاعيلهم انهم حبسوا بعض العلماء فما اطلقوهم حتى بلغهم مجيء الوزير الاعظم بجيشه فخرجوا من غير منازعة ولا معارضة وعمل بينهم وبين الجيش العثماني والانكليزي شروط مفصلة هي وجميع وقائعم بصرى في بطون التواريخ وقد انقضت تلك السنون واهلها وتلك الايام نداولها بين الناس هكذا عادة الله في خلقه لا معقب لحكمه ولم يطلعنا على حكمه فكم سلط اقواماً على اخرين كما دلت عليه كتب الاول وقد يسلط الفجار على الابرار وله في ذلك حكم اسرار وكان خروج الفرنسيين من ديار مصر في شهر الله المحرم سنة ١٢١٦

المسامرة الرابعة والتسعون

العقائد

وفي اليوم الثاني بعد طلوع الشمس دخل الانكليزي عند الشيخ وجلس بعد ان ادى واجبات الندية ثم قال اليها الشيخ قد عنّ لي من مجلس البارحة ان اسألك عن مسئلة خطرت بيالي فقال الشيخ ما هي فقال يؤخذ من الكلام السابق ان بين المسلمين والنصارى عداوة معانا نسمع في كتابكم آية تدل على خلاف ذلك قال الشيخ اي آية قال لتجدون اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدون اقرهم موَدَّة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى (الآية)

فقال الشيخ صدق الله العظيم في كلامه القديم فقد قال المفسرون كالغفر الرازى وغيره في تفسير هذه الآية ان مذهب

اليهود انه يجب عليهم ا يصل الشر الى من يخالفهم في الدين باي طريق كان فان قدرها على القتل فذاك والاً بغضب المال او السرقة او بنوع من المكر والكيد والخيانة وقد روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال ما خلا يهودي ان مسلم الا هما بقتلهم
 واما النصارى فليس مذهبهم ذلك بل الازاء في دينهم حرام كما في دين الاسلام وايضاً فان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا كما هو مشاهد فيهم والحرص معدن الاخلاق الذميمة فان كل من كان حريصاً على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا واقدم على ارتكاب كل محظوظ لطلب الدنيا فلا جرم ان تشتد عداوته لكل من نال مالا او جاهها بخلاف النصارى فانهم في اکثر احوالهم معرضون عن الدنيا زاهدون فيها مقبلون على العبادة تاركون لحب الرئاسة والتكبر وكل من كان كذلك فلا يحسد الناس ولا يؤذهم ولا يخاصهم بل يكون لين العريكة سهل الانقياد للحق فربما الى قبوله كما قال تعالى بذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكرون الى اخر الآيات فهذا هو معنى مودتهم للمسلمين واما الديانة فالقدر مشترك بينهم وبين اليهود في مخالفة المسلمين بل اليهود يخالفون في الاهليات فقط والنصارى يخالفون في الاهليات والنبوات

فقال الانكليزي ان ما تقول ايها الشيخ حق فان النصارى كانت صفاتهم حميدة كما ذكرت لكن الان دخلت فيهم اضداد

تلك الصفات وتشعبت مذاهبهم واعتقاداتهم وجرت بينهم العداوة
والبغضاء وهم فلسفة قبيحة ومقالات شنيعة في الديانات والرسل
والكتب المساوية

فقال الشيخ نعم يظهر بعض ذلك على وجه الرجل الفرنساوي
الذي كان معنا البارحة

فقال الانكليزي هذا الرجل من ضمن الفلسفه المتعصمين وله
كتاب عمله في الاعتقادات وقد قرأت منه جملة وافرة فوجدته
يذكر فيها يتعلق بالاديان ان جميع الملل مستمدة من منبع واحد
وان بينها اشتراكا في القضايا الاساسية كالتوحيد فدين الاسلام
مستمد من دين اليهود من حيث الاصول فقط بخلاف دين
النصارى فمستمد من دين اليهود من حيث الاصول والفروع
معاً فدين النصارى مبني على دين اليهودية كما تبني الدور والتصور
على قواعدها فينعدم دين النصرانية بعدم تسامكم بكتاب اليهود ومع
ذلك فهو لا يعترض بوجود موسى بن عمران ويستدل على نفيه
بعدم ذكره في كتب بني اسرائيل ويقول ان نبي الله داود وابنه
سليمان وارميا واسعيا جميعا سكتوا عن ذكره واحكام بعضهم منافقون
لاحكامه مثلا قول موسى ان الله يعاقب الابناء بظلم الاباء الى
الجحيل الرابع يخالفه قول حزقييل ان الابناء لا يعاقبون بظلم ابائهم
ويقول ان ما يعزى الى موسى من الاحكام هو ما يعزوه المندوذ الى
نبي يسى بخوس وجميع ما اثبت لموسى ثابت لبخوس فانه ولد بصر

والقي في النيل وتربي في جبل ببلاد العرب واوحى اليه بالرسالة
الى امة متبريرة وعبر البحر الاحمر بانفلاق البحر له ولم يبتل قدمه
واضافات من جبينه اشعة الانوار الا ان بخوس لما ضرب بعضه
الارض لم تنبع عين ماء كما حصل لموسى في ضربه للحجر بل نبعت
عين نبيذ وكانت عصاه ذات حرارة مزينة باغصان العنبر
وقد زعم علماء اوروبا ان بخوس سبق على تاريخ موسى
في يكن ان كلمة موسى جعلت عالمة على امر كان في تلك الازمان
كما استعملوا كلمة اوميروس الشاعر اليوناني في الجاهلية للدلالة على
بعض الحوادث العظيمة

ويقول ان التوراة كتاب مؤلف وليس من الكتب السماوية
متكتئا في ذلك على قول ماري اغسطس انه لا يصح بقاء الاصحاحات
الثلاثة الاولى على ما هي عليه وعلى قول اوريجين بان ما في
التوراة مما يتعلق بخلق العالم امور خرافية بدليل ان كلمة براء
العبرانية وهي بفتح الباء وشد الراء وسكون الهاء معناه رتب ونظم
ولا يرتب احد شيئاً وينظمها الا اذا كان موجوداً من قبل فاستعمال
هذه الكلمة في خلق العالم تقتضي ان مادة العالم كانت موجودة
من قبل ف تكون ازلية ويكون حلازها وهو الزمان والمكان ازليين
وحيث انهم قالوا ان المادة ذات حياة ف تكون الروح ايضا ازلية
لانها هي التي بها الحياة وبما ان المادة هي النور والحرارة والقوه
والحركة والجذب والقوانين والتوازن ف تكون الحياة ول المادة كالشيء

الواحد لا يمكن انفصalamo وجميع ذلك يخالف ما في التوراة
 ويقول ايفساناً الستة الايام التي ذكرها موسى لخلق العالم هي
 الازمان الستة التي ذكرتها الهندو والمجنبهارات الستة التي ذكرها
 زروطشت للمحبوس وان الفردوس الذي كان فيه ادم انا هو بستان
 اليسبريو الذي كان يخفره التنين وان ادم هو اديمو المذكور في
 ايزورو يدام وان نوها واهله هو الملك دوقاليون وزوجته بيرا
 وهكذا

ويبالغ في القدح في التوراة ويقول انها مبتدأة بقتل الاخ
 اخاه واغتصاب الفروج وتزوج ذوي الارحام بل البهائم وذكر
 النهب والسلب والقتل والزناء ونحو ذلك من الامور التي لا يليق
 ان تنسكب لمن اصطفاه الله تعالى وجعله امينا على اسراره الالهية
 فانظر الى اجتراء هذا الرجل على نبي الله موسى عليه السلام وعلى
 كتاب الله التوراة مع ان التوراة هي اساس الانجيل فما يقال فيها
 يقال في الانجيل ولذلك يقولون ان رسالة عيسى قد نبهت عليها
 اليهود من قبل بقولهم انه سيعيي اليهم مسيح وكلمة مسيح ككلمة مسايس
 ومسايس لقب شريف باللغة العبرانية وقد لقب به اشعيا النبي
 كبروس ملك الفرس كما في الاصحاح الخامس والخمسين ولقب
 به ايضا حزقيال النبي ملك مدينة صور ومع ذلك فلم يلتفت هذا
 الرجل الى شيء من ذلك فقال ما قال ومن اعتقدات النصارى
 ايضا ان الله تجسد في صورة عيسى وانه هو الاله وليسوا اولى فائق

بِهَذَا التَّجَسُّدِ بَلْ قَيْلَ قِبْلَمْ فِي جَزَّاً كَا وَبِرَهَمَةِ بَقْدَسِ الْهَنْدِ وَقَيْلَ فِي
وَيَشْنُو أَنَّهُ تَجَسُّدَ خَمْسَائَةَ مَرَّةً وَقَالَ سَكَانُ الْبَيْرُوْ مِنْ أَمْرِيْكَا أَنَّ
الْإِلَهُ الْحَقُّ تَجَسُّدَ فِي الْهَمْ مُنْكَرَ قِبَاقَ بْنَ الشَّمْسِ وَكَذَا سَكَانُ
الْأَسْكَنْدِيْنَاهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَجَسُّدَ فِي الْهَمْ أَوْ دِينِ وَانْ وَلَادَةَ عِيسَى
مِنْ بَكْرٍ بَتُولٍ بَقْنَهُ رُوحُ الْقَدْسِ يَشْبَهُ قَوْلَ اهْلِ الْصِّينِ أَنَّ الْهَمَّ
فُوْيَهُ وَلَدَتْهُ بَكْرٌ حَمَلَتْ بَهُ مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ وَكَانَ الْمَصْرِيُّونَ
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَوْزَرِيْسَ وَلَدَ مِنْ غَيْرِ مِبَاشَرَةٍ أَحَدٌ لَامَهُ
وَقَوْلَ النَّصَارَى أَنَّ عِيسَى مَاتَ وَدُفِنَ ثُمَّ بُعْثَرَ وَرُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ
حِيَّا قَالَ بِمِثْلِهِ قِبْلَمْ الْمَصْرِيُّونَ فِي أَوْزَرِيْسَ الْمَصْرِيِّ وَفِي أُورُونِيْسَ
مِنْ أَهَالِيِّ فَنِيكِيَّةٍ وَفِي أُوتِيْسَ مِنْ أَهَالِيِّ فَرِيْجِيَّةٍ إِلَّا إِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا
بِرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَمَا قَيْلَ أَنَّ أَوْدِينَ كَانَ قَدْ بَذَلَ نَفْسَهُ وَقَتَلَهَا
بِأَخْنِيَارٍ بَانَ رَمَى نَفْسَهُ فِي نَارِ عَظِيمَةٍ حَتَّى احْتَرَقَ وَفَعَلَ ذَلِكَ
لِأَجْلِ نَجَاهَةِ عَبَادَهُ وَاحْزَابَهُ فَكَذَلِكَ النَّصَارَى يَعْتَقِدُونَ أَنَّ حَلُولَ
الْإِلَهِ فِي عِيسَى وَارْسَالَهُ وَمَوْتَهُ إِنَّا كَانَ لِأَجْلِ فَدَاءِ الْجَنْسِ الْبَشَرِيِّ
وَتَخْلِيَصِهِ مِنْ ذَنْبِ الْخَطِيئَةِ الْأَوَّلِيَّةِ أَدَمَ وَحَوَّاءُ وَأَمَا أَدْرِيْسَ
النَّبِيُّ فَقَدْ رَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ بِدُونِ أَنْ تَكْفُرَ عَنْهُ الْخَطِيئَةُ وَلَا شَكَّ
أَنَّ هَذَا خَرَاقَةٌ وَلَمْ كَلَامٌ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَطُولُ شَرْحَهُ وَلَا
فَائِدَةٌ فِي ذَكْرِهِ

فَقَالَ الشَّيْخُ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ هَذَا الْفَضْلَالِ الَّذِي لَا يَنْشَا مِثْلَهُ

عن عاقل ولكن من يضل الله فلا هادي له ومن يهدى الله فما
له من مضل .

قال الانكليزي بل منهم من ينكر جميع الكتب السماوية
ويقول انها من تأليف البشر جمع فيها مؤلفوها حوادث القرون
الخالية

فقال الشيخ مثل هولاء القوم لا تجوز مجالستهم ولا معاملتهم
ولا مخالطتهم فانهم ينكرون الرسل والكتب وينقصون الاله الحق
سبحانه فالمحمد لله الذي فصلنا عن ذلك الرجل بسلامة
ثم ان العربة وصلت بهم الى محل فنزل الشيخ ودخل
عند الخواجا وقال اريد ان اقف على ما يقول النصارى فينبي
الله عيسى بن مریم وفي الاداب النصرانية فقال الخواجا ان اغلب
النصارى يقولون ان العلماء الاولین مجتمعون على ان شريعة
عيسى ليست الا متممة لشريعة موسى وموضحة لما اشکل من احكامها
حتى قال بعضهم ان عيسى والحواريين كانوا يهودا واستدلوا على
ذلك بما نقل عن الحواري بولص انه ختن تلميذه تيموthe في مدينة
ليسترة وحث الرومانیین على الختان وانه قال لهم ان اليهودي الحق
من كان يهوديا باطنا وظاهرا وبقول الحواري جاك (يعقوب)
للحواري بولص كما في الباب التاسع عشر من كتاب اعمال الحواريين
فلتعرف جميع الناس انك على شريعة موسى وبقول بولص
لغوسيطس في الباب الخامس والعشرين من ذلك الكتاب اني لم

يجعل مني ما يخالف شريعة موسى ولا قوانين النصرانية فهذا
اصل دينهم واعتقاد حواريهم ومتقدمي علمائهم فلم يقل احد منهم
بأن الوهية عيسى ويدل على ذلك ما نقله بعضهم عن ماري بولص
انه قال في الباب الخامس من رسالته الى الرومانيين ان نعمة الله
قد نشرت علينا من الاحسان الموهوب لانسان واحد وهو عيسى
المسيح وقال في الباب الثامن من هذه الرسالة نحن شركاء المسيح
في وراثة احكام الله

وقال في رسالته للقلبيين تخلقا بأخلاق عيسى فايه كان
على صورة الرحمن ولم يطبع قط في مساواته وقال أيضاً لاهل
افسوس في الباب الاول من هذه الرسالة اللهم ربنا ورب المسع
عيسى جد علينا بعقل الحكمة وللعربين في الباب الثاني انكم قد
صيترتم عيسى اقل من الملك بيسير وكذلك بما قاله اوربيوس
اسقف مدينة قيصرية في الباب الاول من تاريخ امناء دين
النصرانية انه لا يعقل ان الوجود يعني وجود الله يحل في صورة
بشرية ونحو ذلك من العبارات المنسوبة الى الحواريين واتباعهم
المؤمنين فلم يقل احد منهم بألوهية عيسى ولا خطرت له على بال
فقال الشيخ هذا هو كلام العقلا ولعل هؤلاء هم الذين مدحهم
الله في كتابه وشبه بهم نبيتنا بعض اصحابه
واما تهودهم في الدين فلعلم ارادوا الرجوع الى الحق واليقين
وهذا شيء لا محذور فيه اذا عرفوا معناها وعملوا بمقتضاهما

فقال الانكليزي الا انهم بعد موته بثلاثة وخمس وعشرين سنة شمسية دب قيام القول بألوهيته وذلك ان قسطنطين الاول جمع رؤساء الديانة في مدينة نيقه وحملم على القول بها فاتبعوه الا ثانية عشر اسقفا فلم يتحولوا عن اعتقادهم ثم بعد ذلك باربع وثلاثين سنة اجتمع رؤساء الديانة ثانية بمدينة ريميني وتكلموا في هذا المعنى فاتفق منهم اربعاء اسقف على عدم الوهية واتبعهم الباقيون ومكثوا على ذلك نحو اثنين وعشرين سنة ثم اجتمعوا مرة ثالثة بمدينة القسطنطينية سنة ٣٢١ ميلادية فاستقر راي الجماعة على الوهية وبقي الحال على ذلك الى اليوم

فقال الشيخ هذه امور لا نستطيع الموافقة عليها ولا شك انه كان وقتئذ لرؤساء النصارى ارب ومقاصد في تقريرها ولو تاملوا او في تأمل لرأوا الادلة ناطقة بان الله تعالى واحد احد يستحيل عليه المحلول والاتحاد والتعدد ومشابهة خلقه في امر من الامور وهو حي لا يموت وقدر لا يعجز لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وإنما عيسى عبد من عبيده خلقه بقدرته التامة من غير اب كا خلق آدم من تراب من غير اب ولا ام وافاض عليه النبوة والرسالة وقد انطقه الله بالحق وهو في المهد فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلنينبياً وجعلني مباركا اينما كت واوصاني بالصلة والزكاة ما دمت حياً ويوم القيمة يتبرأ منهم ومن مقالتهم هذه فيقول سجانك ما يكون لي ان

افول ما ليس لي بحق ثم يقول ما قلت لهم لا ما امرتني به ان
 اعبدوا الله ربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
 وبالجملة فبطلان هذا المذهب واضح للعيان ومستغن عن
 البيان وما احسن ما قاله ابوصيري في هزيمته تبكيتا لهم وتنكينا
 عليهم فمن ذلك قوله
 أللّه مركب ما معنا * باله لذاته اجزاء
 الى ان قال

أهو الراكب الحمار فيا و بح الله يسراه الاعباء
 فقال الانكليزي وما الذي ترون في يا معاشر المسلمين في امر

عيسى

فقال الشيخ ان الذي يلزم اعتقاده في امر عيسى على ما اخبر
 به نبينا الصادق المصدوق في القرآن والسنة انه ابن مریم بنت
 عمران واسم امها حنة فكانت حنة لا تلد فنذررت ان رزقها الله
 ولدًا جعلته من سدنة بيت المقدس اي خدمته فحملت حنة وماتت
 زوجها عمران وهي حامل فولدت بتاً وسمتها مریم ومعناها بلغتهم
 العابدة ثم حملتها واتت بها الى بيت المقدس ووضعتها عند الاحجار
 وقالت لهم دونكم هذه المندورة فتنافسوا في تربيتها لان اباها وهو
 عمران كان من ائتهم فقال زکریا انا احق بها لان خالتها زوجي
 فاخذها وضمها الى ايساع خالتها فلما كبرت مریم افرد لها زکریا
 غرفة فلما بلغت من العمر ثلاثة عشر سنة ارسل الله تعالى جبريل

فنفح في جيّرها فحبّلت بعيسى وولدته ببيت لم وهي قرية قرية من القدس سنة ٤٣ من تاريخ الاسكندر فلما جاءت مريم الى قومها بعيسى تحمله قالوا لها لقد جئت شيئاً فريا واخذوا ليرجوها فتكلم عيسى وهو في المهد فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً اينما كنت فلما سمعوا كلامه تركوها ثم ان مريم اخذت عيسى وسارت به الى مصر فاقامت به اثنى عشرة سنة ثم عادت به الى الشام وزلا الناصرة وبها سميت النصاري فقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فاوحي الله تعالى اليه فسار الى الاردن وهو النهر المسي بنهر الشريعة فاغسل فيه وابدا بالدعوة وهو ابن ثلاثين سنة لستة ايام خلت من كانون الثاني مضى ثلاث وثلاثين وثلاثة للاسكندر

واظهر عيسى عليه السلام المعجزات فاحبّي مينا يقال له عازر بعد ثلاثة ايام من موته وجعل من الطين طائراً قيل هو الخفافش وابراً الاكه والابرص وكان يمشي على الماء ويلبس الصوف والشعر ويأكل من نبات الأرض وانزل الله عليه المائدة وسبب نزولها ان الحواريين الذين اتبعوه كانوا اثنى عشر رجلاً قالوا له هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فسأل عيسى ربه عز وجل فأنزل عليه سفرة حمراء بين غمامتين غمامه فوقها وغمامه تحتها فنزلت وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ثم قال لهم

يقم احسنك عملا يكشف عنها فقال شعون رأس الحواريين انت
اولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وكان عليهما منديل فرفعه
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية تسيل دما وعند
راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها لوان البقول ما خلا الكراث
ومعها خمسة ارغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث
سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قدید فقال شعون يا روح الله
أ من طعام الدنيا أ من طعام الآخرة فقال ليس منها ولكنه شيء
خلقه الله بقدرته فقال الحواريون يا روح الله لو ارثتنا من هذه
الآية آية أخرى فقال يا سمكة احي يا ذن الله فاضطربت ثم قال
لها عودي كما كتبت فعادت مشوية ثم رفعت المائدة وقيل مكثت
تنزل يوما وتغيب يوما الى اربعين ليلة
قال الانكليزي ان اليهود يزعمون انهم قتلوا وبعد قتلهم

صلبوا

قال الشيخ كذبوا والله ما قتلوا وما صلبوا ولكن شبه لهم
وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع
الظن وما قتلوا يقينا بل رفعه الله اليه ليزيده شرفا لديه وذلك
انه لما اعلمه الله انه سيرفعه اليه دعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال
لهم احضروني الليلة فارن لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاهم وقام
خدمتهم فلما فرغوا من الطعام اخذ يغسل ايديهم ويمسحها بشيابه
فتغاظموا بذلك فقال من رد علي شيئاً مما اصنعه فليس مني فتركوه

حتى فرغ ثم قال لهم أنا فعلت هذا بكم ليكون لكم أسوة بي في خدمة
بعضكم بعضاً وأبا حاجي اليكم فتدعون الله لي أن يؤخر أجلي فلما
نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم فجعل عيسى يواظبهم ويقول ما
تصبرون لي ليلة فقالوا ما ندرى ما لنا لقد كانا نسرين فنطيل السهر
وما تقدر عليه الليلة فقال يذهب بالراغي وتقترق الغنم وليكفرن
بي أحدكم قبل أن يصبح الديك ولبيعني أحدكم بدرهم يسيرة ولها كلن
ثني

وكانت اليهود قد جدت في طلبه فذهب رجل من
الحواريين اسمه نظليانوس إلى فيلاطوس الملقب هيرودوس وكان
رئيساً على اليهود أذ ذاك وقال ما تجعلون لي إذا ادللتكم على المسيح
فجعلوا له ثنين درهماً فأخذها وذهب بهم ليدهم عليه فرفع الله عيسى
إليه والتى شبهه على الذي دهم عليه فأخذوه وربطوه وجعلوا
يقودونه بحبال ويقولون له أنت تزعم أنك تحيا الموتى أفلاتخلص
نفسك ثم قتلوه وصلبوه

وبين رفع عيسى ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسةمائة
وخمس وأربعون سنة وعاشت مريم أمه نحو ثلاثة وخمسين سنة
لأنها حملت به وهي بنت ثلاثة عشرة سنة وعاشت معه ثلاثة وثلاثين
سنة وبقيت بعد رفعه ست سنين ألمّت العبودية من صفاته
والأكل والشرب من ضروراته يعقل أنه الله أو يتصور أنه ابن الله
مع اجماع جميع العقلا على عدم الوهيتة واتفاق حمّور الفلاسفة

والحكمة على عبوديته واظن ان ضرر الخلق على العموم انا يأنني لهم
من قبل من تصدى من غير استعداد لنشر العلوم ممن قال منهم
بخلول الوجود المطلق فيما عداه وبني على هذا القول الخطأ ما
بناء فقال ان الانسان اشرف انواع الحيوان فهو اولى بالخلول
واستثنى من ذلك ان الاله اتحد بالصورة البشرية وهو اعتقاد فاسد
ورأي عن الصواب حائد لا يقبله عقل ولا يساعد نقل وايضاً
لا يلزم على القول بالخلول الذي زعموه بالنسبة لعيسى ان يقال
الانسان الله او الاله انسان هذه نتيجة هذا الزعم الغريب الظاهر
الفساد لعقلاء العباد

ومن الغريب تقدم الاوروبيين في كثير من الفنون والصناعات
مع بقاءهم على هذا الاعتقاد الفاسد فلعل المانع لهم من رفضه ما
يسعونه بالبوليتique فلولاها لم يبقَ له عندهم اثر بالكلية واغرب من
هذا كله قدحهم في الاسلام واهله مع عدم معرفتهم بشيء منه من
اصله اذ لو تأملوا الاشارات القرآنية وما ورد من الاثار النبوية
لعنوا بالتمدن الذي يطلبونه وقد حرمونه واهتدوا الى ميزان العدل
الذي يحاولونه وما اقاموه ولعل الحامل لعلمائهم على استمرار هذا
الرأي بينهم رغبتهم في بقاء الباباوية التي معناها السلطنة على جميع
أهل الارض لأنهم يزعمون ان البابا نائب عن الاله الذي يدعونه
فain هذا من دين الاسلام المبني على ان الله واحد في ذاته وفي
صفاته وفي افعاله واحد لا من قلة موجود لا من علة لا يحيط به

مكان ولا يشتمل عليه زمان ليس منفصل عن شيء ولا ينفصل عنه شيء ولا يحفل في شيء وليس مثله شيء وهو الخالق لكل شيء الغني عن كل شيء أرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون فعم بدعونه المغارب والمشارق والمغارب ولم يفرق في أمره ونهيه بين الأجانب والأقارب ل تقوم الحجة وتضع الحجارة ولهم ذلك عن هلك عن بيته ويحيى من حي عن بيته فنهم من اهتدى واجاب ومنهم من ضرب بيته وبين الهدایة حجاب ليميز الخبيث من الطيب واهل الجنة من اهل جهنم وكل ذلك لحكم وأسرار هو بها اعلم وهكذا كان في كل امة خلت رسول يدعوهم الى الله واعتقد ان لا اله سواه كما ارشدنا الى ذلك القرآن العظيم المنزل على عبده ورسوله الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

فقال الانكليزي هل عندكم علم بعد الانبياء والرسل
فقال الشيخ نعم الا ان ما يجب علينا معرفته على التفصيل
خمسة وعشرون رسولاً وهم المذكورون في التنزيل وجمعهم بعضهم
في قوله

حتم على كل ذي التكليف معرفة

بأنبياء على التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا منهن ثانية

من بعد عشر ويقعى سبعة وهم

ادریس هود شعیب صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالختار قد ختموا

ومنهم اولو العزم خمسة جمعهم بعضهم في قوله

محمد ابرهيم موسى كلبيه

وادم عيسى هم اولو العزم فاعلم

فعيسى عليه السلام من اولي العزم لصبره على اذى قومه

ورئيسمهم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه مبين ومصدق

لما قبله من كتب الله تعالى

وقد اخترع النصارى اشيا لم يخبرنا عنها كتابنا وذلك

كالتعييد الذي تسببه النصارى الى عيسى بن مریم فما هو وما

سببه وما وجه نسبته اليه

فقال الانكليزي التعييد هو الغسل وذلك انهم يغمسون

ولادهم في ماء المعرودية يعتقدون تطهيرهم به كالخنان لغيرهم ويامرون

كل من اراد ان يدخل في دينهم بالاغتسال فيه

واما نسبته الى عيسى فلم يثبت انه عد احدا في حياته ولا

امر احدا به وهذا التعييد وان اشتهرت نسبته اليهم لم يكن خاصا

بهم بل كانت الهنود من قبلهم يغسلون في نهر الكنك وكذلك

قدماء المصريين كان كل من اراد منهم ان يتلقى اسرار (ماري

متراس) يعمد الى نهر او بئر فيغسل فيه وليس ذلك اول شيء

اخلقوه اذ منه قوله فيمن اذنب انه لا تقبل توبته حتى يعترف

للقسيس بخطبته اذ لم يثبت ان عيسى النم احداً بالاقرار له بذنبه بل هذه عادة مجازية من عهد ايزيس احد الالهة المصريين وغيره من الالهة اليونانيين وكذلك اليهود كانت معنادة على الاعتراف بذنبهم لاجبارهم

ولما الاعتراف بالفضاء والقدر والجنة والنار فاول من تكلم في ذلك سocrates وتبعه افلاطون فقسم الارواح الى طاهرة وغير طاهرة وقسم غير الطاهرة الى ما يمكن تطهيرها بالنار وما لا يمكن تطهيرها اصلا

ولما التشليث الذي يقولون به فانه ما اتهم الا من كلام افلاطون التابع فيه لشيمه احد علماء لوتريوس ثم سرى منه الى من بعده حتى وصل الى اليهود وهم الذين لقنوه للنصارى وكذلك زى اهل التدين والمجتى على الركب ووضع القسيسين ايديهم على رؤس الناس وقرأتهم بعض كلمات للتبرك بها كل ذلك كان موجودا عند قدماء المصريين

ومن جملة دعوى النصارى قوله ان الحكمة لم يتكلم بها احد قبلهم مع انه قد سبقهم الى الكلام عليها سocrates وكنتفوس وانطونين وارسطو ويوسید وغيرهم وكذلك الفلاسفة الاسطوانيون اي الذين كانوا بالاسطوانة وهي مدرسة زينون الفيلسوف فكل هؤلاء كانوا قبلهم وقد تكلموا بها وحملوا الخلق عليها حتى صناعة تركيب الالفاظ وتأليف الكلام وكان الرومانيون قبلهم يعاقبون على

الزناء وكذلك كان للسياسيين قوانين في عقاب كل من ارتكب ذنباً او خطيئة او تكلم بما لا ينبغي فكل هؤلاء كانوا مجيئاً في زمن لا يدرؤون فيه ما النصرانية ولا اهلها وكذلك قوله بالعفو عن المسيء فإنه قد سبّهم اليه ايضاً فيتاغورس وكان قبل المسيح بنحو ستمائة سنة حيث قال ما معناه لا تجتهدوا في الانتقام من اعدائكم بل اجتهدوا في ان تصيروهم من احبابكم وكذلك قوله لا تفعلوا مع غيركم ما لا تحبون ان يفعل بكم فان زرو طشت قال مثل ذلك وقد كان قبل حرب تروادة بدهر طويل حيث قال افعل مع غيرك ما تحب ان يفعل معك وادا شركت في قبح شيء او حسنة فامسك عنه وكذلك قال كنفوسيوس مثل ذلك وكان قبل المسيح بخمسة وخمسين سنة وكله ما خود من كلام هونع حيث قال ما معناه انسَ المُسْيِئَ واسأته ولا تتفكر الا في الطبيات وفعل الخيرات

وقال سينيق اذا اردت ان يكون الله راضياً عنك فكن عادلاً
وكفى بالمرء تعظيمها لله ان يتبع امره
وقال سليمان عليه السلام اول الحكمة مخافة الله فإذا علمنا ذلك ظهر لنا ان النصرانية لم تأت بشيء كان معدوماً عند من قبلها الا ان عندهم امررين لا افهم سرهما ولم اجد احداً من فداماء المؤرخين قالها
فقال الشيخ وما هما فقال انهم يأكلون فطيراً يسمونه قربانا

ويعتقدون انه لم المسيح ويسربون شرابة يسونه اذكاراً يعتقدون
أنه دمه

قال الشيخ ان دين النصرانية ليس مذموماً في الاصل بل هو
شريعة من شرائع الله تعالى وكذلك دين اليهودية ولما جاء الاسلام
نسخ جميع الشرائع ثم ان اكابر النصارى في القديم غيروا في دينهم
وبدلوا وحرفو فقد عرض له البطلان من جهتين من جهة نسخه
بالشريعة الحمدية ومن جهة التغيير والتبدل الذي وقع فيه من

علماء الديانة

قال الانكليزي نعم جرت العادة بان صلاح الام وفسادها
اما يكونان بصلاح الرؤساء وفسادهم وعندهن رؤساء الديانة كثيرون
ولكل منهم اغراض يريد تحسيلها وترى لهم حثاً شديداً على البركة
باصليب وتقريب القرابين ونحو ذلك لكن لا يخلو ذلك عن
الاغراض

قال الشيخ اني اراك تتعقبهم في امور كثيرة وذلك من
انصافك وشدة نظرك وكان ابن الشيخ مصرياً قال ما معنى الصليب
وما معنى القربان وما الفرق بين الكنيسة والدير ونحو ذلك

قال الشيخ لقد رأيت في بعض الكتب كثيراً من عوائدهم
وعقائدهم وعرفت معابدهم ومراتب رؤسائهم فمن ذلك ان اصل
برك النصارى باصليب وهو شيء ذو خطوط اربعه يجمع اصلها
المحور انهم اعتقادوا ان الذي اخذته اليهود وصلبته هو المسيح وان

صلبه كان على شيء بهذه الصفة وانهم سقوه الخمر في حنك الخنزير
 فلما قام حرض على حمل الصليب وان القربان رغيف مستدير
 عليه صليان كثيرة يخربز في كل بيت كل يوم احد من الصوم الكبير
 ويحمل الى الكنيسة فإذا فرغت الصلاة اخذ القسيس بعضه وفرق
 بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة
 وهكذا وان من اساء روئتهم الجاثيلق وهو الرئيس بالنسبة الى
 السلطنة الظاهرية ومنها المطران وهو القبيه الورع المستحب للبس
 الصوف الاسود واصل هذا الترتيب عندهم ان القاري للانجيل
 من اول وهلة يقال له شناس فان اتفن حفظه وفهمه صار قسيساً
 ويدوم على ذلك ما دام عنده زوجة فان ماتت زوجته ولم يتزوج
 غيرها صار مطراناً وان تزوج غيرها سي سالخ القسوية وخرج عن
 مراتب العلم فان تنزه المطران عن الذفر وما يخرج من الارواح
 صار بتركا على مذهب الارمن واما الروم واليعاقبة والنسطورية
 فلا يكون عندهم بتركا الا من تنزه عن النساء وعن اكل الارواح
 وما يخرج منها من اول عمره لا العسل والسمك لانه خليفة
 المسيح وطاعة هولاء فرض واما الاسقف والراهب وغيرها فاسماء
 للمعبددين خاصة

واما المعابد فالبيعة هي المعبد الصغير غير المرتفع والدير المعبد
 الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ما استندت على عمamid
 لاناجيل ولم يرفع بناؤها والصومعة مكان رفيع دقيق الاعلى واسع

الأسفل والقلة مثلها إلا أنها لا تسع أكثر من واحد والزخار منطقة
تشد في الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كان
على السرة ولو لا ان كلامنا في ذلك يشبه الفضول مع وجود اهل
ملتهم لزدتك كثيراً من امور ديانتهم

فقال الانكليزي وهل كتب المسلمين أكثر من كتب الفرنج
اني لا اظن ذلك فان للفرنج تأليف عديدة في فنون شتى وقد
اطلعوا على كثير من كتب المسلمين ومارسوها حتى تفسير القرآن
وصحيح البخاري ومتن خليل وغير ذلك

فقال الشيخ اسرار الكتب لا تؤخذ إلاّ عن اهلها الذين نلقوها
مسلسلة واحداً بعد واحد الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
ليس حاصلاً إلاّ في علماء الاسلام الذين استنارت بصائرهم فادر كانوا
معاني الكتب واسرارها نعم قد فرط علماء المسلمين في هذه الازمان
في فنون شتى حتى جهلوها واقنعوا غيرهم كفن التاريخ والرياضيات
ونحو ذلك فلو انهم التفتوا لذلك واتقنوه لانقادت لهم جميع الام
ومعلوم ان العلم على اقسام علم للآخرة وعلم للدنيا وعلم لها معاً فلو
اتقنوا جميع العلوم لكان خيراً لهم ومع ذلك فعلماء الدين هم المدحون
المثني عليهم في كتب الله تعالى وعلى لسان رسليه وكفى العلم واهله
شرف قوله تعالى اما يخشى الله من عباده العلماء وقوله تعالى هل
يستوي الدين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى فاستئنوا اهل
الذكر ان كتم لا تعلمون وقول النبي صلى الله عليه وسلم مثل

العلماء في الارض كمثل النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر
 وقوله فضل العالم على العابد كفضلي على ادنامك وقوله ان الملائكة
 لنضع اجفتها لطالب العلم رضي بما يصنع وقوله ما اكتسب
 مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردئ
 ولكن للعلم حقوق واداب لو ذكرت لك بعضها لوقعت في العجب
 العجب منها قوله صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل ما لم
 يخالفوا السلطان او يدخلوا الدنيا وبالجملة فمن اطلع على اخبار
 المتقدمين وما كتب فيها من حين ظهور هذا الدين وجد ان لا
 نور لعلم الا القرآن مصباحه ولا مطلب لمعرفة الا وهو مفتاحه
 فهو الذي نشر راية العز على جميع العلوم والمعارف واستظللت بظل
 لوانه غرائب الفتن واللطائف اذ بظهوره زالت من القلوب الاحن
 وانقطعت من بين الناس اسباب الفتن لجريانه على قانون مقبول
 قد تلقته القلوب السليمة بالقبول ومن تتبع احكام الملل وتامل في
 قوانين الاول وجد ان لا موجب للنزاع على الاطلاق الا ما فرق
 بين اليهود والنصارى من الاختلاف والشقاق فان فرق النصارى
 متشعبه جدا مع شدة بعض بعضهم لبعض فضلا عن بعض اليهود
 لجميع فرق النصارى وبالعكس حتى قالت اليهود ليست النصارى
 على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وقد جاء القرآن
 فيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة وليس في احكامه اختلاف ولا
 تناقض

فقال الانكليزي أليس عندكم مذاهب مختلفة كذهب مالك
والشافعى والحنفى والحنفى واللېيث والثوري وغير ذلك فضلاً عن
اختلاف أهل كل مذهب في مسائل مذهبهم

فقال الشيخ كلهم من رسول الله ملتزم ليس بينهم تباين
كلي بل احكامهم كفروع الشجرة التي اصلها واحد

فقال الانكليزي فما بال مساجدكم لا تخلو منها ولا تزدفونها

كما تخلى كنائس النصارى وبيع اليهود

فقال الشيخ قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن زخرفة المساجد لئلا تلهي المصلي عن الخشوع وحضور القلب مع الله تعالى ومع ذلك فهي في غاية الاحترام فلا يدخل فيها أحد بالتجاهسة ولا القاذورات ولا يتكلم فيها بلغو الحديث ولا يدخلها جنب ولا حائض ولا نفساً ولا يشهر فيها السلاح ولا ترفع فيها الا صوات ولو بالعلم فهي مع احترامها وتعظيمها لا تليق زخرفتها ولا تشيدها لأن المقصود فيها التذلل والخشوع ولذلك ورد ابنوا مساجدكم جماً يعني بلا شرارة وابنوا مدارسكم مشرفة وكان موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قبوراً للمشركين وخراماً ومخلاً فامر بالقبور فنبشت وبالخرب فسوت وبالنخل قطعوا فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عصائد الحجارة وقال اجعلوه كعريش موسى وكانت تصل الأيدي إلى سقفه وما ولـي عمر بن الخطاب الخلافة وامر بتجديده قال للقيم على العمارة اكن الناس من الشمس والمطر

وأياك ان تحرّ او تصفر فتفتت الناس فإذا فرغت من العمارة
 فاجعل فيه الفناديل الا انه صلى الله عليه وسلم كان يامر بتطهير
 المساجد وتنظيفها وتجميرها وصيانتها من الروائح الكريهة ويقول
 ان المسجد ليزوي من الخاتمة كما تزوي الجلدة في النار ويقول
 جنبوا مساجدكم صبيانكم ومحابينكم وصناعكم وبيعكم وشرايككم
 وخصوماتكم ورفع اصواتكم واقامة حدودكم وسل سيفكم ولا تخذوها
 سوقا ولا طریقا ولا تمرروا فيها بجم نيء

قال الانكليزي اني ارى لجميع كلامك حلاوة وطلاؤة
 ولا يمل من سماعه ولا يسام من استرجاعه وقد ذكرت جملة من
 احكام الاسلام كالصلوة والزکاة فهل لك ان تفیدني عنها شيئا

قال اما الصلاة فهي قربة ذات احرام وسلام او سلام فقط
 وهي افضل الاعمال بعد الشهادتين وهي عروس العبادات اي تشبه
 العرس في اشتغالها على القرآن والدعا والذكر والتسبيح والتحميد
 والركوع والسجود والخشوع والوقوف بين يدي الله تعالى وغير
 ذلك من العبادات الكثيرة في عبادة واحدة كما ان العرس يشتمل
 على اصناف الماكل والالعاب والفرح والزينة والنزاهة وله شروط
 صحة وشروط وجوب واركان و السن وفضائل

اما الزکاة فهي مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص اذا
 بلغ قدرًا مخصوصا في زمن مخصوص ويصرف في جهات مخصوصة
 قال الانكليزي وما ذلك قال اما المال المخصوص المأخوذ

فهو ربع العشر في العين الذهب والفضة والثلث كاملاً في الحبوب
 إذا سقيت بالسبيح ونصف العشر ان سقيت بالآلات وشاة واحدة
 في اربعين شاة إلى آخر ما هو مفصل في محله وأما المال المخصوص
 الماخوذ منه فهو العين والحرث والماشية وأما التدر المخصوص فهو
 النصاب وهو عشرون ديناراً في الذهب وما ثنا درهم في الفضة
 وخمسة أوسق في الحبوب إلى آخر ما هو مفصل وأما الزمن المخصوص
 فهو الحول أو محني الساعي في الماشية أو طيب الحبوب وأما الجهات
 المخصوصة فهي الأصناف الثانية المذكورة في الآية إنما الصدقات
 للقراء الخ وشرعة الزكاة لتطهير الأموال والأنفس ولها شروط
 واركان وآداب يطول شرحها منها أنها تخرج من جنس المال
 المذكر فلا يجوز جنس عن غيره ولا ردئ عن جيد ولا سقيم عن
 سليم قال تعالى لن تأكلوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال تعالى
 يا أيها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من
 الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون

وأما الصوم فهو الامساك بما يصل إلى الجوف أو الرأس من
 قبيل الفجر إلى غروب الشمس وله شروط واركان وآداب ومن
 فضائله أنه يضعف الشهوة ويهدب الخلق ويصفي الباطن ولذلك
 قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الاباء
 فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أي قاطع ولم
 يجرب منه في كل سنة إلا شهر واحد وهو شهر رمضان ولا يقع

صوم غيره مقامه ويحرم عندنا صوم خمسة أيام من كل سنة وهي يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى والثلاثة التي بعده وتنبيأ أيام التشريق ومن حكمه مشروعية التشبه بالملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام فينبغي فيه العزلة عن الناس والاشتغال بالقرآن والصلاه والأذكار ومن ادابه تعجيل الفطر وتأخير السحور ومنها الافطار على وتر من الرطب او التمر وما احسن ما قيل في ذلك فطور التمر سنه

رسول اللہ سنه

بيان الاجر عبد

یحییٰ منه سنه

ولا ينبغي أن يجعل شهر فكاهة ولعب

واما الحج فهـ قصد بـيت الله الحرام لاداء فريضة الاسلام ولا يـجب الا مـرة واحدة في العـمر ومـحل وجـوبـه ما لم يـمنع من ذلك مـانع كـفـر او اـنـقـطـاع طـرـيق او مـرـض او عـدـم رـفـيق قال تـعـالـى وـلـه عـلـى النـاس حـجـ الـبـيـت مـن اـسـطـاعـ اليـه سـبـيلا

فقال الانكليزي لا يخفى على حضرة الشيخ ان الله لا مكان

له فلم خصت هذه العبادة بهذا المكان دون غيره

فقال الشيخ هكذا اقتضت الحكمة الازلية والإرادة الربانية

قال بعضهم

أني اطلعت على البقاء وجدتها
تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وقد روی ان الله تعالى لما اهبط ادم من الجنة قال له أني
اهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلی عنده
كما يصلی حول عرشي فلما كان زمن الطوفان رفع فكان الانبياء
يبحرون ولا يعلمون مكانه فلما بوأه الله لابراہيم بناء من خمسة اجبل
حراء وثیر ولبنان وجبل الطير وجبل الخير وكما تتفاصل المنازل
الروحانية كذلك تتفاصل المنازل الجسمانية وهنها ان يساوي
الخلق بين دار بناؤها وبين التراب والتبين ودار بناؤها بين العسجد
واللجين ففرق بين مدينة أكثر عمارتها الشهوات ومدينة عمارتها
الآيات البينات فقد يجد الانسان قلبه في مكان أكثر مما يجده
في غيره وذلك ليس للاجر والتراب بل للاجر والثواب او محالسة
الاتراب كما قال

اقبّل ارضاً سار فيها جمالها * فكيف بدارِ دار فيها جمالها
وقد طاف بهذا البيت مائة واربعة وعشرون الفاً من
الانبياء سوى ما لا يعلمه الا الله من الملائكة وال AOLIYAH فهو البيت
الذي اصطفاه الله على سائر البيوت وله سر الاولية وقد اثنى عليه
ذو العزة والجبروت قال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى
بيكى مباركاً وهدىً للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن
دخله كان امناً وقال صلى الله عليه وسلم خير بلدة على وجه الارض

واحبها الى الله مكة الى غير ذلك من الآثار الدالة على فضلها
 فوالله لولا العوائق الشاغلة لبسطت لك متون آياتها ونشرت
 عليك فنون دلالتها وكان قد حان وقت القيام فاستأذن الشيخ
 وقام وهو يكرر هذا الكلام

يا رحمة الله للعباد * اودعك الله في الجماد
 يا بيت ربى يانور قلبي * يا فقرة العين يا مرادي
 يا كعبة الله يا حياني * يا منهج السعد يا رشادي

المسامرة الخامسة والخمسون

نواذر

ثم دخل مخدعه ونام حتى الصباح فافتى فدخل عليه ابنه فقال له اين كانت غيبتك وفيما انقضت ليالك قال له كنت مع يعقوب والخواجا الطلياني في غرفة بجواركم فوجدنا بها كثيراً من رجال ونساء وفيهن صاحبة المنزل وهي التي اخذتني وأجلستني بجوارها والذي اخرني الى هذا الوقت اني رأيت بعضهم يجاجي ببعضها بسائل معها ما كنت افهمه ومنها ما لم اتعقل معناه فقال له والده هل بقي منها في ذهنك شيء قال نعم من ذلك ان احدهم قال لثلاثة من كان هناك ليأخذ كل واحد منكم ورقة اي من الوراق المعدة للهواء واللعب بشرط ان لا تزيد نقطتها المرسومة عليها عن تسعة فاخذ كل واحد ورقة ثم قال لمن اخذ اولاً ضعف عدد

نقط ورقتك ثم اسقط من المجموع واحدا او ضرب الباقى في خمسة
 ثم زد على المجموع خمسة ثم اضف الى الجميع رقم ورقة الشخص
 الثاني ثم ضعف الم hasil واسقط منه واحدا او ضرب الباقى في
 خمسة ثم اضف الى الجميع رقم ورقة الشخص الثالث ففعل كما
 قال ثم قال له فما قدر المجموع فقال كذا فقال حينئذ يكون
 لكل واحد من الثلاثة بقدر عدد النقط الذي كان على ورقته
 فعجبنا من ذلك فلما رأى الطليانى تعجب قال لا عجب لأن ورقة
 الاول كان عليها ثلاث نقط وورقة الثاني اربع وثالث سبع
 فببساط واحد من ستة التي هي ضعف الثلاثة صار الباقى خمسة
 وبضربه في خمسة صار الم hasil خمسة وعشرين وبزيادة خمسة
 يكون الم hasil ثلاثين وباضافة رقم الثاني عليه وهو اربعة يكون
 الم hasil اربعة وثلاثين فإذا ضعفته صار ثانية وستين فإذا سقطت
 واحدا بقي سبعة وستون فإذا ضربته في خمسة كان المجموع ثلاثة وثمانية
 وخمسة وثلاثين وبزيادة خمسة يكون المجموع ثلاثة واربعين فإذا
 ضم عليه رقم ورقة الثالث وهو سبعة بلغ ثلاثة وسبعين واربعين
 فلو تأملت ذلك لوجده مركبا من الارقام التي على الاوراق
 الثلاثة

ومنها ان احدهم مد يده الى الطاولة واخذ ثلاثة اوراق وقال
 لي اختر في سرك واحدة منها ففعلت ثم وضع الثلاث على الطاولة
 بعضها فوق بعض واخذ ثلاثة اخرى وعرضها على النساء اللاتي

كن معنا فاخترت أحدهن واحدة منها ثم وضع الأوراق الثلاث
 بعضها فوق بعض ايضاً بجذاء الثالث الأول ثم اخذ ثلاثة اخرى
 وفعل فيها كما فعل فيما قبلها ثم سألي عن ورقي في اي صف
 هي فاشرت اليه فاخبرني بها ثم سأله كل ست عن ورقتها في
 اي صف فاشارت اليه فاخبرها بها من غير ان يخطئ ثم فرق
 الثالث الاولى بعضها بجذاء بعض ثم فرق الثالث الثانية يجعل
 كل ورقة منها على كل ورقة من الثالث الاولى وكذلك فعل
 بالثالث الثالثة فعجيت لذلك فقال يعقوب لا تعجب فان الورقة
 الاولى تكون في الصف الاسفل والورقة الثانية تكون في الصف
 الاوسط والورقة الثالثة تكون في الصف الاعلى ثم قال لي يعقوب
 واغرب من ذلك اتنا لو فرضنا جميع الورق ستاً وثلاثين وقسمناها
 ثلاثة اقسام كل واحد منها اثنتا عشرة ورقة وجعلنا ورق كل
 قسم متحادياً ثم قلنا لانسان اخت في نفسك ورقة من اي قسم
 اردت واردنا معرفة هذه الورقة من غير ان نسأل عنها لامكن
 ذلك من غير صعوبة ثم قام واخذ الورق الذي كان موجوداً
 وقسمه كما قال ثم قال لي اخت في سرك ورقة فاخترت من الصف
 الوسط فجمع ورقة ووضعه بين اوراق الصفين الاخرين بعد جمع
 كل منها كذلك ثم اخذ الورقة العلية وجعلها مبدأ صف ثم
 الثانية وجعلها مبدأ صف اخر ثم الثالثة كذلك ثم اخذ الرابعة
 فوضعها فوق الاولى والخامسة فوق الثانية ثم السادسة فوق الثالثة

وهذا حتى جعل الورق ثلاثة اقسام ثم سألي عن الصف الذي فيه الورقة التي اخترتها فاشترت له اليه فجبع ورقه ووضعه بين الصفين ثم وزعه كما فعل في الاول ثم سألي عن الصف الذي هي فيه فاخبرته به فقال حيث ذُكر في الصف من هذا الصف فكان كما قال

فلما فهم من كان هناك ان يعقوب دراية بمثل هذه الاحاجي سأله ان يديه لهم شيئاً مما عنده منها فابدى لغزاً على دستة الورق التي عددها اثنان وخمسون ورقة وقال لاحدى النساء خذني اي ورقة شئت فاخذت ورقة على غير مرأى منه ثم ضم اليه الباقى وبعد برهة بين لها العدد الموجود في ورقتها ثم عرض الورق ثانياً عليهم فاخذت احداهن ورقتين حيث اتفق كها امر ثم قال لها خذني لكل ورقة اورافقا حتى تكمل ارقامها خمساً وعشرين نقطة يعني ان كانت نقطاً احدى الورقتين ستاً تأخذ تسعة عشر ورقة وان كانت تسعاً تأخذ ست عشر فاخذت كما قال ثم جمع ما بقي من الورق فكان سبعة عشر فقال لها نقط الورقتين سبعة عشر فكان كما قال فدهشوا من حذقه وشدة فطنته خصوصاً الشاب الذي كان يلعب اولاً حتى انه طلب منه ان يعلمه ما اشكل عليه من احاجيه فاجابه الى ما طلب ثم لما علمنا فیا مک
قنا فدخلت محلنا ومعي يعقوب فاراني من ذلك اموراً كثيرة ووعدني بغيرها فسألته عن الشکل الاول وكيف عرف الرقم

الذى على الورقة التي كانت اخذتها المرأة من غير ان يسألها عنه
 فقال لي طريقة معرفة ذلك ان تجمع جميع ارقام الورق وتحصل
 الخادم مثلا منها مقدراً ب احد عشر والبنت باثنى عشر والباباز
 بثلاثة عشر ثم تجمع رقم الورقة الاولى على الثانية والحاصل على
 الثالثة فإذا زاد الحاصل على ثلاثة عشر فاسقطها منه واضف الباقى
 الى رقم الورقة الرابعة فإذا زاد الحاصل على ثلاثة عشر فاسقطها
 منه كا نقدم ولا يلزم ان تعدد رقم الباباز لانه ثلاثة عشر وهكذا الى
 ان تنتهي الى عدد منه تعلم الورق الناقصة ورقمها مثلا اذا كان
 الباقى الاخير أحد عشر دل على الخادم وان كان اثنى عشر دل
 على البنت وان كان صفر دل على الباباز فلو فرض ان عدد
 الورق كان اثنين وثلثين فطريق معرفتها هي طريق الاثنين
 وخمسين بعينها لكن الاسقاط يكون عشرة عشرة لا ثلاثة
 عشر فإذا وصلت الى الورقة الاخيرة تضم على الحاصل اربعة فان
 كان اقل من عشرة فاطرحه منها فان الباقى يكون عدد رقم
 الورقة الماخوذة وان كان الباقى اكثر من عشرة فاطرحه من
 عشرين فيكون الباقى عدد تلك الورقة فان كان الباقى اثنين
 دل على الخادم وان كان ثلاثة دل على البنت وان كان اربعة
 دل على الباباز ثم قال لي واذا فرضنا ان احد المحاضرين اخذ
 ثلاث اوراق واردنا معرفة حاصل اعدادها فطريقة ذلك ان نأخذ
 دستة ورق من اوراق اللعب يكون عدد ورقها يقبل القسمة اثلاثا

بان تكون ستا وثلاثين مثلا ثم نقول للذى اخذ الاوراق الثلاث
خذ لكل ورقة قدرًا من الورق يبلغ بالرقم الذى على الورقة احد
عشر فاذا فرض ان رقم احدى الورقات التي اخذها تسعة ياخذ
ها ورتين وان الثانية سبعة ياخذ لها اربعا وان الثالثة ستة ياخذ
ها خمسا فيكون مجموع الورق الماخوذ في هذا المثال اربعة عشر
والباقي اثنين وعشرين وهو جملة ارقام الورقات الثلاث الماخوذة
او لا

ولنا في حلها طريقة اخرى وهي ان نقول للذى اخذ الاوراق
الثلاث اسقط في سرك رقم كل ورقة من اثنى عشر واجمعبالباقي
الثلاث ثم نستعمل منه عن المحاصل ونسقطه من عدد ورق اللعب
وهو ستة وثلاثون فيكون الباقى اثنين وعشرين وهو المطلوب مثلا
اذا كان رقم ورقة تسعة وورقة سبعة وورقة ستة كان باقى الاولى
ثلاثة وباقى الثانية خمسة وباقى الثالثة ستة ومجموع هذه الباقي
اربعة عشر فاذا استطناه من عدد الورق وهو ستة وثلاثون كان
الباقي اثنين وعشرين وهو المطلوب ولو كان عدد الورق اكثرا من
ستة وثلاثين بان كان اثنين وخمسين مثلا واردنا معرفة ارقام
اوراق الثلاث استعملنا عددا اكثرا من عشرة واقل من سبعة عشر
الذى هو ثلث الاثنين وخمسين بعد الكسر كخمسة عشر ثم نقول
للذى اخذ الاوراق الثلاث خذ لكل ورقة ورقا من اوراق
اللعب حتى يتم رقم الورقة بالورق الماخوذ خمسة عشر كان يأخذ

في المثال ستة للورقة التي رقمها تسعة وثمانية لـ التي رقمها سبعة وتسعة
 لـ التي رقمها سبعة فمجموع الاوراق الماخوذة وهو ستة وثمانية وتسعة
 ثلاثة وعشرون تضم الى الثالث الماخوذة اولاً فيكون الحاصل
 ستة وعشرون والباقي ستة وعشرين نطرح منه اربعة فرق ما بين
 اصل عدد الورق وهو اثنان وخمسون وبين ثلاثة امثال العدد
 المستعمل وهو خمسة عشر مضافاً عليه ثلاثة اي ثمانية واربعون
 يكونباقي اثنين وعشرين وهو المطلوب وهناك طريقة عامة اي
 سواء كان ورق اللعب اثنين وخمسين او ستة وثلاثين وسواء
 كان في كل من الحالتين كاملاً او ناقصاً سواء كان العدد
 المستعمل خمسة عشر او ثلاثة عشر او اربعة عشر او ستة عشر وسواء
 كان عدد الورق الماخوذ ثلاثة او اربعة او غير ذلك
 وهي ان تضرب العدد الذي استعملته في عدد الورق
 الماخوذ وتضيف الى الحاصل عدد الورقات الماخوذة ثم تسقط
 الحاصل من عدد ورق اللعب المستعمل اي من اثنين وخمسين
 ان كان عدده مركباً من اثنين وخمسين ومن ستة وثلاثين ان كان
 مركباً من ستة وثلاثين فيكونباقي هو العدد اللازم اسقاطه من
 الورق الذي يكون باقياً من ورق اللعب وباقى الطرح هو المطلوب
 مثلاً اذا فرض ان الماخوذ اربع ورقات وان رقم احداها ثلاثة
 والثانية خمسة والثالثة سبعة والرابعة عشرة وفرض ان العدد المختار
 احد عشر يضرب احد عشر في اربعة يكون الحاصل اربعة وأربعين

يضم عليه أربعة فيصير ثمانية وأربعين تطرحه من اثنين وخمسين يكون الباقي أربعة تطرحها من تسعة وعشرين فيكون الباقي خمسة وعشرين وهو مجموع أرقام الأوراق الأربع الماخوذة ورقم تسعة وعشرين السابق هو الورق الذي بقي من ورق اللعب بعد تكميل كل ورقة من الورق الماخوذ أحد عشر كذا مر لانا نأخذ للأولى ثمانية وللثانية ستة وللثالثة أربعة وللرابعة واحداً ومجموع ذلك تسعة عشر فإذا أضفنا له الاربعة التي أخذت كأن الحاصل ثلاثة وعشرين إذا طرحناها من اثنين وخمسين كان الباقي تسعة وعشرين كذا ذكرنا

وهناك دقيقتان ينبغي التنبه لها الأولى ما إذا فرض أن أرقام الأوراق الأربع مثلاً كانت واحداً وثلاثة وأربعة وبسبعين وفرض أن العدد المختار اثنى عشر فيلزم على قياس ما مر أن نضرب اثنى عشر في أربعة يكون الحاصل ثمانية وأربعين ونضم عليه أربعة عدد الأوراق يحصل اثنين وخمسين وهو قدر عدد ورق اللعب فحينئذ يكون الفرق بينها صفرًا في هذه الحالة وما ماثلها يكون الورق الباقي بعد الماخوذ هو مجموع أرقام الأوراق الأربع الماخوذة وبيانه أنه إذا أخذ للورقة الأولى أحدى عشر ورقة لتكميل العدد اثنى عشر وأخذ للثانية تسعة وللثالثة ثمانية وللرابعة خمسة ومجموع ذلك ثلاثة وثلاثون فإذا أضيف له أربعة وهو عدد الورق الماخوذ يكون سبعة وثلاثين فإذا طرحته من عدد الورق الذي هو اثنان

وخمسون فان الباقي يكون خمسة عشر وهو ارقام الورقات الاربع
المأخذة

والثانية ما لو فرضنا ان المأخذة ثلاثة وورقات من ورق
عده ستة وثلاثون وكانت ارقام الثلاث المأخذة اربعة وبسبعين
وتسعة والعدد المختار خمسة عشر فعلى قياس ما من نضرب خمسة
عشر في ثلاثة يكون الحاصل خمسة واربعين نضم له ثلاثة يكون
ثمانية واربعين وهو اكثر من عدد ورق اللعب ففي هذه الحالة
سقوط الاصغر وهو ستة وثلاثون من الاكبر وهو ثمانية واربعون
فيكون الباقي اثنى عشر نضيفه الى الورق الباقي بعد المأخذة فيكون
حاصل الجمع هو ارقام الورقات الثلاث المأخذة في هذا المثال
لاجل تكميل ارقام كل ورقة خمسة عشر نأخذ للاولى احد عشر
والثانية ثمانية وللثالثة ستة وحاصل الثلاث خمسة وعشرون
وباضافة الورقات الثلاث يكون الحاصل ثمانية وعشرين نسقطه
من عدد ستة وثلاثين الذي هو ورق اللعب يكون الباقي ثمانية
نضيف له الاثنى عشر وهو الفضل بين الستة والثلاثين والثانية
والاربعين فيكون الحاصل عشرين وهو ارقام الاوراق الثلاث
وقد تطراً دقيقة ثلاثة وهي ما لو فرض ان ارقام الورقات
الثلاث اثنان وثلاثة واربعة وكان العدد المختار خمسة عشر وعدد
الورق ستة وثلاثين في هذه الحالة يلزم لاجل تكميل رقم الورقة
الاولى ان نأخذ لها ثلاثة عشر وللثانية اثنى عشر وللثالثة - اخذ

عشر و مجموع ذلك ستة و ثلاثون يضم له عدد الورقات الثلاث فيكون تسعه و ثلاثة وهو أكثر من عدد ورق اللعب بقدر ثلاثة ففي مثل هذه الحالة تسقط ثلاثة من اثنى عشر التي هي الفرق ما بين ثانية واربعين وستة وثلاثين فيكون الباقي تسعه وهو ارقام الورقات الثلاث وهكذا

فقال الشيخ لا ياس بهذه المعايير لما فيها من توسيع العقل والا عانة على معرفة الحساب ويقرب من ذلك ما سمعته في صغرى وهو ما لو فرضنا ان انسانا معه ثلاثة اوعية احدها يسع ثانية ارطال والثاني خمسة والثالث ثلاثة وكان الكبير مملوءا والاثنان الباقيان فارغين واردنا ان نضع نصف ما فيه في الاناء الوسط

فلينم

اولا ان ثلاثة من الكبير تكون فيه خمسة وفي الكبير ثلاثة
ثانياً ثلاثة الصغير من الوسط فيكون حبيذ في الصغير ثلاثة
وفي الوسط اثنان وفي الكبير ثلاثة

ثالثاً نضع ما في الاصغر على ما في الافضل فيكون في الوسط
اثنان وفي الكبير ستة والصغير فارغا

رابعاً نضع ما في الوسط في الاصغر فيكون فيه اثنان وفي
الكبير ستة والوسط فارغا

خامساً ثلاثة الوسط من الكبير فيبقى فيه واحد والصغر اثنان

والوسط خمسة

سادساً حيث وصلنا لهذا الحد نكمل لأناء الصغير ما في
الوسط فيكون فيه ثلاثة وفي الوسط أربعة وفي الكبير واحد فحيث
قد انقسم الزيت كما هو المطلوب

فقال ابن الشيخ لو اردنا بقاء نصف الزيت في لأناء الكبير

كيف نفعل

فقال الشيخ نهلاً الصغير ولا فيكون فيه ثلاثة وفي الكبير

خمسة

ثانياً بنقل ما في الصغير في الوسط فيكون فيه ثلاثة وفي

الكبير خمسة

ثالثاً نهلاً الصغير من الكبير فيكون فيه ثلاثة وفي الوسط

ثلاثة وفي الكبير اثنان

رابعاً نكمل الوسط من الصغير فيكون فيه واحد وفي الوسط

خمسة وفي الكبير اثنان

خامساً نضع ما في الوسط في الكبير فيكون في الصغير واحد

وهي الكبير سبعة

سادساً نضع ما في الصغير في الوسط فيكون فيه واحد وفي

الكبير سبعة والصغير فارغاً

سابعاً نهلاً الصغير من الكبير فيكون في الصغير ثلاثة وفي

الوسط واحد وفي الكبير أربعة وهو المراد

ثم قال لو فرضنا أن لأناء الكبير يسع اثنى عشر رطلاً فارداً

انفصال النصف لتعطيه بعض الناس ولم يكن معنا الا آنان
آخر انحدراها يسع سبعة ارطال والآخر خمسة فطريق العمل هكذا
نلاً الصغير اولاً فيكون فيه خمسة ويبقى في الكبير سبعة
ثانياً نقل ما في الصغير الى الوسط فيكون فيه خمسة وفي

الكبير سبعة

ثالثاً نلاً الوسط من الكبير فيكون في الصغير خمسة وفي
الوسط خمسة وفي الكبير اثنان

رابعاً نكمم الوسط من الصغير فيكون في الصغير ثلاثة وفي
الوسط سبعة وفي الكبير اثنان

خامساً نضع ما في الوسط في الكبير وما في الصغير في الوسط
فيكون في الوسط ثلاثة وفي الكبير تسعه

سادساً نلاً الصغير من الكبير والوسط من الصغير ثم ننذر
يكون في الصغير واحد وفي الوسط سبعة وفي الكبير اربعة

سابعاً ننقل ما في الوسط لل الكبير وما في الصغير للوسط فيكون
في الوسط واحد وفي الكبير احد عشر

ثامناً نكمم الوسط من الكبير فيكون في الوسط ستة وفي
الكبير ستة وهو المطلوب

وبينها على هذا الحال وإذا بعثت قد دخل فقال له
الشيخ اني اتبعت طريقةك ونهجت محبك وان لم ابلغ في ذلك
درجتك وقد ثبتت على ولدي بعض امثال تقرب ما كنتما فيه

هذه الليلة ومحكى له مسألة تقسم الزيت في الاواني الثلاثة
 فقال يعقوب هذه المسألة مثل ما اذا كان المراد تقسم واحد
 وعشرين برميلا ثلثها مملوء من الماء وثلثها فارغ والثالث الثالث
 على النصف على ثلاثة كل واحد ثلثها وثلث الماء
 فقال ابن الشيخ يأخذ كل واحد سبعة فقال يعقوب هذا
 ظاهر اذا كانت البراميل كلها فارغة او مملوءة او متساوية المقادير
 وفرض المسألة ليس شيئاً من ذلك ولو تأملت لعرفت حلها لأن
 عدد سبعة يمكن تحليله الى ثلاثة اعداد وهي اثنان واثنان وثلاثة
 وكل من هذه الاعداد تحل به المسألة فنعطي مثلاً للاول اثنين
 مملوءين واثنين فارغين وثلاثة على النصف
 وللثاني اثنين مملوءين واثنين فارغين وثلاثة على النصف
 وللثالث ثلاثة مملوءة وثلاثة فارغة وواحداً منصفاً وبهذه
 الكيفية يكون مع كل واحد من الثلاثة قدر ما مع الآخر من
 البراميل والماء
 ويمكن حلها بطريق اخر وهو ان يعطى للاول ثلاثة ملائنة
 وثلاثة فارغة وواحد على النصف وللثاني ثلاثة ملائنة وثلاثة فارغة
 وواحد على النصف
 وللثالث واحد مملوء واحد فارغ وخمسة على النصف ففي
 هذه الطريقة ايضاً اخذ كل منهم الثالث في كل من المظروف
 والظروف

ثم لاجل حل كل ما يشبه هذه المسألة يلزم أن يكون
 خارج قسمة عدد البراميل على عدد الأشخاص عدداً صحيحاً فلو
 لم يكن كذلك لم تأتِ القسمة كاً لو طلب تقسيم واحد وعشرين
 برميلاً على أربعة فهذا لا يمكن بخلاف تقسيم أربعة وعشرين برميلاً
 على أربعة فلا شك في امكانه فان خارج القسمة ستة فالذى يلزم
 هو تحليل خارج القسمة الى اجزاء صحيحة يقدر عدده الأشخاص ففي
 هذا المثال الاجزاء التي يتحلل اليها ستة هي ٢٠ وواحد وواحد
 ولا يكون غير ذلك فعلى هذا يعطى لل الاول اثنان مملوءان واثنان
 فارغان وواحد على النصف وواحد على النصف
 وللثالث واحد مملؤ وواحد فارغ واثنان على النصف واثنان

على النصف

وللرابع واحد مملؤ وواحد فارغ واثنان على النصف واثنان على
 النصف فلو فرضناها سبعة وعشرين برميلاً ثلثها مملوء وثلثها على
 النصف وثلثها فارغ واريد تقسيمها على ثلاثة فالقسمة ممكنة لأن
 خارج القسمة تسعه وله ثلاثة كيفيات

الاولى يعطى لكل منهم تسعه برميل كل ثلاثة من نوع

الثانية يعطى لل الاول واحد مملؤ وواحد فارغ وسبعة على

النصف

والثالثى أربعة مملوءة واربعة فارغة وواحد على النصف

وللثالث اربعة مملوءة واربعة فارغة وواحد على النصف
 فيأخذ بهذه الطريقة كل واحد تسعة
 والكيفية الثالثة ان يعطى الاول اثنان مملؤان واثنان فارغان
 وخمسة على النصف

وللثاني ثلاثة مملوءة وثلاثة فارغة وثلاثة على النصف
 وللثالث ٤ مملوءة واربعة فارغة وواحد على النصف
 وفي هذه المسائل وما يشبهها كتب طويلة وجدت منها كتاباً
 مع احد اصحابي المراكبة الذين كنت اجتمع بهم عند الفراغ من
 الشغل فكان يغبني عن مفاكهة الانيس ومحادثة الجليس وقد
 حفظت منها اشياء كثيرة وان شاء الله في وقت غير هذا نتكلم فيما
 يحضرني منها فاني جئت الان مرسولاً من قبل الخواجا لا علمكم انه
 يتظر حضرتكم حيث تكون الساعة ١٠ افرنجية وهو انا متوجه نحو
 المدينة لقضاء بعض اشغال اهري بها

المسامرة السادسة والتسعون

التدبر

ثم استأذن الشيخ وتوجه لمجلس الشيخ مع ولده برهة ثم نظر في الساعة فوجد الوقت قد أزف فقام متوجها اليه ومعه ولده فلما دخلا عليه قام لها واجلسها وأنسها ثم قال للشيخ ان رئيس الجمعية ارسل لي تذكرة يسلم فيها على حضرتكم ويخبرني انه في انتظارنا جميعا في الساعة المعينة بيننا وبينه ويقول ان من شأن الكرام اذا وعدوا وفوا بوعدهم وقد بقي من الوقت ثلاث ساعات فلما علم ابن الشيخ امتداد الوقت استأذن والده في الذهاب مع يعقوب فاذن له فقال ابن الشيخ ليعقوب الى اين تريد فقال ان حضرة الخواجا اشتري بالامس نظارة معظمه من احد المخازن وكان بها بعض نقص فامر صاحبها باقامة وقد اعطاني ثمنها لا حضرها له

قال ابن الشيخ اذكر حين كنا بالمركب وحضره الخواجا
بذكر لنا بعض كلمات تتعلق بالنظارات وكان قد وعد ان يشرحها
لنا اذا وصلنا الى باريس فعسى ان يكون مشتراها لانجاز ما وعد
قال يعقوب زبها كان كذلك ولكنه لم يخبرني عن شيء
وبينا هما سائران اذا باناس كثيرين يدخلون كنيسة وعلى
بابها عربات كثيرة وخدم وكلهم في زي غير معتاد وعلى ابواب الكنيسة
عساكر بملابس رسمية وجميع آلات الموسيقى تصرخ فسأل ابن الشيخ
يعقوب فقال له هذا معبد النصارى الذي يعبدون فيه فقال
وما المناسبة بين محل العبادة الدينية والملاهي الدنيوية

قال يعقوب الباريزيون دائم الحضوظ النفسية فلا يفارقونها
سواء كانوا في المعابد او التיאترات او غيرها فتجده في كل منها ما
في الثاني من الحظوظ ولا فرق بينهما الا بكثره ما يوقد في الكنيسة
من الشموع وما يحرق فيها من البخور وكثرة النساء والشبان
وميلهم الى الاصوات الحسان لا يكون للقسیس شهرة بينهم الا بحسن
الملابس ونضاره الزي وكثرة الوشي وما اشبه ذلك

قال ابن الشيخ لو دخلنا لعلمنا حقيقة الحال

قال يعقوب لا باس في دخولنا فدخلوا فوجدوا زحاماً عظيماً
من رجال ونساء وكل هيئة مخصوصة به وقت عبادته فترى
الرجال وقوفاً رؤسهم مكسوقة والنساء جاثيات على ركبتيهن
وبايديهن كتب صغيرة منقوشة وعلى جلوبيها رسوم بباء الذهاب

والجبن وعلى النساء والرجال اغتر الملابس واما القسيسون فلا
يراهن الداخل الا على بعد وكانت ملابسهم اذ ذاك مكللة بالذهب
ومزركشة بالقصب ومزينة برسوم يقضى لها بالعجب وكان كبيرهم
يتكلم بصوت عال رخيم كانه خطيب على مرتفع عظيم الا ان ابن
الشيخ لم يعرف كيفية هذه العبادة لانه لم يسبق له في هذا الامر
عادة فعجب كل العجب وطرب ما رأه غاية الطرف سيرا واصوات
الآلات والانجان كانت تختلط باصوات القسيسين فسأل يعقوب
اما ي قوله القسيس وعن اللسان الذي يتكلم به فقال يعقوب اما
قوله في الامور الدينية مثل الصلوات والادعية واما لسانه
فاللاتيني

فقال ابن الشيخ اذا لا علم للحاضرين بما يقول فقال نعم ولكنها
رسوم يؤدونها واوصيك ان تكتفي الان بالنظر والمشاهدة
وكان ابن الشيخ وقت دخوله لم ينزع عمامته فرأه احد الخدم
فأمره بان يكشف راسه ففعل ولم يتوقف ولكنه عجب من اعنائهم
بكشف الرؤوس مع عدم خلعهم النعال ورأى كلاباً كثيرة مع
اربابها داخل المعبد ولا انكار على احد من احد فزاد عجبه من
ذلك ورأى جميع حائط الكنيسة من الداخل مكسوا بالجروح
الاسود والشمع موقودة في جميع اماكنها ثم التفت ابن الشيخ فرأى
ميتاً قد حضرى به وقد امه عدد كثير من القسيسين والرهبان
لباسهن الملابس الرسمية فوضعوه وجعلوا يطوفون حوله

ثم اخذ ابن الشیخ بید یعقوب و خرجا من الکنیسه وقد رأى
 یعقوب ان ابن الشیخ تأثر من تلك المناظر فسأله عن السبب
 فقال یسوعی ان ارى المعابد على غير ما وضعت له فانظر الى مساجدنا
 وقارن بيننا فيها وبين الافرنج في کائسهم تجد فرقا عظيماً فان اجتماع
 المسلمين في المساجد عندنا ان کان للصلوة على الجنائز لم یفعلوا الا
 ما یعود نفعه على المیت من الصلوة عليه والاستغفار له سواء کان
 المیت غنیاً او فقیراً صغيراً او کیراً وان کان لادا فریضة كانوا
 على غایة من الخضوع والخشوع ولذلك یطلب من الانسان قبل
 شروعه في الصلوة طهارة بدنہ وثوبه والتوجه الى ربہ بقالبه وقلبه
 والتخلي عن الاعلائق الردیة والتخلي بالاعلائق المرضیة
 فقال یعقوب قد کان امرالدین قبل الان بعدة قرون عند
 جميع الامم من اهم الامور وكانت اماكن العبادة اکثر احتراماً واعتباراً
 من جميع الاماکن وبعض من یجهل سر ذلك یزعم ان الادیان اثنا
 كانت معظمه في الزمن السابق لجهل الام اذ ذاك بحال امر
 الديانة ويقول ان رقاب الخلوق كانت بایدي القسیسین يتصرفون
 فيها تصرف السادات في عبیدهم واما الان فقد استغنى الناس
 عن ذلك لعلمهم بثبات التمدن وصار كل انسان في غنية عنهم
 ويکنه الاهتداء بنفسه الى ما فيه صلاح له وليس احد ملزماً باتباع
 دین دون اخر فله اختيار ای دین شاء وله ان لا یتدين بدين

اصلاً فمن هذا وامثاله تغيرت عقيدة الناس فصار جال اغلب بقاع
 اوروبا كما ترى من قلة التدين
 وحال الكنيسة في المونى مختلف باختلاف انسان فالغنى
 تعقد له محافل مثل ما رأيت وذلك على حسب ما يصرف من
 النقود

ولما القير فربما لا يفعل له شيء من ذلك اصلاً ومع ذلك
 فلو تأملت جميع هؤلاء الناس بعد خروجهم من الكنيسة وتقدرت
 احوالهم لوجدتها مخالفة لأمور الديانة بالكلية فانَّ البنت تقول
 لامها مثلاً فلانة كانت في زيِّ كذا وفلانة في زيِّ كذا او فلانة
 اجادت الغناء أكثر من فلانة وكسوة سيدى القسيس كانت كذا
 وكذا ورأيت سيدى القسيس فلاناً يتكلم مع فلانة سرًا او علانية
 وهلم جراً ولا تكاد تسمع في ذلك اليوم الا الكلام في قدر ما احرق
 من الشموع والبخور وكسوة الكنيسة وما اعطي للقس وما زخرفت
 به خشبة الميت ومن مشي خلفه او امامه من الاعيان والامراء ونحو
 ذلك وقل ان تسمع احداً يذكر اسم من قبضت روحه او من قبضها
 و اذا سمع ذلك لا يكون الا من امرأة عجوز منهم
 ولما وصلوا الى الحانوت الذي قصده يعقوب تلقاها صاحب
 الحانوت وامر لها بكرسيين واجلسها ثم قال ان الصندوق قد تم
 من مدة وكانت عازماً على ارساله لحضرته الخواجا لظني انك لانتاخر
 عن الميعاد الا لعذر

قال يعقوب انه بعثني في الوقت الذي عينته له وإنما تأخرت
لان ابن الشيخ رأى في طريقنا جنازة فاحب ان يدخل الكنيسة
ليعرف العوائد الجارية هنا في الجنازات فمكثنا بها حتى علم
عوايدهم في موتاهم فهذا هو الذي اخرني عن الحضور في الوقت
المعين

قال صاحب الحانوت اظن ان القسيسين اختلفوا بهذه
الجنازة فاني سمعت انه صرف للكنيسة نحو ثلاثة الف
فرنك وانه لمجتمع في الجنازة جم غفير وكانت تهيأت للذهاب لانظر
ما هناك فعندي مانع وهواني كنت في جهة سراي الملك ثم قال وماذا
قال صاحبك المصري فيما رأى وهل تشيع الجنازات في بلده كما
رأه في بلادنا ففهم ابن الشيخ كلامه ولكنه هاب ان يكلمه باللغة
الفرنساوية خوفاً من العترة فيها

قال يعقوب بالعربية قل له ان عوائد المسلمين في ذلك
ليس لكم فان المسلمين اذا مات منهم احد وكان مشهوراً
بشيء من مناقب الصالحين لا يلتفت لما له بل يجتمع جنائزه كل
من سمع بهاته وان لم يكن من اهله ولا من ذوي قرابته فاعتبثار
الميت عندنا وعدم اعتباره بعد مماته تابع لما كان يعمله من خير
او شر في حياته فان كان كثيراً لاحسان سليم القلب طاهر اللسان
متعوداً على فعل الخير دائم السعي في نفع الغير محباً للمساكين
والقراء مؤدياً ما اوجبه الله عليه في السراء والضراء حزن لموته

الأجانب ورثوه أكثر من أقاربه الذين ورثوه وإن كان بخلاف ذلك في حياته لاتي ما يسوءه ويسمى أقاربه بعد وفاته فقد يكون الشخص عندنا فقير الحال لا وارث له ولا مال ويجتمع في جنازته من الرجال والنساء ما يضيق عنه الفضا ويصلون عليه ويسوون خلفه وبين يديه يستغفرون له ويعددون محاسنه إلى أن يدفنه فإذا فرغوا من دفنه عزوا أقاربه إن كان له أقارب ولا عزى بعضهم بعضاً ثم يرجعون إلى منزل الميت إن كان له منزل يليق بالعزاء والأفالي محل يليق به ويبدل أهل الثروة والمزورة ما في وسuum من الخدمة ورفع الالफ عن أقارب الميت ويعملون له الختمات والسج ونحو ذلك من العوائد التي يعود نفعها على الميت كاطعام الطعام وغير ذلك إلى ثلاثة أيام أو أكثر على حسب فضائل الميت قلة وكثرة كل ذلك وأقارب الميت لا شغل لهم إلا مقابلة الواردين وتشييع الصادرين وإنما إذا كان الميت بخلاف ذلك فلا يعبأ أحد بجنازته ولا يعلم كيف ولا متى صار إلى حفرته ولو كان غنياً متولاً ذاته وعلى كل حال لا يجب في تركة الميت ولا على ورثته سوى غسله وتكمينه والصلة عليه ومواراته في تربته إلا أن كان أوصى في حياته ببعض خيرات تعامل له بعد مماته ومن الأحكام الدينية أنه إذا مات الميت منا وخلف ولداً فاصلراً أو حملاً في بطنه أمه حرم علينا استعمال شيء من مخلفاته ولو فرشاً أو آنية حتى شرب الماء إلى أن تقسم التركة وتبين الانصباء

وهنا وقف ابن الشيخ عن الكلام فترجم يعقوب مقاله
 ثم قال لصاحب الخان ان الخواجا في انتظارنا فهات الصندوق
 فناوله اياه فانصرف به يجدان في السير الى ان وصلا فوجدا الشيخ
 وصاحبها في انتظارها فقال الخواجا ليعقوب ما اخرك الى هذا الوقت
 واخذ يلومه ويعنفه واراه خلقا لم يكن من قبل فيه يعرفه وكان من
 عادة يعقوب ان لا يكتم عنهم شيئاً من خبره فذكر لهم ما كان من
 امر الكنيسة ورغبة ابن الشيخ في دخوها فكشف عن لومه ثم التفت
 الى ابن الشيخ فرأى على وجهه علامات الحigel فقال لا بأس عليك
 حيث كان في تاخرك فائدة

(انتهى الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع)

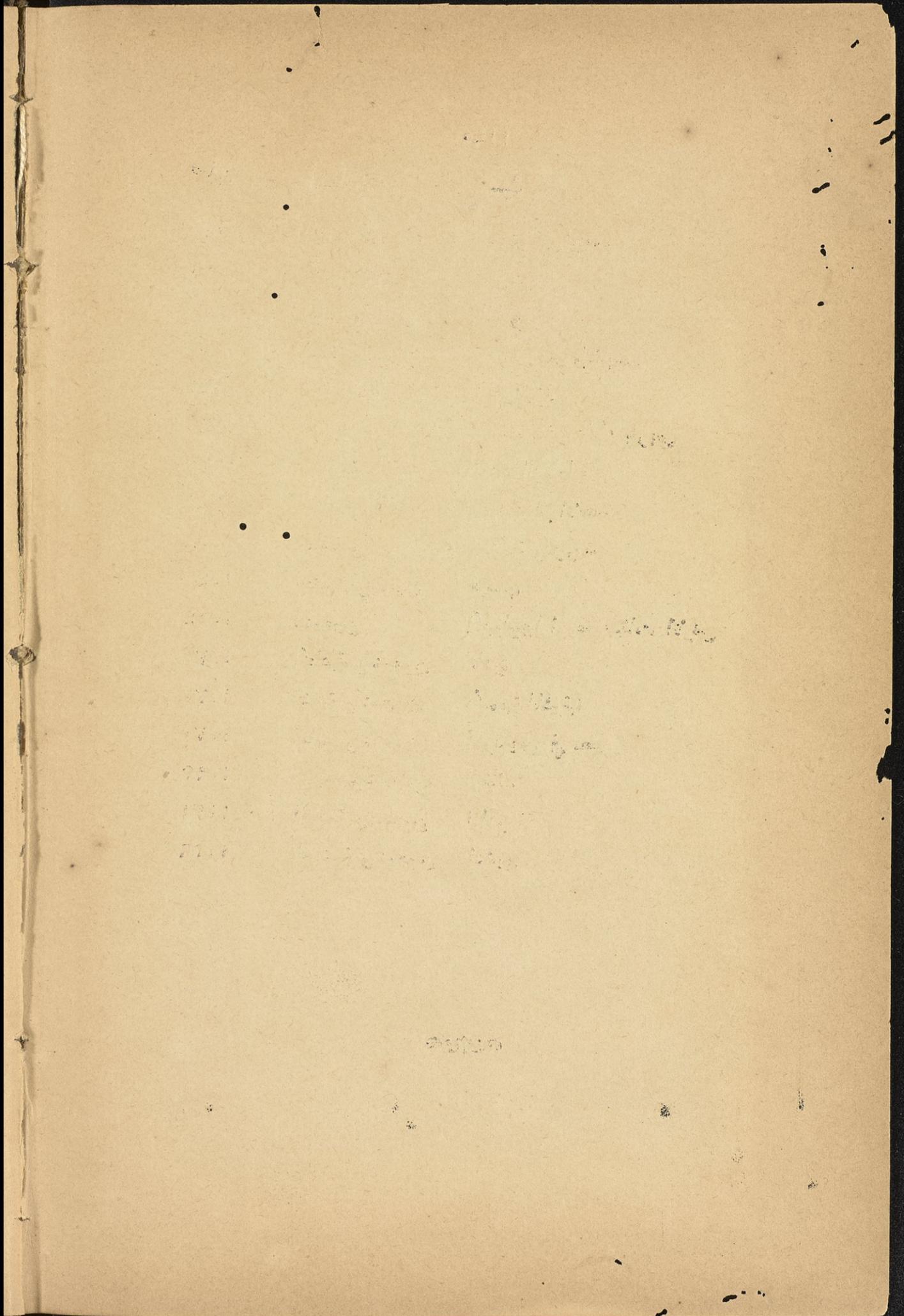
فهرس

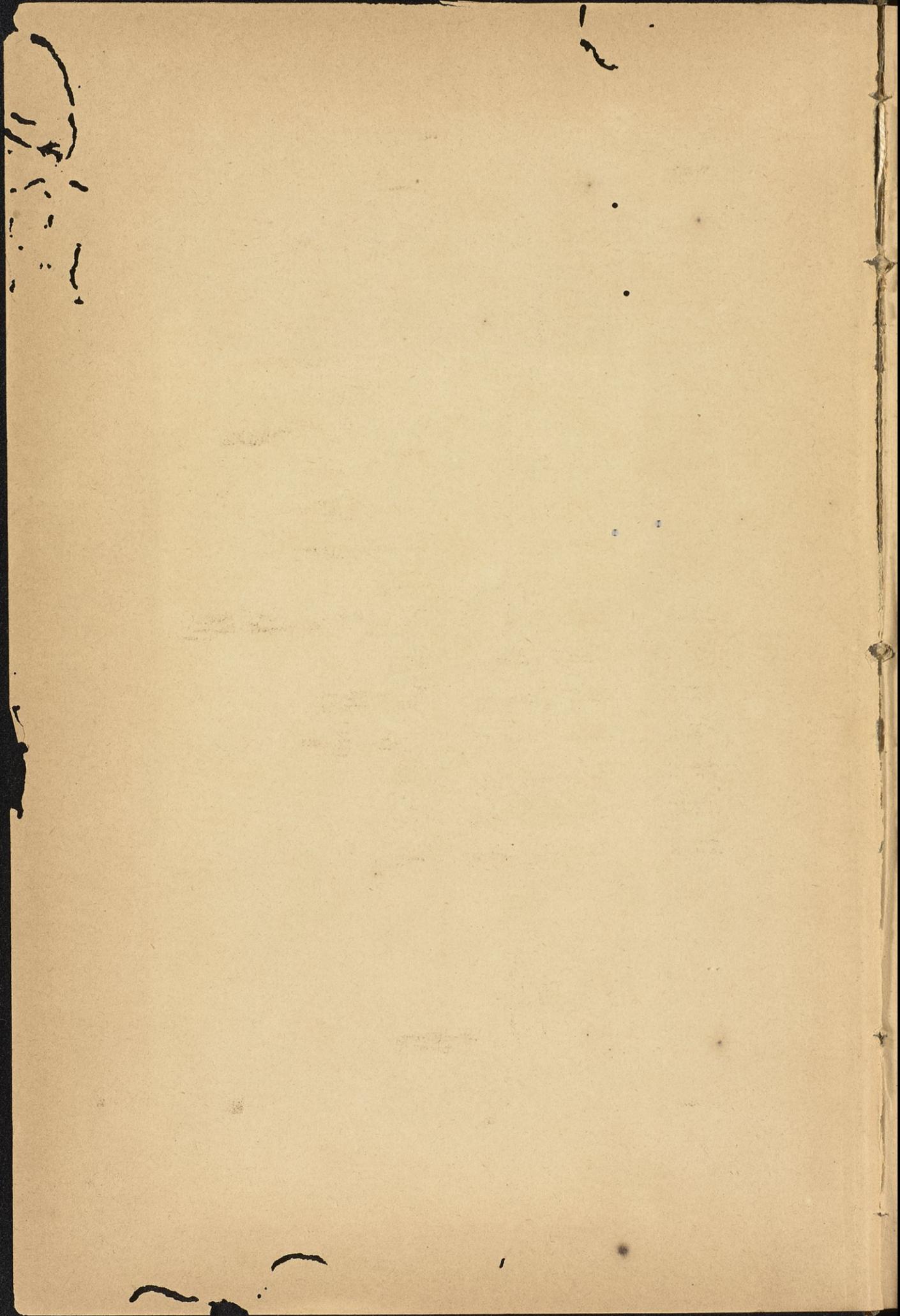
الجزء الثالث

من كتاب
علم الدين

المسامرة	صفحة
الثانية والستون	٧٨٥
السابعة والستون (من حكاية يعقوب)	٧٩٠
السبعون	٧٩٤
الحادية والسبعين (من حكاية يعقوب)	٧٩٦
الثانية والسبعين (من حكاية يعقوب)	٧٩٩
الثالثة والسبعين (من حكاية يعقوب)	٨٠٥
الرابعة والسبعين	٨٠٨
الخامسة والسبعين	٨١٦
السادسة والسبعين	٨٢٤
السابعة والسبعين (من حكاية يعقوب)	٨٢٤
الثانية والسبعين (من حكاية يعقوب)	٨٥٠
الناتمة والسبعين	٨٥٣

صفحة	المسامرة	في
٨٥٧	الثانون	سوق في باريس
٨٦٥	المحادية والثانون	باريس
٩٠٧	الثانية والثانون	البالو
٩١٣	الثالثة والثانون	اهرام مصر والمقاييس
٩٤١	الرابعة والثانون	نبذة تاريخية
٩٦٠	الخامسة والثانون	وصف بعض انحاء باريس
٩٧٢	السادسة والثانون	نعدد الزوجات
٩٨٣	السابعة والثانون	النعداد او الاحصاء
١٠٠٨	الثامنة والثانون	الفلاحة والزراعة
١٠٤٣	النائمة والثانون	قرساي
١٠٥٤	السعون	الجيولوجيا او علم طبقات الارض
١٠٧١	المحادية والسعون	نادرة
١٠٧٧	الثانية والسعون	الجمعية المشرقية
١٠٧٩	الثالثة والسعون	الفرنسيس في مصر
١٠٩٣	الرابعة والسعون	العفائد
١١٣١	الخامسة والسعون	نوادر
١١٣٦	السادسة والسعون	الندين





DATE DUE

MAY 31 2006

MAR 05 2006

JAN 16 2007

FEB 11 2007

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0038769735

PJ
7814
•L5
A45

V.3

AUG 29 1973 *Shad S. -*

